أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

Alwaei Al-Islami

مجلة شهرية كويتية جامعة

العدد (٥٤٧) ربيع الأول ١٤٣٢هـ - فبراير ٢٠١١م

د. نذير الحكيم : معهد الكندي في فرنسا ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي

فهم الأولويات ... ترف فكري أم مطلب شرعي؟

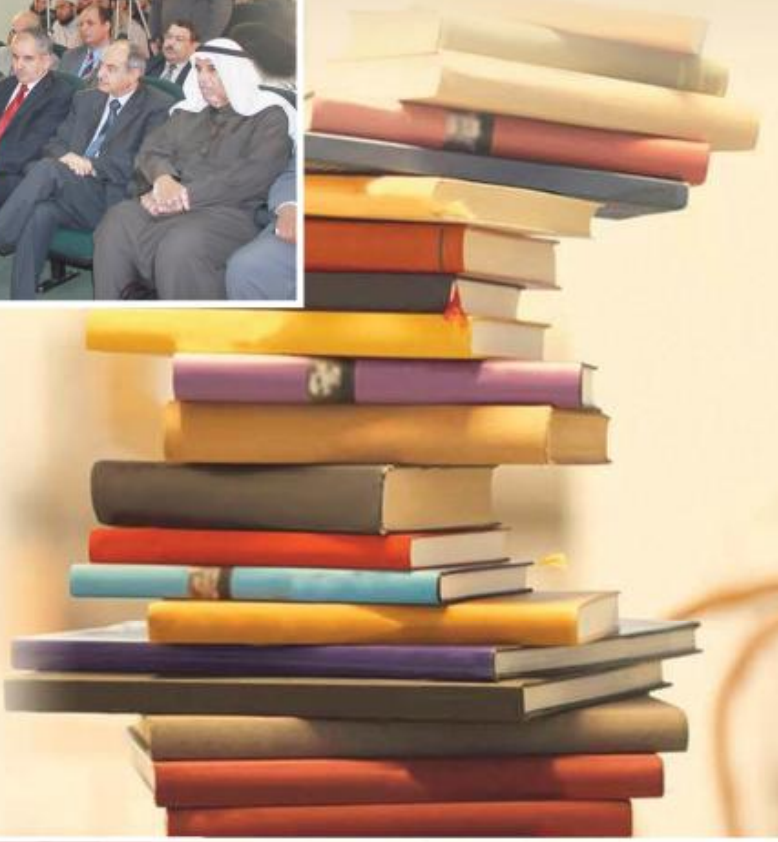

معهد المخطوطات العربية قلعة من قلاع التراث

هل خوفنا على ثقافتنا أم من ثقافتنا؟

مشروع رعاية القرآن الكريم بالمساجد

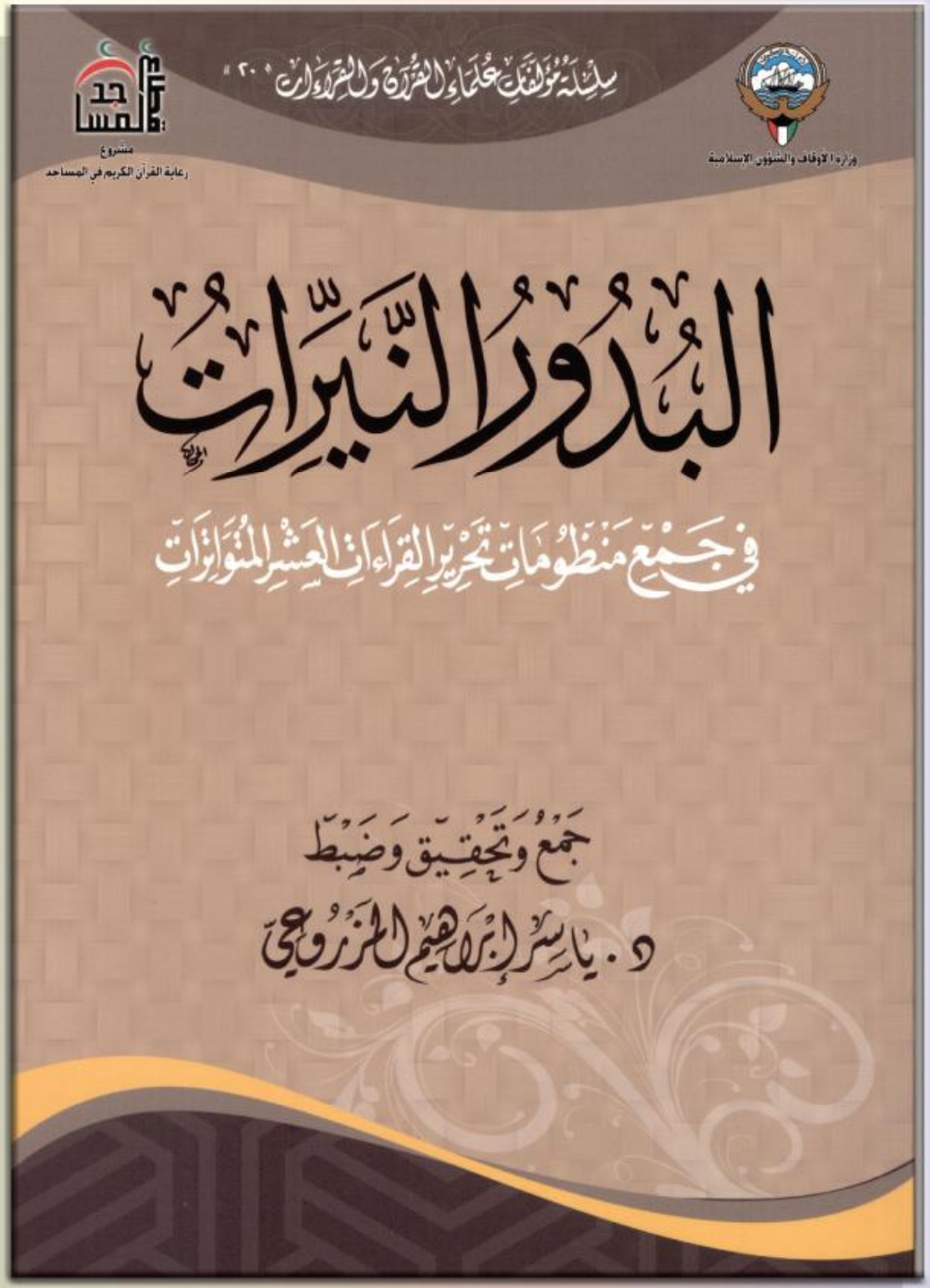

هذا الإصدار القرآني الجديد ، والمتضمن ثلاث رسائل هي: «فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن العظيم» و«عزو طرق القراءات العشر» و«تنقيح فتح الكريم»... وهي رسائل تعتني بعلوم القراءات وضبط طرقها وتحرير أوجهها ، وهو إصدار جديد من إصدارات مشروع رعاية القرآن الكريم بعناية وتحقيق د . ياسر إبراهيم المزروعي.

الافتتاحية

ثقافة الأمة

إن ثقافة الأمة هي عبارة عن مجموعة من القيم والسلوك تحكم فعاليات المجتمع وتوجهاته، وتتميز بالوحدة والتجانس والتناسق وفق معايير الإسلام وقيمه، فالثقافة تكاد تكون سرًّا من الأسرار في كل أمة من الأمم، وفي كل جيل من الأجيال، وهي معارف كثيرة متنوعة لا يكاد يحاط بها، مطلوبة في كل مجتمع للإيمان والعمل بها، يحفظها من التفكك والضياع، وكن على حذر، فإنه قد يدب إليك منها دبيبًا خفيًا مكر الماكر، وعبث العابث، واحتيال المحتال، فكل ثقافة لها منابعها ومصادرها، وأصول ثقافة الأمة الوحي الإلهي الذي يتمثل بالكتاب والسنة، وسيرة الرسول ﷺ، ولا تزال هذه الأصول هي التي تحكم ثقافة الأمة وتقومها، والأفراد في هذه الأمة تتفتح عيونهم على الحياة، حيث تؤثر ثقافة الأمة التي يعيشون فيها في تكوينهم الفكري والخلقي، وتتكون منها عاداتهم وتقاليدهم، كما قال ﷺ «ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وأهم معالم الثقافة بناء العقل، ووضوح الهدف والغاية، والإيمان الصادق العميق، ومجاهدة الباطل، والسعي لاستعمار الأرض بالعلم والمعرفة، وتحقيق مبادئ الحرية والعدل والمساواة والإخاء، ووضع الضوابط والتنظيمات والتشريعات، فهي ثقافة فريدة متميزة بين الثقافات، لأن أصولها ربانية عالمية وشمولية وواقعية، ومن خصائصها أنها تقوم على العقل وتحترم منطقه، ومبنية على التفكير الصائب والنظر العميق، والتوافق بين صريح المعقول وصحيح المنقول، ودعوة القرآن العظيم إلى النظر والتفكير لا يحدها حد ما دام ذلك ممكنًا وما دام يؤدي إلى نتيجة صحيحة.

قال روجيه جارودي: لقد وجدت في الإسلام نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٤٧

العام الثامن والأربعون

ربيع الأول ١٤٣٢ هـ

فبراير ٢٠١١ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

البعد التاريخي للأزمة المالية العالمية ٤٤

دار القرآن الهلالية في دمشق ٧٧

موضوع الغلاف

مناهل التراث والفكر والثقافة بشتى أنواعها قلاع يجب العناية بها وابرازها ودعمها حتى تواصل رسالتها ودورها في الحفاظ على هوية الأمة في عالم يعج بالأفكار والثقافات.

الأمن الدوائي ٨٥

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥ (٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩ (٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١ (٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣ - دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

الكويت : ٥٠٠ فلس السعودية : ٧ ريالات البحرين : ٥٠٠ فلس قطر : ٧ ريالات الإمارات : ٧ دراهم سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة الأردن : دينار واحد مصر : ٢ جنيه السودان : ٥٠٠ جنيه موريتانيا : ٢٠٠ أوقية تونس : ٢ دينار الجزائر : ١٠ دنانير اليمن : ٧٠ ريالا لبنان : ٢٠٠٠ ليرة سورية : ٣٠ ليرة المغرب : ١٠دراهم ليبيا : دينار واحد اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية: ثقافة الأمة	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد: المسلمون والتحدي الحضاري	التحرير
٦	متابعات: معهد المخطوطات العربية قلعة من قلاع التراث	التحرير
١١	مؤتمر الوطن والمواطنة	حنان عبدالعال
١٢	حوار: د.نذير الحكيم: معهد الكندي ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي في فرنسا	تمام أحمد / عبادة نوح
١٤	دعوة: خطاب الغزالي بين ارتجال الحكمة وتحليل الواقع	عامر أحمد عامر
١٦	ملف العدد: ثقافتنا ثقافة السلطان المطلق	محمود محمد شاكر
١٦	ملف العدد: الثقافة في الغرب سقوط المبادئ وزيف الادعاءات	مولاي المصطفى البرجاوي
١٩	ملف العدد: الدور الثقافي للاستشراق	محمد العمراوي
٢٠	ملف العدد: أهمية دور المرأة المسلمة في حوار الحضارات والثقافات	بدر محمد بدر
٢٢	ملف العدد: ثقافة مطمئنة	محمد الهامي
٢٥	ملف العدد: المصلحون والثقافة	أحمد عبدالجواد
٢٦	ملف العدد: هل خوفنا على ثقافتنا أم من ثقافتنا؟	د. أندي محمد حسن
٢٨	فكر: فهم الأولويات ترف فكري أم مطلب شرعي؟	د. رامز طنبور
٣٠	فكر: مراجعة ضرورية لموقف النخب العربية من ناعوم تشومسكي	د. رفيق الحليمي
٣٣	رسائل علمية: ابن حزم ورينان يتفقان على أن العهد القديم مليء بالتناقضات	صلاح رشيد
٣٤	دراسات: معالجة النوازل وفق نظر الفقهاء	د. صالح النهام
٣٨	دراسات: فقه الاختلاف في الإسلام	د. محمد الأنصاري
٤٤	دراسات: البعد التاريخي للأزمة المالية العالمية	د. عبدالحميد البعلي
٤٧	إصبعي السادسة: ويكي صحافة	عبادة نوح
٤٨	تاريخ: قراءة في مقولتي عصر الانحطاط وعصر النهضة	د. غازي التوبة
٥١	ملف الأدب: ماض تليد (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب: العواطف البشرية في أدب د. نجيب الكيلاني	محمد الشحات أبوعيد
٥٤	ملف الأدب: نظرات في بلاغة القرآن وبلاغة العرب ٢/٢	د. محمد الحجوي
٦٠	ملف الأدب: سطوة اللغة العربية وتأثيرها في الشعوب الأخرى	صلاح الشهاوي
٦٢	ملف الأدب: رسول الله عذرًا (شعر)	وليد عبدالباري الخطيب
٦٣	أنباء الكتب: تاريخ الديانة اليهودية	د. محمد المختار الشنقيطي
٦٧	ملف الأسرة: الحوار الأسري (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة: سيكولوجية تكوين الأسرة	حسين سباهي
٦٩	ملف الأسرة: ريحانة الحياة (شعر)	عبدالعزيز العسكر
٧٠	ملف الأسرة: الدلال إكسير الحياة الزوجية	منى السعيد الشريف
٧٢	ملف الأسرة: لا تخرجوهن ولا يخرجن	كمال عبدالمنعم خليل
٧٣	ملف الأسرة: الحياة وتحقيق السعادة	د. محمد عيسوي الفيومي
٧٤	ملف الأسرة: محاولة لرؤية الغد (قصة)	محمد نشمي كلش
٧٥	ملف الأسرة: غيرة المرأة	علي إبراهيم كشك
٧٦	ملف الأسرة: قواعد شرعية لتكامل شخصية المرأة المسلمة	يحي سيد النجار
٧٧	منارات: دار القرآن الهلالية في دمشق	محمد مروان مراد
٨٠	أعلام: أعلام مؤرخي السيرة النبوية	د. بليغ حمدي إسماعيل
٨٢	أعلام: الشيخ طاهر الجزائري داعية الإصلاح في بلاد الشام	د. مرزوق العمري
٨٥	طب: الأمن الدوائي	د. ناصر أحمد سنة
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هالة محمد
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام: شمائل نبي الهدى النموذج الأول	إبراهيم نويري

كلمة العدد

المسلمون والتحدي الحضاري

يعيش العالم اليوم بداية مرحلة حضارية جديدة، من أهم سماتها أنها تقوم على الفرز الحضاري المستند إلى عناصر القوة والمصلحة والنفوذ والإقصاء والعنصرية الضيقة التي لا تستوعب الآخر ولا تقيم له وزنًا، ولا تعيره اهتمامًا، وفي خضم هذه المرحلة يقف المسلمون حائرين تائهين مشتتين مسلوبي الإرادة، مع أنهم يملكون إرثًا حضاريًا عظيمًا يستوعب مناحي الحياة كافة، ويمكنه إخراجهم من الدائرة المغلقة والحلقة المفرغة ليضعهم على الجادة السوية التي تعيد لهم دورهم الريادي الإيجابي في صنع القرار على الساحتين الإسلامية والعالمية.

إن مسلمي اليوم، وهم يعيشون ذكرى مولد رسولهم العظيم محمد ﷺ، مطالبون بتنمية الإحساس بإمكاناتهم وقدراتهم الذاتية وتجربتهم الحضارية الفريدة، والاستفادة من تجارب الآخرين بعد غربلتها وفرزها لإخراج ما لايتوافق وثوابتنا، والاسترشاد بهديه ﷺ وتتبع خطواته في معالجة قضايا الأمة، وبذلك نقف بثبات وشموخ على الطريق الصحيح الموصل إلى غايتنا المنشودة.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي»

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥ ,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

في المؤتمر الدولي الأول لمعهد المخطوطات العربية

مستقبل التراث.. إلى أين يسير؟

وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في أواخر ثمانينات القرن الماضي «الخطة الشاملة للثقافة العربية» فأفردت للتراث صفحات فيها، ضمنتها «قراءة جديدة للتراث»، وأثار جهازها المتخصص «معهد المخطوطات العربية» غير مرة في اجتماعات «الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي»، وفي ندواته المتخصصة مسألة وضع خطة شاملة خاصة بالتراث. والمثقفون اليوم بمختلف اتجاهاتهم وتياراتهم يقرون بأن التراث هو السؤال الصعب في الثقافة، بل في الحياة الحضارية والتنموية على مختلف الأصعدة، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها، ويقولون: إن التراث ليس جزءا ساكنا من الماضي، بل هو حركة لازمة في صياغة الحاضر، وبناء المستقبل. لذلك كله كان هذا التوجه نحو خطة شاملة (إستراتيجية) خاصة بالتراث، تكشف عن طبيعة علاقتنا به، وتستكشف خريطته وتضاريسه، وتحدد ميادين عمله، وترسم سلم أولوياته، وتقنن الجدل القائم بينه وبين الثقافة، وبينه وبين الحداثة، والعولمة والإعلام والتربية والتعليم وثورة الاتصالات، وقضايا العصر جملة. لذا جاء مؤتمر «مستقبل التراث» الذي أقيم أخيرًا في القاهرة برعاية رئيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم د. محمد العزيز بن عاشور وبحضور ثلة من المفكرين والمثقفين خطوة على الطريق، بغرض التركيز على التأسيس النظري: المفاهيم، والحدود، والجدل، وبعض أوجه العلاقات، والتشابكات، وتحديدا مع الثقافة، ومع الحداثة أيضًا.

التحرير

إن التأسيس من الضرورة بمكان، للانطلاق على بصيرة في العمل التراثي، ولبناء أسس أو قوائم مشتركة يلتقي عليها العاملون في حقل التراث بمختلف توجهاتهم ومنطلقاتهم، وإن البدء بالتأسيس لازم، إذ إن أية خطة لابد أن تستند إلى رؤية تقوم عليها، وتنهض بها خطوات العمل، وبرامجه وأهدافه.

ولن يكون التأسيس إلا من خلال إثارة أسئلة، بعضها مما يظن أنه قريب، لكن أقرب الأشياء إلينا قد تكون أخفاها عنا، وبعضها مما لا تملك إلا أن تعترف بأنه إشكالية كبيرة وعميقة، على أن النوعين هما من الأسئلة المراوغة التي تختلف الإجابة عنها، تبعًا للأفكار والتوجهات للمسؤول عنها أو المتصدي لها، ومن هذه الأسئلة: ما هو مفهوم التراث؟ وما هي حدوده؟ وهل التراث هو المخطوط (الوعاء) أم هو المحتوى (النص) أم شيء آخر؟ وهل التراث جزء من الثقافة، أم أنها جزء منه؟ أم أن كلا منهما رأس بنفسه؟ وهل قرأنا- حقا- تراثنا؟ وكيف قرأناه؟...إلخ.

أسئلة تتطلب الإجابة عنها الكثير من الشروط الضرورية حتى لا نقع أسرى استقطاب من أيٍّ نوع، وحتى لا نضحي بالدقة العلمية، وحتى يكون العمل التراثي عملا يبدأ بالتراث، وينتهي به.

التراث والحداثة.. لقاء أم تصادم

عنوان هذه الورقة للدكتور. يوسف زيدان، كان السؤال «المقترح» الذي طلب مني د. فيصل الحفيان، مقرر هذه الندوة، أن أكتب حوله أو بالأحرى أكتب فيه.. وهو المقترح «السؤال» الذي ردني من الوهلة الأولى إلى بحوث وأوراق سابقة تعرضت فيها بالتفصيل إلى مفهوم «التراث» والدلالات المختلفة لهذه الكلمة. وبالطبع، لن أعاود هنا طرح ما سبق، خاصة أن المشاركين في الندوة من المتخصصين الذين تجاوزوا الكلام في المقدمات

إن التراث ليس جزءا ساكنا من الماضي بل هو حركة لازمة في صياغة الحاضر وبناء المستقبل

والمداخل العامة. وعليه فسوف أدخل مباشرة في الموضوع المقترح.

مادام نص «الحداثة» قد وضع في مقابل «التراث» فالمراد منه، مجازا، هو نقيض التراث! مع أن مفردة الحداثة تحمل في معظم دلالاتها معاني معاصرة ترتبط بالتطور الثقافي في العالم الغربي، وهو ما سوف نتحدث عنه تفصيلا في ندوتنا هذه. فإذا أردنا إيضاح الأمر، وتيسيره، قلنا: القديم والجديد.. وهو ما سوف نتحدث عنه فيما يأتي.

العلاقة بين القديم «التراث» والجديد «الحداثة» في ثقافتنا العربية الإسلامية ليست تصادمية. فهذه الأمة كما وصفها الإمام الشافعي: أمة السند. وهو وصف يلخص كثيرا من المعاني المرتبطة بالنزعة «الماضوية» في ثقافتنا.

كما أن العلاقة بين هذين المعنيين، ليست «لقاء» لأن ذلك يتضمن الانقطاع أو المغايرة. فاللقاء إنما يكون بين مختلفين أو متغايرين، والعلاقة بين القديم والجديد في ثقافتنا، لا يمكن النظر إليها على هذا النحو.

قد يستساغ وصف «اللقاء» فيما بين الثقافة اليونانية قديما، والثقافة الغربية حديثا. ولكن الذات الواحدة، لا تلتقي ببعضها بعضا!

ما نراه في أمر هذه العلاقة، إنما تعبر عنه كلمة: التواصل.. فمن خلال وسيط «اللغة العربية» الذي لم يتغير ويختلف، وإنما تطور كالحال في بقية اللغات، امتد «المتصل التراثي المعاصر» الذي تم امتداده أيضًا عبر: المفاهيم العليا

د. عبدالله الغنيم وسفير دولة الكويت لدى مصر ورئيس التحرير في مقدمة الحضور

للوجود، وتعاقب الخبرات السياسية والاجتماعية.. وعديد من «السبل» التي اتصل من خلالها ما صرنا نسميه: الثقافة العربية الإسلامية.

ضبط المصطلح وبناء المفهوم

عنوان هذه الورقة للدكتور فيصل الحفيان، وقد يبدو في الحديث عن ضبط المصطلح وبناء المفهوم أن ثم اضطرابا في هذا المصطلح «التراث» على الرغم من شيوعه، سواء بين النخبة أو العامة، وفي قاعات الدرس، أو عبر وسائل الإعلام المختلفة، كما يبدو أن ثم خللا في المفهوم، قد يكون مرجعه الاختزال، أو التشويش.

وهذا الذي يبدو، صحيح تماما، فالاضطراب والخلل حاضران حضورا ينعكس سلبا على وعينا نحن بـ«التراث» أولا، وعلى الطرائق التي نسلكها للعمل فيه ثانيا، ومن ثم على التوظيف الحقيقي له، سواء في الدرس المعرفي الخالص، أو في المشروع النهضوي ثالثا، والشواهد على هذا الذي نقول عديدة، أولها الخلط بين المقدس والبشري، فالنص «القرآن والحديث» ليس النص «الذي أنتجه عقل الإنسان» وليس هذا بالخلط الهين أو اللفظي، بل إن له آثاره الخطيرة في النظر إلى التراث، وفي منهج التعامل معه.

ثم إننا مازلنا حتى اليوم مترددين في تحديد هوية هذا التراث، هل هو عربي أم إسلامي، أم هو عربي إسلامي معا؟ بل إننا نجاوز ذلك، فنخلط بين الأزمنة، ونسقط الحاضر على الماضي، فينسب بعضنا التراث الموجود في بلد «قطري» إلى ذلك البلد، ولا مسوغ لذلك سوى وجوده فيها! وإذا ما انتقلنا إلى الوعاء الذي صب فيه التراث «اللغة» ثار السؤال: هل التراث العربي هو المكتوب بالعربية فحسب، أم إننا يمكن أن ندخل فيه ذلك المكتوب بالحرف العربي، وقد نوغل فنتساءل عن التراث ذي الموضوع العربي، وإن خرج من دائرة اللغة والحرف.

لقد دخلنا في القرن الخامس عشر الهجري، ولا نزال نختلف في الحدود التاريخية لهذا التراث: هل نقف به قبل عصر الطباعة، أم نمتد به إلى لحظتنا الحاضرة؟ وأخيرا وليس آخرا: هل التراث هو المخطوطات، أم محتواها، أم شيء آخر؟

منهجيات القراءة ومآزقها

عنوان هذه الورقة للدكتور معتز الخطيب، ويتناول البحث مفهوم القراءة

وتعدد مستوياتها، مع إيضاح تطورات التعامل مع مفهوم التراث وآليات الاشتغال عليه، بدءًا من نشر التراث وتحقيقاته على شكل «اختيارات» تنطوي على لون من ألوان القراءة الأولى، وصولا إلى القراءات التأويلية. وينبه البحث إلى مسألة شديدة الأهمية فيما يتعلق بمفهوم التراث الذي تمت قراءته أو قراءاته، وهو ذلك التراث القابل للتأويل والمتعلق بالمسائل الإنسانية والفلسفية والدينية، في سياق الصراع على التأويل.

يمسك البحث بالإطار المرجعي الحاكم لمشاريع قراءة التراث، وتنوع منهجياتها، سواء الماركسية أو القومية أو الأبستمولوجية أو التاريخانية، مركزا على التمايز الواقع في مستويات القراءة وترددها بين المعرفي والأيديولوجي، ليصل إلى مساءلة لمفهوم القراءة ومدى إمكان تحققه في مشاريع القراءة الموجودة.

يريد البحث أن يخلص إلى طرح مسألة مصائر التراث بين المعرفي والأيديولوجي، بعد الصراع على تأويله لدرجة الوقوع في التناقضات حين تخلص بعض القراءات- مجتمعة- إلى الشيء ونقيضه!، في محاولة للقول بضرورة الحاجة إلى وجود قراءة علمية معرفية للتراث بعيدا عن إسقاطات الحاضر، وإكراهات صراع الأيديولوجيات ومآزقها.

العمل في التراث

عنوان هذه الورقة للدكتور. بشار عواد معروف من المعلوم أن العاملين في إحياء التراث العربي أنواع، فيهم الأكاديمي البارع والعالم المتمكن من علمه، وفيهم الموظف والمتكسب لعيشه من هذه المهنة التي تدر عليه شيئا من المال، ومنهم الدخيل عليه. وعلم تحقيق النصوص ليس بدعا ولا جديدا على الثقافة العربية، فقد عني به كبار العلماء في عصور ازدهار الحضارة العربية ولكن همم المتأخرين من علماء الأمة فترت عنه وقلت عنايتهم به.

وقد لاحظنا منذ مطلع القرن العشرين عناية بهذا التراث قادها أكاديميون في مصر وبلاد الشام والعراق والمغرب العربي وكان من الطبيعي أن يكون هناك نوع من الانتقائية لضخامة هذا التراث غير المحقق.

وقد اعتنى كثير من الأقطار العربية بما يتصل بتراث ذلك القطر ولذلك أسباب لعل من أبرزها توفر المخطوط في ذلك القطر لاسيما قبل شيوع سهولة التصوير، أو اتصال موضوع المخطوط بذلك القطر، أو انتماء المؤلف إليه، ولعل كتاب خريدة القصر للعماد الأصبهاني خير ممثل ذلك.

وقد أسهمت الانتماءات الفكرية في نشر كتب ذات طابع معين مثل: كتب المعتزلة والباطنية والصوفية والفكر السلفي، أو نشر كتب مذهب معين.

كما أسهم الاختصاص بنشر كتب معينة، فقد اعتنى بعضهم بالعلوم لبراعته فيها، ومنهم من اختص بكتب الحديث أو رجاله، علاوة عن اختصاصيين في العربية لغة وشعرا ونحوا وبلاغة. وقد يتوجه بعضهم إلى علم من الأعلام، فيعنى بكتبه وتراثه مما قد يجعله أسيرا لهذه الشخصية، أو الكتب التي يعمل عليها فيتأثر بأفكارها.

ومن حسنات العناية بالتراث اختصاص بعضهم بحقبة تاريخية معينة يتمرس المحقق فيها، فيتعرف على أعلامها وأماكنها، وطبيعة المؤلفات فيها، فيكون أكثر قدرة على تمثلها، وحل بعض مشكلاتها.

ومما يؤسف عليه أن أكثر العاملين في التراث مازالوا أسرى النص تصحيحا وضبطا وتعليقا وتخريجا، وقد لاحظنا أن وضع النص في سياقه التاريخي والمعرفي لم يزل قاصرا عند أكثر المحققين، لقصورهم عن دراسات معمقة كان يتعين أن تسبق هذا النص بعد إنجازه.

أما توظيف التراث في الدراسات الحديثة فهو أمر مهم، لأن التراث هو خبرة الأمة على مدى قرون متطاولة، وهو المثبت لهويتها الحضارية.

معهد المخطوطات العربية قلعة من قلاع التراث

يعتبر «معهد المخطوطات العربية» جهاز خدمات علمية متخصصًا من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (إحدى منظمات جامعة الدول العربية)، يُعنى بالتراث العربي المخطوط بمختلف أصعدته؛ جمعًا وإتاحةً، صيانةً وترميمًا، فهرسةً وتعريفًا، دراسةً وتوظيفًا.

ويقوم المعهد على تجميع نصوص التراث وييسر تداولها، ويساعد على صيانة المخطوط العربي وحفظه، ويكشف عن المخبوء من التراث بالفهرسة والتعريف، ويشارك وينسق عملية الدّرس العلمي للكتاب المخطوط، تحقيقًا ونشرًا، وتوظيفًا للمعرفة الإنسانية المعاصرة، معتنيًا بجانبيه المادي (علم المخطوطات) والمعنوي (التحقيق والدّرس).

تأسس المعهد سنة ١٩٤٦م ملحقًا بالدائرة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية التي تأسست سنة ١٩٤٥م، باسم «معهد إحياء المخطوطات»، ثم استقل المعهد عن الدائرة الثقافية سنة ١٩٥٥م، حتى أُلحق سنة ١٩٦٩م بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واستمر عمل المعهد بالقاهرة حتى سنة ١٩٧٩م، ثم انتقل بعدها إلى تونس وظل بها حتى أوائل سنة ١٩٨١م، ثم إلى الكويت حتى سنة ١٩٩٠م، وأخيرًا استقر في القاهرة بداية من سنة ١٩٩١م حتى الآن.

أقسام المعهد

يتألف المعهد من خمسة أقسام هي:

الفهرسة

يهتم قسم التوثيق والفهرسة بالكشف عن واقع المخطوطات العربية في العالم، وتزويد المعهد عن طريق البعثات بأكبر عدد ممكن من نفائسها، وإعداد البطاقات والفهارس المتنوعة والمتجددة التي تخدم التراث العربي.

وقد وجه المعهد اهتمامه منذ إنشائه إلى وضع فهارس للمخطوطات المصورة التي يقتنيها، فيصفها وصفًا يتيح للباحثين التعرف عليها والإفادة منها، ولما كان هذا العمل يحتاج إلى وقت فقد درج المعهد على إخراج ما يصوره في قوائم أولية ينشرها في مجلته أو نشرته، ومن ثَم يصدر فهارسه تباعًا في حدود مجلد واحد في العام، ليتعرف العلماء والباحثون وطلبة العلم على ما لدى المعهد من مخطوطات مصوّرة.

وقد أصدر المعهد أثناء وجوده في الكويت فهرسًا لمخطوطات التاريخ (سيرة نبوية- تاريخ- تراجم) الجزء الأول، وصدر هذا الفهرس سنة ١٩٨٤م، كما يعمل المعهد على نشر فهارس لمكتبات لم تفهرس مخطوطاتها من قبل.

الرئيس الأسبق للمعهد د. عبدالله الغنيم في إحدى الفعاليات

المكتبة

يعنى قسم المكتبة والدراسات والتحقيق بخدمة العاملين في التراث وإرشادهم، ودعم الهيئات العلمية، وتنسيق حركة التحقيق في الوطن العربي، ومتابعة حفظ حقوق المحققين الأدبية والمادية وتنمية عدد المحققين المنهجيين والإشراف على تغذية مكتبة المعهد بالفهارس والمصادر والمراجع والدوريات.

وقد عمل المعهد منذ أن استقر في الكويت على تأسيس مكتبة جديدة وافية بأغراضه حتى تعينه على تنفيذ مشروعاته العلمية وخططه التدريبية، ضمت حتى الآن خمسة آلاف كتاب، بالإضافة إلى مجموعة من فهارس المخطوطات والدوريات المتخصصة، والمكتبة تستقبل الباحثين في الفترة الصباحية لكي يستفيدوا من المراجع المتوافرة فيها، وألحق بالمكتبة مكتبة أخرى للميكروفيلم تضم ما لدى المعهد من مخطوطات مصوّرة، ويستطيع الباحثون الاطلاع على ما يريدون الاطلاع عليه من خلال أجهزة القراءة المتوفرة في المكتبة.

النشر

يتولى قسم الإعلام التراثي إصدار «نشرة أخبار التراث العربي» و«مجلة معهد المخطوطات العربية» ومتابعة إصدار مطبوعات المعهد ومنشوراته.

وقد أظهرت التجارب أن أهمية المعاهد العلمية والأكاديمية تقاس بقيمة منشوراتها ومطبوعاتها، وكان معهد المخطوطات العربية ولا يزال يولي هذه القضية جل اهتمامه، فمن المهام الرئيسية للمعهد تحقيق المخطوطات ذات القيمة العلمية ونشرها، وقد اختار المعهد مجموعة من نفائس المخطوطات وعهد بتحقيقها إلى عدد من كبار الباحثين والمحققين، وأصدر خلال وجوده في القاهرة مجموعة من الكتب القيمة، أهمها: «سير أعلام النبلاء» للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، صدر منه ثلاثة أجزاء، و«المحكم» لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ، صدر منه سبعة أجزاء، و«شرح السير الكبير» للسرخسي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، صدر منه ثلاثة أجزاء، ثم صدر كاملاً في خمسة أجزاء سنة ١٩٧١م، و«أنساب الأشراف» للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ، صدر منه الجزء الأول سنة ١٩٥٩م، و«مختار الأغاني» لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ، صدر في ثمانية أجزاء.

المجلة والنشرة

بدأ المعهد في إصدار «مجلة معهد المخطوطات العربية» سنة ١٩٥٥م لنشر النصوص المحققة وفهارس المخطوطات والبحوث المتعلقة بالمخطوطات والتعريف بها ودراسة نصوصها، وهي تصدر مرتين في العام، وقد صدر منها خلال فترة وجود المعهد في القاهرة خمسة وعشرون مجلدًا، وصدر منها في الكويت ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات (من ١٩٨٢- ١٩٨٥).

وانطلاقًا من اهتمام المعهد بتوثيق الروابط العلمية بين المهتمين بالتراث العربي وتعريف الباحثين والعلماء بكل جديد في ميدان التراث بدأ سنة ١٩٧٢م في إصدار «نشرة أخبار التراث العربي» التي تهتم بمتابعة أخبار هذا التراث في جميع أنحاء العالم عن طريق مراسلين متخصصين، وتوزع هذه النشرة على الهيئات العلمية العربية ودوائر الاستشراق والعلماء والباحثين في ميدان التراث العربي، وهي تصدر مؤقتا مرة كل شهرين.

التصوير

ويتولى القسم الفني شؤون التصوير والمحافظة على الأفلام والصيانة الدورية لها ولأجهزة التصوير والتحميض والتكبير.

ولدى المعهد قسم للتصوير يضم أجهزة حديثة لتصوير المخطوطات على ميكروفيلم، ولعمل نسخ إضافية من كل ميكروفيلم، ولتصوير الميكروفيلم على ورق، وأجهزة للتحميض ومعالجة الأفلام، كما يضم ثمانية أجهزة لقراءة الميكروفيلم.

ويعمل قسم التصوير على تزويد الجامعات والباحثين بما يحتاجون إليه من مخطوطات مصوّرة، على ورق أو على ميكروفيلم بأسعار رمزية، أو عن طريق التبادل.

المعهد بالأرقام

- يوجد في معهد المخطوطات العربية نحو أربعين ألف مخطوطة.
- يضم المعهد قاعدة بيانات للمخطوطات العربية نحو خمسة وعشرين ألف مخطوطة.
- قدم المعهد معونات مادية لهيئة القدس العلمية لصيانة مخطوطات المدينة المقدسة، وأجهزة تصوير لأحد مراكز البحث العلمي الموريتانية، وموَّل الندوة العلمية لتاريخ العلوم عند العرب في سورية، وأسّس مخبر ترميم في نواكشوط (موريتانيا) وأوفد خبيرًا لهذا الغرض.
- أرسل المعهد أكثر من (٣٥) بعثة للتصوير داخل الوطن العربي وخارجه.
- أقام المعهد أكثر من (١٦) دورة تدريبية في شؤون المخطوطات وترميمها وصيانتها وفهرستها.
- أصدر المعهد قرابة (٣٠٠) مخطوطة في فهارس وتقارير عن المخطوطات، وأدلة وكشافات، وكتب تراث.
- استحدث المعهد درجات (دبلوم دراسات عليا، ماجستير، دكتوراه) في علم المخطوطات وتحقيق النصوص (بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات العربية).

رئيس الإليسكو ابن عاشور يتوسط رئيس المعهد د. أحمد يوسف (على الشمال) ومنسق المعهد د. فيصل الحفيان (على اليمين)

مؤتمر «الوطن والمواطنة» الذي عقدته وزارة الأوقاف بالتعاون مع رابطة علماء الشريعة:

صحيفة المدينة المنورة أول وثيقة دستورية تحقق معنى التعايش السلمي

حنان عبدالعال

عقدت رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مؤتمر «الوطن والمواطنة في ميزان الشريعة» تحت شعار «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه»، برعاية نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية ووزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد عبدالمحسن الحماد في الفترة من ١٧- ١٨ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٢٣- ٢٤ ديسمبر ٢٠١٠م بفندق كراون بلازا بدولة الكويت بحضور أكثر من ٧٥ عالمًا ومفكرًا من دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد أوصى المؤتمرون في البيان الختامي بإقامة مشروعات عملية إلى جانب التوصيات الرئيسة وكانت على النحو التالي:

أولا: المشاريع العملية

مشروع مركز التأصيل الشرعي لقضايا الانتماء الوطني

تأسيس كيان مؤسسي تحت مسمى «مركز التأصيل الشرعي لقضايا الانتماء الوطني» لتقديم الرؤية الشرعية في المسائل التي تتعلق بالوطنية والمواطنة بدول مجلس التعاون الخليجي، وذلك بالتعاون مع الجهات ذات الصلة كوزارة التربية والإعلام والداخلية والشؤون الاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني، على أن تقوم رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي بتقديم دراسة متكاملة للمشروع بالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت إلى الجهات المعنية في دول المجلس.

مشروع ميثاق الوطنية والمواطنة

تكوين لجنة من أعضاء رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون الخليجي لإعداد ميثاق حول الوطنية والمواطنة في ميزان الشريعة الإسلامية يشمل جميع الجوانب المتعلقة بالواقع المعاصر لدول المجلس، ويعتبر الميثاق من مخرجات هذا المؤتمر وتتولى اللجنة التأكيد على التوافق على الميثاق من قبل أعضاء الرابطة.

ثانيا: التوصيات

- الأنتماء أوسع من المواطنة، فانتماء المسلم لدينه وأمته، ولا تعارض بين الانتماء لأمة الإسلام والمواطنة.

- الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والطاعة في المعروف واجبة للأئمة المسلمين، فالمواطنة استحقاقات والتزامات محكومة بالنصوص الشرعية والقواعد المرعية للراعي والرعية.

- حب الوطن والتعلق به فطرة إنسانية معتبرة، وقيمة شرعية محفوظة، وحق وطني مشروع.

- واجب علماء الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لولاة الأمر وبيان الحقوق والواجبات للراعي والرعية، ومن حقوقهم على الوطن تقديرهم واحترامهم وتمكينهم من أداء رسالتهم والقيام بواجبهم والرجوع إليهم لمعرفة الأحكام الشرعية على مستوى الفرد والمجتمع والدولة.

- تمكين المواطنين من المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية وتحقيق العدالة بكفالة الأمن والحرية والمساواة وتكافؤ الفرص وتوفير خدمات التعليم والصحة وسبل العيش الكريم.

- العناية بتربية الشباب دينيا وخلقيا وتأهيلهم علميا ومهنيا، وتوظيف طاقاتهم لخدمة أوطانهم وتوفير فرص العمل المناسبة لمؤهلاتهم.

- تعزيز ثقافة الوطنية والمواطنة في وسائل الإعلام المختلفة وفق الرؤية الشرعية ومطالبة المؤسسات الإعلامية المختلفة بتحقيق ذلك، وتحري الدقة والموضوعية والبعد عن إثارة العصبيات والفتن التي تفرق ولا تجمع.

- تعزيز ثقافة الوطن والمواطنة وفق الرؤية الشرعية في المقررات الدراسية والبرامج التعليمية في جميع المراحل الدراسية المختلفة.

- تعد صحيفة المدينة المنورة أول وثيقة دستورية تحقق معنى المواطنة والتعايش السلمي، ولذلك يطالب المؤتمر المعنيين بدراستها والاستفادة منها في العلاقات الداخلية والخارجية.

- تعزيز مفاهيم الوحدة الوطنية وتجديد ممارسات المواطنة تحت ظلال الوسطية بعيدا عن الغلو والتشدد والجمود.

الرئيس العام لمؤسسة الكندي التعليمة بفرنسا د.محمد نذير الحكيم في حوار خاص:

معهد الكندي.. ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي في فرنسا

حوار: تمام الصباغ وعبادة نوح

المدرسة أعطت للعديد من الجمعيات التربوية الإسلامية الجرأة على تحدي الصعوبات

أكد الرئيس العام لمؤسسة الكندي التعليمة بفرنسا د.محمد نذير الحكيم أن مشروع الكندي حلم راوده منذ سنين، انتظرته بناتنا وأخواتنا كانتظار العطشان في صحراء ساحقة قطرة ماء، حتى رأيناه حقيقة أمام أعيننا.وقال: إن هذه المؤسسة ليست مجرد مدرسة لتعليم أبنائنا في مدينة ليون، بل هي القطب الشامل لمشاريع ومؤسسات في كل أنحاء فرنسا.

وأوضح في حوار صحفي مع «الوعي الاسلامي» على هامش زيارته للكويت: ركزنا اهتمامنا وكل طاقاتنا في إعداد مشروع تعليمي متطابق مع البرنامج التعليمي بفرنسا، بالإضافة إلى ترسيخ قيمنا الإسلامية الواعية العاملة لبناء شخصية الطالب التي تثق بقدراتها وتعتز بتلك القيم الجوهرية في حياة الفرد المسلم والمجتمع.

وبين أن معهد الكندي رافد ومصدر دعم واهتمام وعناية، حيث أسهم بشكل مباشر في افتتاح مؤسسات تعليمية مماثلة وهي الآن عشر مؤسسات، مقارنة بالمدارس والمؤسسات التي تشرف عليها الكنيسة، التي يصل عددها الى٥٢٤٣ مدرسة ومؤسسة، والمدارس والمؤسسات التي تشرف عليها الجالية اليهودية وعددها ٧٠٤ مدارس.. واليكم نص الحوار:

■ بداية نود أن تعرفنا بمدرسة الكندي؟

– أسس معهد الكندي للتعليم الخاص منذ سنة ٢٠٠٧ للوقوف على ثغرة من ثغور الوجود الإسلامي في فرنسا، بهدف انتشال الشباب المسلم من براثن الفشل والضياع وإعطائه مقومات النجاح، بل التفوّق أيضا في الدراسة والحياة.

■ ما الأهداف الرئيسة وراء إنشاء المدرسة؟

– يرجع ذلك الى الصعوبات التي تعاني منها المدارس العامة الموجودة في الأحياء الشعبية، والتي أظهرتها التقارير الرسمية من كثرة إضراب المدرسين فيها، وظاهرة التدني الملحوظ في المستوى التعليمي، وتفشي ظواهر العنف في المدارس مع عدم وجود حلول تربوية لهذه الظواهر والتي كان أول ضحاياها أبناؤنا.

والنتائج السلبية الناجمة عن تطبيق قانون ١٥ آذار ٢٠٠٤ والذي يحد من حرية الطلبة في تطبيق تعاليم دينهم وإقامة الشعائر الدينية ومحافظة الفتاة المسلمة على حجابها ومتابعة دراستهم في نفس الوقت.

وكذلك وصول طبقة من الشباب المسلم الذي ولد أو عاش في الغرب إلى درجة من النضوج والتأهل العلمي.

■ ما الذي يميز مؤسسة الكندي عن غيرها؟

– بغض النظر عن أن الساهرين عليها أرادوها في القمة، ورمزا وقيمة نيرة في مجال التعليم والتربية في فرنسا، إلا أنهم وضعوا لها أسسا فولاذية، مما جعل وزارة التعليم والتربية تعترف بنا وبمستوى طلبتنا بعد سنة ونصف، مع العلم أن الفترة القانونية لهذا الاعتراف بعد خمس سنوات.

كذلك حصلت إحدى طالباتنا على منحة التفوق الفرنسية، وهذا راجع إلى البرنامج الفريد من نوعه الذي نقدمه لطلبتنا، من دورات تدريبية في مجالات شتى، والسهر على تنمية المهارات المدفونة في تلك العقول التي مازالت تنمو وتستوعب وتلتقط كل معلومة.

■ كيف يمكن أن نقيم مناهج المدرسة العلمية؟

– مناهجنا في أغلبها عصرية، حيث

الاعتماد على الطرق المتبعة من قبل الجهات التعليمية الحكومية لنجاعتها في تذليل العقبات التي تعترض الطلبة في فرنسا، وتجديدنا في طرق التعليم وابتكارنا جعلنا نحقق نجاحا ملحوظا يخرج عن نطاق المنهج البيداغوجي الفرنسي التقليدي، الذي لم يتغير منذ عشرات السنين، وهذا رأيناه على أرض الواقع بالنتائج السنوية التي حققناها بفضل الله، وهي: نسبة النجاح في الامتحان الوطني للإعدادية العامة والتي تطورت لتصل إلى ٩٣٪، في حين أن نسبة النجاح على المستوى الوطني لم تتجاوز نسبة ٨١٪، ولقد شهد طلبتنا تمايزًا في معدلات نجاحهم حيث حصل ٦٩٪ على معدلات عليا (وهي أعلى نسبة تحققها مدرسة في منطقتنا)، ونسبة النجاح في امتحان الثانوية العامة بلغت من السنة الأولى نسبة ٨٤٪، وتساوي هذه النسبة المعدل الوطني.

■ ما أبرز انجاز حققتموه على ارض الواقع؟

– أهم انجاز حققناه هو إنشاء مؤسسة خيرية مستقلة (فنديشن)، هدفها دعم المشاريع القائمة وكل مشروع مستقبلي، وتترأسه مؤسسة الكندي التعليمية، ويكون تحت رعاية اتحاد المؤسسات التعليمية بفرنسا ليكون لنا جهة رسمية في مجال التمويل تتابع جمع التبرعات، تتبنى وتمنح لكل دراسة مشروع الأهمية اللازمة.

■ كيف تصف العلاقة بينكم وبين وزارة التربية الفرنسية؟

– العلاقة بيننا وبين وزارة التربية والتعليم الفرنسية علاقة تعاون دائم منذ شهر مارس ٢٠٠٧، فهم يمدوننا بكل التغييرات والقرارات ذات الصلة بالتعليم، وقد تكثفت زيارات مسؤولي التعليم بالمحافظة إلى مدرستنا لمعاينة

وضعنا أسسا فولاذية جعلت وزارة التعليم تعترف بنا بعد سنة ونصف..مع العلم أن الاعتراف لا يكون إلا بعد خمس سنوات

مطابقة منهجنا، والحمد لله كانت التقارير جيدة في صالح مؤسستنا، ونتيجة لهذه التقارير المشجعة قررت الوزارة الاعتراف بمدرستنا وتقديم منح دراسية لأغلب طلبتنا، أمّا حصولنا على الدعم المالي من الحكومة الفرنسية فذلك محكوم بعدّة شروط، أهمها وأشدّها على المؤسسة التعليمية وجوب انتظار سنوات خمس قبل الحصول على مساعدة الدولة التي تضمن لنا استمرارية عطاء المؤسسة التعليمية، ودعم المشاريع المماثلة من خلال الفائض المتحقق من هذا الدعم.

■ ماذا حقق مشروع الكندي؟ وهل هو نواة لمشاريع أخرى؟

– مشروع الكندي، حلم راودنا منذ سنين، وانتظرته بناتنا وأخواتنا كانتظار العطشان في صحراء ساحقة قطرة ماء.. وأخيرا رأيناه حقيقة أمام أعيننا، وهذه المؤسسة ليست مجرد مدرسة لتعليم أبنائنا في مدينة ليون، بل هي

المشروع قطرة الندى التي تسعى للتحول إلى منبع ماء تتدفق منها جداول تسهم في تكوين جيل جديد في فرنسا

القطب الشامل لمشاريع مؤسسات في كل أنحاء فرنسا.

عند انطلاقتنا سهرنا يوما بعد يوم على دراسة القانون الفرنسي وفهمه وتطبيقه لنكوّنَ مرجعية لأي مشروع، ولم نكتف بذلك بل نظمنا دورات تدريبية في هذا المجال لكل من استدعانا من إخوتنا الراغبين في بناء وتأسيس المؤسسات التعليمية الإسلامية.

ركزنا اهتمامنا وكل طاقاتنا في إعداد مشروع تعليمي متطابق مع البرنامج التعليمي بفرنسا، وإضافة إلى الجانب الأهم الذي يسعى لترسيخ قيمنا الإسلامية الواعية العاملة لبناء شخصية الطالب، والتي تثق بقدراتها وتعتز بتلك القيم الجوهرية في حياة الفرد المسلم والمجتمع.

هذا ما جعلنا جسر تواصل صلب ومتين بين كل مشروع مدرسة أو مؤسسة تعليمية ترى النور في قطر من أقطار فرنسا ووزارة التربية والتعليم التي برهنا لها خلال الفترة الماضية على قدراتنا على التفوق في مجال التعليم الفرنسي.

كل هذه المعطيات دفعت وأعطت الحافز للعديد من الجمعيات التربوية الإسلامية والجرأة على تحدي الصعوبات والعراقيل التي تواجه كل مشروع، كافتتاح مدرسة أو مؤسسة إسلامية في هذه الأجواء المضطربة.

فنحن قطرة ندى في بحر عميق، لكن هذا لم يزدنا إلا همة ومثابرة، مما جعل الجمعيات الإسلامية التربوية في مدن عديدة تتصل بنا لتدخل معنا في إطار هذا العمل النبيل.. إن هذه العملية التربوية والتعليمية لن تتوج بنجاح إلا بدعم الجميع على تحويل قطرة الندى إلى منبع ماء تتدفق منها جداول توصلنا إلى أهدافنا السامية للعمل على تكوين جيل جديد من المسلمين في فرنسا.

خطاب الغزالي بين ارتجال الحكمة وتحليل الواقع

عامر أحمد علي عامر
باحث لغوي وشرعي

كنت كلما استمعت إلى خطب الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، تزداد لدي قناعة بأنه ليس ثَمَّ فارق كبير بين أسلوبه الخطابي وأسلوبه الكتابي، فهو يخطب كما يكتب، وكأنما يقرأ مكتوبًا، ويكتب كما يخطب، يرتجل في كليهما ارتجالًا تدل عليه سهولة العبارة ووضوح الأسلوب، والبعد عن التعقيد والغريب من الألفاظ والتراكيب، مع الحفاظ على عذوبة اللفظ ورشاقة التعبير وروعة البيان، وكان يخيل إلي أن الرجل إنما يملي كتاباته على مدون لها ولا يراجع شيئًا مما أملاه، أو هو يلتقط القلم ويطلق له العنان دون الحاجة إلى معالجة ما يكتب بالتغيير والتبديل، والتقديم والتأخير، والحذف والإضافة، على عادة جل الكتاب، وكنت بصدد إعداد شاهد تجريبي على هذا بأن أعمد إلى نص له مكتوب، وآخر مخطوب، على أن أجرد الأخير مما تحتمه لغة الخطاب وتقتضيه، كأن أفرغ نص الخطبة من المقدمة وما شابهها من مثل «أيها المسلمون.. أقم الصلاة... الخ» ثم أقارن بين خصائصهما، حتى يتبين القارئ ما أريد، إلى أن وقعت على هذا النص من كلام الشيخ فكان فيه يقين ما ظننت، وراحة لي مما عليه عزمت، يقول الشيخ رحمه الله في مقدمة الكتاب الذي حوى خطبه «خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة» التي جمعها الأستاذ قطب عبدالحميد قطب وراجعها الدكتور محمود عاشور: «وأحبُّ أوقات الكتابة إليَّ بعد صلاة الفجر، عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات، ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل، بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته، إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك، كمناقشة له أو حوار حوله».

مثار العجب الحقيقي في هذا، بالإضافة إلى ما سبق أن ألمحت إليه من تمكن وبراعة في الأسلوب والبيان، أن الحكمة تجري في هذا النتاج كله مجرى يكاد يتحدث عن نفسه، فتدرك مراده القلوب بلا عناء، وحينما نذكر الحكمة، فإننا نعني لفظها وفحواها، معناها ومبناها، إذ تحتاج حكمة الحكيم في العادة إلى ترتيب سابق، وتهذيب لاحق، والعهد بمثل هذا الكلام المرتجل أن يخلو من ذلك أو حتى يندر فيه، وإن جاء فعرضًا، يحتاج إلى مراجعة وضبط، وسأقلب الآن بين يدي كتابة هذه الأسطر صفحات هذا الكتاب لنخرج بالحكم المرتجلة الآتية:

«إن الطيبة ليست نوعًا من العجز أو الغفلة، الطيبة في الإسلام ما تكون طيبة إلا إذا كانت قدرة متفوقة وبصيرة بعيدة المدى تلمح الخفي وتحسن أن تؤدي ما عليها».

«إن المصنع نوعان، مصنع للسلع أو الأسلحة، والمسجد مصنع للرجال، وكل أمة ليست لديها مصانع للرجال فإن الأسلحة مهما تكاثرت في أيديها لا تغني عنها لا قليلًا ولا كثيرًا».

«الغنى المُطغي والفقر المُنسي من البلاء الذي يصيب الناس».

«هناك ناس سكارى بخمرة الدنيا يقفون بين يدي الله فلا يعلمون ما يقولون».

«التاجر الذي لا يدري من تجارب الماضي ولا من العبر التي مرت به ما هي مواطن الربح والخسارة في أحواله وأعماله فإنه يتعرض للبوار في غده القريب أو في مستقبله البعيد».

«قليل من القرآن تقوم به ليلًا مع كثير من الجهاد يستنفد وقتك نهارًا.. هذا هو الدين».

«التمكين في الأرض وظيفة لها مؤهلات، وما يستطيع أن يكون مكينًا في الأرض إلا من استجمع الخصائص الأدبية، والمواهب العقلية، والإمكانات المادية التي تجعل له هذا التمكين المطلوب».

وليس هذا بأبلغ ما جاء من الحكمة في خطب الشيخ، بل هو حصيلة تقليب عشوائي في صفحات خطبه، ومن تحرَّ جمع الحكمة فيها جاء من ذلك بما هو أعجب وأبلغ، وعلى أي حال فهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة موسعة في نتاج الشيخ مقروءًا ومخطوبًا.

ولعل هذه الحكمة كانت محصلة لما تميز به الشيخ من قراءة التاريخ

واستلهامه، وهذان من أجلى ما يتسم به نتاجه رحمه الله، ولا غرو فقد روي عن الإمام الشافعي(١)، رحمه الله، أن من تعلم التاريخ زاد عقله، ونماذج هذا الاستلهام عند الشيخ أبين من أن يستدل لها، بل ربما استغرق الخطبة كلها أو جلها مثل خطبة «سياحة تاريخية»، وخطبة «فلسطين.. الدرة المغتصبة» وغيرهما.

وفي مقدمة الكتاب السابقة الذكر رسم الغزالي، رحمه الله، صورة متكاملة واضحة المعالم عن الخطبة الجيدة، وعن ثقافة الخطيب، يحسن بخطبائنا أن يعوها جيدًا، فهي مع قصرها قد حوت دررًا، ولخصت عبرًا يمكن أن تشرح في كتب طوال، ومما جاء فيها فيما يتعلق باستلهام التاريخ، يقول الشيخ، رحمه الله، عن ثقافة الداعية: «والدعوة إلى الله لا يصلح لها، بداهة، أي شخص.. إن الداعية المسلم في عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية، بمعنى أن يكون عارفًا للكتاب والسنة، والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يجب أن يكون ملمًا بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المعاصرة التي تتصل بشتى المذاهب والفلسفات».

وإن كانت العادة قد جرت على أن يذكر الخطيب نصًا يخرج من شرحه إلى ما يريد أن يثبت من حقائق أو يقرر من فكر، فإن الشيخ، رحمه الله، كان صاحب طريق مغاير لهذا، فكان يبدأ بالحقائق مجردة أو بأمثلة تقربها حتى إذا استوت الفكرة وتمكنت من لب السامع، جاء النص يتوجها، ويزيدها نضارة وبهاء، ولعله بذلك يفترض أنه ربما قد يستمع إلى خطابه أو يقرأ كلامه ملحد لا يعترف بالنصوص الدينية، فيحسن البدء بالحجج العلمية والبراهين العقلية، حتى لا ينفر مثل هذا من الحديث ابتداء، فضلًا عن سعيه الحثيث إلى إثبات ما كان يعتقده، رحمه الله، في فهمه للإسلام على أنه دين يحترم العقل ويبجله، ولا تتعارض معه أبدًا حقيقة من حقائقه، ذلك الاعتقاد الذي طالما خاض المعارك مع شتى المذاهب الفكرية والاتجاهات العقدية من أجل إظهاره وتأكيده.

وهذا ما يحدونا على أن نعرج إلى سمة أخرى في نتاج الشيخ، تلك أن خطبه، رحمه الله، لم تكن بمعزل عن الواقع المعيش، والحياة الدائرة، والعلم المنطلق بسرعة الصاروخ، ولم تكن يومًا في واد وهذه كلها في آخر، بل كثيرًا ما كان يختار موضوعاته مما يدور حوله من قضايا يذكر فيها رأيه الذي يستند فيه إلى القرآن والسنة الصحيحة، بالإضافة إلى استلهام السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، كما سبق أن أشرنا، متأسيًا بما ثبت من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في المسائل المختلفة، رضي عن رأيه هذا من رضي وسخط من سخط.. ومن هذا أنه قد تحدث أناس بعدما أصاب مصر من نكسة في يونيو من عام ١٩٦٧عن أن هذه الهزيمة قريبة الشبه بغزوة أحد، فعقد الشيخ مقارنة أفاض فيها وفصل وأجاد ردًا على هؤلاء، بما يشعر المتلقي بأنه أمام محلل سياسي أو خبير استراتيجي، وكذلك فعل مع انتصارات أكتوبر الخالدة، وإن كان نشوبها قد وافق زيارة دعوية له إلى المغرب.. وغير ذلك كثير، وعلى كل المستويات الفكرية والسياسية والاجتماعية...إلخ.

وما نختم به هذه النظرة العجلى في النتاج الغزالي أنه كان متجدد الطرح، حاويًا لكل جديد ومثير، ففي الخطبة نشرة أسبوعية لما يهم المسلم من أحداث والتعليق عليها، وفيها غذاء للعقل، وشراب للروح، وإلهاب لحماسة النفس، وإحياء لموات القلب، وإيقاظ لكاسل الهمم، والمدهش حقًا أن كل هذا وغيره ربما جاء تحت عنوان تقليدي يُظن معه أن ما يندرج تحته سيتماهى مع ما يماثله عند غيره، ولعله بهذا يريد أن يعلم الدعاة أن الخطاب الديني معين لا ينضب، يستطيع المتأمل فيه بنفس صافية وعقل واع أن يأتي بما لم يأت به الأوائل.

من ذلك أن مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو أول مسجد بني في مصر، بل في إفريقيا كلها، كان مهجورًا، فلما أن أرادت الجهات المسؤولة أن تعمره اختارت الشيخ لأداء الخطبة فيه، لما كان له من جماهير عريضة، فاختار الشيخ موضوع الخطبة الأولى عن بناء النبي ﷺ للمسجد أول دخوله المدينة، وكيف كان دور ذلك المسجد في بناء الأمة، فكرًا وروحًا وسياسة وإيمانًا وثباتًا وجهادًا، وقد يكون هذا الموضوع، رغم مناسبته للمقام، تقليديًا، وكذلك حينما يكون الحديث عن الاستغفار وعن الباقيات الصالحات... لكن السامع لمحتوى هذه الموضوعات عند الغزالي يشعر بأنه يتلقاها لأول مرة، بفهم جديد وعناصر مختلفة ومضمون مغاير لما قد اعتاد عليه، وبسط ذلك والتمثيل له يطول، لكن حسب من أراد أن يقف عليه أن يستمع إلى هذه العناوين السابقة الذكر في خطب الشيخ وأحاديثه الموجودة بأكملها على الشبكة العنكبوتية على هذا الرابط http://www.ghazaly.mohdy.com/index.html

رحم الله الشيخ محمد الغزالي رحمة واسعة وسقى قبره بالبقيع الطاهر شآبيب الرحمة.. وصدق الله العلي الكبير الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه إذ يقول ﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.

المراجع:

- كتاب «خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة» ط دار الاعتصام، ج١.
- خطب وأحاديث الشيخ على شبكة الإنترنت على الرابط http://www.ghazaly.mohdy.com/index.html

(١) نقلًا عن عبدالرحمن الجبرتي في مقدمة كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار.

ثقافتنا.. ثقافة السلطان المطلق

ثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من أصول وفروع، كلها مغموس في «الدين» المتلقى عند النشأة. فهو لذلك صاحب السلطان المطلق المخفي على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعًا، سلطان لا ينكره إلا من لا يبالي بالتفكر في المنابع الأول التي تجعل الإنسان ناطقًا وعاقلًا ومبينًا عن نفسه، ومستبينًا عن غيره، فثقافة كل أمة مرآة جامعة في حيزها المحدود كل ما تشعث وتشتت وتباعد من ثقافة كل فرد من أبنائها على اختلاف مقاديرهم ومشاربهم ومذاهبهم ومداخلهم ومخارجهم في الحياة، وجوهر هذه المرآة هو «اللغة»، و«الدين» و«اللغة»، كما أسلفت، متداخلان تداخلًا غير قابل للفصل البتة.

فباطل كل البطلان أن يكون في هذه الدنيا على ما هي عليه «ثقافة» يمكن أن تكون «ثقافة عالمية»، أي ثقافة واحدة يشترك فيها البشر جميعًا ويمتزجون على اختلاف لغاتهم ومللهم ونحلهم وأجناسهم وأوطانهم، فهذا تدليس كبير، وإنما يراد بشيوع هذه المقولة بين الناس والأمم، هدف آخر يتعلق بفرض سيطرة أمة غالبة على أمم مغلوبة، لتبقى تبعًا لها، فالثقافات متعددة بتعدد الملل، ومتميزة بتميز الملل، ولكل ثقافة أسلوب في التفكير والنظر والاستدلال منتزع من «الدين» الذي تدين به لا محالة.

فالثقافات المتباينة تتحاور وتتناظر وتتناقش، ولكن لا تتداخل تداخلاً يفضي إلى الامتزاج البتة، ولا يأخذ بعضها عن بعض شيئًا، إلا بعد عرضه على أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، فإن استجاب للأسلوب أخذته وعدلته وخلصته من الشوائب، وإن استعصى نبذته واطرحته.

محمود محمد شاكر

الثقافة في الغرب.. سقوط المبادئ وزيف الادعاءات

مولاي المصطفى البرجاوي

تشْهد أميركا وأوروبا وغيرُهما من بلاد العالم منذ سنوات قريبة جنونًا جنسيًّا خطيرًا، سواء في عالم الأزْياء والتجْميل، أو في عالم الكتُب والأفلام، أو في عالم الواقع على كلّ صعيد، حتّى غدا الجِنْس الشُغل الشّاغل لمعظَم أفراد المَجموعة البشريّة؛ بل أَضْحت مُمارسته والإغْراق فيه حياة وقمّة للأمنيات لدى كثيرٍ من النّاس.

أدّى التدَهور في العلاقات الجنسيّة إلى أن هاجَمت الحركة النسويّة نظام الأسرة، واعتبرتْه مؤسّسة قهْر المرأة جنسيًّا، وطرحت الشّذوذ الجِنْسي كبديلٍ للزّواج، ومُخلّص للمرأة من سيْطرة الرّجُل، وفي بداية الخَمسينيّات طالبت الحركة النسويّة بشرعيّة مُمارسة الشّذوذ الجنسي قانونيًّا، وهكذا حدث الانتقال من المساواة إلى الاستعلاء ثمّ الاستغْناء.

في فرنسا مثلاً: أصبح ما يسمّى بـ «الرّباط الحُرّ» موضةً شائعة، وقد نتج عنه ظهورُ «أمّهات بدون أزواج»، حيث يوجد ٣٠٠ ألف مولود سنويًّا بلا أبٍ شرْعي، وهؤلاء ينتهي بِهم الأمر إلى فقدان الأب مدى الحياة!

في الغرْب إذن إباحيّة جنسيّة وشذوذ وهوس جنْسي دون رادع ولا ضابط، فبعض القوانين تُبيح زواج الشواذّ، وهناك الاعتِداء على المحارم والأبناء والبنات والأمّهات، ولكيْ يمكن

باحث في العلوم الاجتماعية والتواصل - كلية علوم التربية - الرباط

التّعامل مع بعض نتائج الانفلات الأخلاقي شُرِعَت القوانين التي تُبيح الإجهاض وتَمنع الحمل، ويتمّ توزيع وسائل منع الحمل على نطاق واسع في مُختلف أنحاء العالم بأسعار زهيدة جدًّا، وبأقلّ من التكلفة، وخصوصًا في دول العالم الثّالث والإسلامي، في حين أنّ الأصل هو نشر قيم الفضيلة والعفّة التي تَمنع الإنسان من اقتراف الرّذائل.

قال الدكتور البار محمد علي البار المستشار الصحّي لرابطة العالَم الإسلامي: «إنّ الأمر وصل إلى تعليم الأطفال مُمارسة الجنس في سنّ مبكّرة ومن خلال المدارس، تحت دعوى نشر الثّقافة الجنسيّة، وفي إحدى المدارس الأميركيّة قامت المعلّمة بممارسة الجنس مع التّلاميذ تحت ذريعة تثقيفهم جنسيًّا».

آليّات الثقافة الجنسيّة الغربيّة

تعرّف الأمم المتّحدة الثّقافة الجنسيّة بأنّها: «توفير معلومات كاملة ودقيقة عن السّلوك الجنسي الإيجابي المأمون والمسؤول (١)، بما في ذلك الاستخدام الطّوعي لوسائل الوقاية الذّكريّة المناسبة والفعّالة؛ بغية الوقاية من فيروس الإيدز» (٢).

ومع انتشار أمراض جنسيّة مستعصية على العلاج في الغرب، من بينها الإيدز، دأبت منظّمة الأمم المتّحدة من خلال مؤتمراتها على سَنّ مجموعة من الطرق، وهي في العمق تكريس وتعميق لجراح هذه الأمراض.

من بين هذه الطّرُق للوقاية من الانتقال الجنسي لفيروس العوز المناعي البشري، على حدّ تصوّرهم

الإجهاض الآمن الّذي يروّجون له بطريقة أو بأخرى هو إجهاض أجنّة الزنا

١- استعمال العازل الطبي: في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكّان عام ١٩٩٤م، جاء تحت بند معالجة الإيدز: «يرى المشروع أنّه ينبغي أن يُصبح تشجيع استخدام العوازل الطبّية الجيّدة النوعية، وتوريدها وتوزيعها بصورة موثوقة، عناصر لا تتجزّأ من جميع خدمات رعاية الصحّة التناسُليّة، وينبغي على جَميع المنظّمات الدوليّة ذات الصّلة، لاسيّما منظّمة الصحّة الدّوليّة، أن تزيد بصورة كبيرة من شرائها، كما ينبغي العمل على إتاحة الواقي الذّكري والعقاقير، للوقاية والعلاج من الأمراض المنقولة عن طريق الاتّصال الجنسي، على نطاق واسع وبأسعار زهيدة، مع إدراجها في جميع قوائم العقاقير الأساسية» (٣).

٢- **الإخلاص للشريك:** تعني كلمة «شريك» في مواثيق الأمم المتّحدة أيّ نوع من المساكنة بين اثنين، رجل وامرأة (ولو بدون رباط شرعي)، أو مُعاشرة بين رجُلين (اللواط)، أو امرأتين (السحاق)؛ ترويجًا لمصطلح الجندر (٤).

٣- الامتناع (٥): المقصود بالامتناع في لغة الأمم المتّحدة الاستمناء باليد (العادة السرّيّة المزدوجة)، ومُمارسة الجنس بدون تلامُس الأعضاء التناسليّة- ومُمارسة الجنس الفموي بدون قذف بالفم.

كما دعَوا إلى ما يسمّونه بـ «الإجهاض الآمن» (Safe Abortion)، هذا الإجهاض الآمن الّذي يروّجون له بطريقة أو بأخرى هو إجهاض أجنّة الزنا والحمل غير الشّرعي والمراهقات، والّذي يجرى بالطرُق غير المأمونة ومن وراء الكواليس، وفيه ما فيه من المضاعفات والمشاكل الصحّية.

ولكن هل يبرر لنا ذلك إباحة الإجهاض لهؤلاء الفتيات، أو حتّى المتزوّجات؛ تلبية لرغباتهنّ وحقوقهنّ الإنسانيّة؟

إنّ الإجهاض غير مسموح به في الشّريعة الإسلاميّة إلاّ في حالات خاصّة جدًّا ومَحدودة جدًّا، ثمّ يُقام بعد ذلك بالطّريقة المأمونة الصّحيحة تحت الإشراف الطبّي المتخصّص.

وحسب منظّمة مكافحة الإيدز العالمية، فإنّ أكثر من ٦٠٪ من الأزواج في هولندا والدنمارك وفرنسا والسويد وبريطانيا صاروا يلجأون إلى مُمارسات شاذّة أثناء المعاشرة الزوجيّة، ويبتعدون عن الممارسة الطبيعيّة الفطريّة؛ خوفًا من انتقال العدوى إليهم من أزواجهنّ أو زوجاتهم.

وكمثالٍ نُورد شهادة أحَد الشبّان

الأميركيّين، وفيها يقول: «إنّني متزوّج منذ ثلاث سنوات، وكنتُ متحمّسًا لإنجاب طفلَين، ومع أنّني صرت أقلق من أن تَنقل لي زوجتي فيروس الإيدز؛ لأنّني لا أعلم إن كانت تُمارس الجنس مع غيري، وبدوْرها صارت تَخاف منّي كلّما جَمعنا فِراشٌ واحد؛ لقلقها من أن أكون حاملاً لفيروس الإيدز من ممارسة جنسيّة قُمت بها خارج فراش الزوجيّة، ومع أنّنا نقوم بزيارة مخابر التّحاليل كلّ ثلاثة أشهُر معًا لنتأكّد من خلوّنا من الفيروس فإنّ الشّكّ يلازم كلَيْنا، وقد تحوّل الشّكّ إلى خوف من أن نُنجب أولادًا يكونون مصابين بالإيدز؛ لهذا قمتُ بعمليّة «نسلس» لأمنع أي احتمال للإنجاب» (٦).

والخطير في الأمر: ما ذكرتْه بعض وكالات الأنباء الغربيّة عن دور الأفلام الغربيّة في التربية على الثّقافة الجنسية المزعومة، وتأثيرها الواضح على المراهقين، وهذه قصة واقعية حيثُ كانت إحدى العاملات الأميركيّات- تدعى باتس بايرز- قد تعرّضت لعمليّة اغتصاب في مارس سنة ١٩٩٥م، ممّا أقعدها عن العمل نتيجة الشّلل الذي أصابَها من جرّاء العمليّة (الاغتصاب)، وأرجعت السّبب وراء هذه الجريمة إلى فيلم «مولد القتلى» للمخرج الأميركي أليفرستون، ممّا أدّى إلى مُحاكمة هذا الأخير على فيلمه، لكنّ المخرج دافع عن نفسه معتمدًا على مقولة للكاتب المسرحي شكسبير: «إنّ الفنّانين لا يَخترعون الأحداث، إنّما يعكسون الواقِع في أعمالهم!»

هذه بعض الأفكار- ولم أقف عند كل التفاصيل- الّتي طرحتها، ليس تهكمًا واستهزاءً وشماتةً في أمّة الإسلام، لا وألف لا، ولكنّ إسداءٌ للنُّصح عَسَى- إن شاء الله- أن تُبصر عيونًا عُميًا وتُنير قلوبًا غُلفًا، وإلا ما فائدة القَلَم إذا لم يفتح فكرًا، أو يضمّد جرحًا، أو يُطهّر قلبًا، أو يَكشف زَيفًا، أو يَبني صَرحًا، ويرد الإنسان المسلم عن غيّه وضلاله؟!

ورَحِم الله الشاعر إذ يقول:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلاّ سَيَفْنَى
وَيبْقي الدّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاه
فَلا تَكْتُبْ بِكَفّكَ غَيْرَ شَيْءٍ
يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أنْ تَرَاه

الهوامش

١- تعريف الجنس الآمن: هو استخدام كافّة الوسائل أثناء الممارسة الجنسيّة لمنع الحمْل ومنْع الإصابة بالأمراض الجنسيّة، وأما الجنس المسؤول: فهو الاستخدام الطّوعي لهذه الوسائل بالاتّفاق مع الآخر، الغريب في الأمر أنّ نرى هذا الطّرح يتم عرضُه من قبل العلمانيين؛ إذ يردّون النسبة المهولة من أمراض الإيدز المتزايدة في بعض بلدان العالم الإسلامي إلى عدم استعمال وسائل الوقاية منه!

٢- وثيقة بكين ١٩٩٥، البند ١٠٨.

٣- الأمم المتحدة، إعلان ومنهاج عمل بكّين مع الإعلان السياسي والوثيقة الختاميّة لمؤتمر بكين بعد خمس سنوات، نيويورك، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ٢٠٠٢م.

٤- ومن الطّرائف السّائدة في إنجلترا، ما ذكره المفكّر فهمي هويدي، أنّ رجلاً كبيرًا في السّنّ أراد الهجْرة خارج إنجلترا، فاستغرب النّاس وسألوه: لماذا، أنت الذي عشت عمرَك فيها حتّى كبرت؟! فقال: والله زمان كان الشّذوذ أمرًا يعاقب عليه القانون، والآن أصبح القانون يُدافع عنه، وأصبح للشاذّين حقوق، فأنا أهاجر من هنا قبل أن يُصبح الشّذوذ إجباريًا! أمّا مصطلح الجندر Gender، فهو من المصطلحات الجديدة، وأوّل ظهور لهذا المصطلح كان في وثيقة مؤتمر المرأة الرّابع في بكين، وقد اعترضت كثيرٌ من الدول والوفود على هذا المصطلح، وطلبت تفسيرًا دقيقًا لمعناه، ولم تكن إجابات واضحة في ذلك الوقت، لكن فيما بعد اتّضح أنّ الجندر يعْني النّوع، وهو بديل عن كلمة جنس SEX الّتي تشير إلى الذّكر والأنثى، وهذا التّحريف في اللغة والمفهوم يهدف إلى إزالة كلّ الفوارق البيولوجيّة والنفسيّة بين الجنسين، ويتجاهَل في الوقت نفسه الأدْوار التكامليّة بينهما إلى حدّ التّطابق، وإلى تَمرير ما سمّته مؤتمرات الأمم المتّحدة «التنوع الجنسي» أو «المثليّة الجنسيّة» الذي يعني الاتّصال الجنسي بين رجُلين (اللواط) أو بين امرأتين (السحاق)، أو بين رجل وامرأة (الاتّصال الفطري)، ذلك أنّ كلمة SEX لا تشْمل هذه المعاني كلّها فهي مقيدة بضوابط لا تخلّ بالفطرة الإنسانيّة السليمة.

٥- انظر كتاب (الرعاية التمريضيّة لمرضى الإيدز)، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م، ص١٨

٦- أحمد بن أحمد حمادة: هذا ما أوصلتهم إليه تشريعاتهم الإباحية! مجلة الوعي الإسلامي، العدد٤٨٧، ربيع أول١٤٢٧، ص: ٨٢.

الدور الثقافي للاستشراق

د. محمد العمراوي

لا يشك باحث أن المستشرقين عكفوا على دراسة التراث الإسلامي، وبذلوا جهودا مضنية في التعامل مع هذا التراث- بدءا بتعلم اللغة العربية، وانتهاء بدراسة القرآن والحديث - ونشروا الكثير من الدراسات والابحاث عن الإسلام وتاريخه وحضارته وعلومه وآدابه، وفتحوا أبوابا لم يكن المسلمون في الأزمنة المتأخرة يفكرون في فتحها، وقد أدت هذه الحركة الثقافية الاستشراقية الى نتائج إيجابية وأخرى سلبية، نعرض لكليهما بإيجاز في النقاط الآتية:

في القسم الأول نذكر..

١- المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، بالتحقيق والطبع والفهرسة والنشر وغير ذلك- وإن كان كل ذلك لا يخلو من هنات، ولا يسلم من العثرات، والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل ما قام به «ونسنك» في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» و«مفتاح كنوز السنة» وكتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، طبع باعتناء أوتويرتزل، وكتاب «طبقات القراء» للذهبي طبع باعتناء المستشرق: برجتشتراسر. وكتاب «اختلاف الفقهاء» للطبري، طبع باعتناء مستشرق آخر، لا يحضرني اسمه... وهلم جرا.

٢- التعريف بالثقافة الإسلامية ونشر مفاهيمها بين المثقفين الغربيين، مثاله: ما قام به غوستاف لوبون في كتاب «حضارة العرب» وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» وغيرهما ممن كان العلم رائده والحق مقصده مع الأخذ بعين الاعتبار ما يقع فيه هؤلاء من أخطاء، بحكم خلفيتهم الثقافية والدينية، ومع

أدت الحركة الثقافية الإستشراقية إلى نتائج إيجابية وأخرى سلبية

كون بروكلمان أجاد بعض إجادة في كتابه السالف الذكر، فإنه لم يسلم في غيره من التحامل على المجتمع الإسلامي، وتلك طبيعة المستشرقين في الأعم الأغلب.. يقول في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»: وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين، فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية- أي القطيع! (١١).

٣- إثارة همم المثقفين المسلمين، وتحفيزهم للمشاركة في تحقيق التراث، وإزاحة غبار القرون عنه، هذا من جهة ومن جهة أخرى دفع هؤلاء المثقفين وتحريكهم لتوضيح حقائق الإسلام ورد الشبهات وكشف زيف دعوات الخصوم، وقد أدى هذا بالفعل الى الخروج من جمود القرون الماضية، وأحدث في المجتمع الإسلامي ديناميكية ثقافية جديدة، «ورب ضارة نافعة».

وفي القسم الثاني نذكر..

١- إثارة الشبهات حول الوحي بعامة والسنة بخاصة، والذي تولى كبر ذلك: المستشرق المجري المسمى «جولد تسهير» ١٨٥٠-١٩٢١ ويعتبر جولد شيخ المستشرقين وإمامهم.

٢- تعمد تشويه التاريخ الإسلامي، ومن غريب ما وقع من ذلك ما زعمه مرجليوث من أن حديث القرآن عن مجيء إبراهيم الى مكة، حديث مفتعل، ومرد ذلك الافتعال: الرغبة في تأليف اليهود، وهذه وحدها كافية لمعرفة مستوى القوم في البحث العلمي الحر والنزيه.

٣- التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي، والدعوى بأن هذا الفقه العظيم الذي لم تعرف له البشرية مثيلا- لا من جهة قواعده وأصوله، ولا من حيث ما يشتمل عليه من ثروة قانونية هائلة- مأخوذ من فقه الرومان، وأن المصطلحات الشرعية مستقاة من كتب اليهود..

٤- تخريج جيل متشبع بثقافة الاستشراق، يقلد القوم في أخطائهم، ويردد بوعي أو بلا وعي مقولاتهم، وهذه أخطر نتائج الاستشراق. يقول ليبولد فايس: «أصبح احتقار الإسلام جزءا اساسيا من التفكير الأوروبي، ومن هنا كان عمل الفرنسيين متجها الى تشكيك المسلمين في دينهم

باحث مغربي

في مؤتمر دولي نظمته كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة

أهمية دور المرأة المسلمة في حوار الحضارات والثقافات

القاهرة: بدر محمد بدر

عقد مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة مؤتمرًا دوليًا بعنوان «دور المرأة في حوار الثقافات والحضارات.. الحضور والفاعلية» على مدى يومي ٣١ أكتوبر والأول من نوفمبر ٢٠١٠م شارك فيه نخبة من الخبراء من مصر وفلسطين وقطر والإمارات والمغرب ولبنان وإنجلترا وإيطاليا.

ناقش المشاركون في المؤتمر عدة أبحاث اخترنا منها أثنين، سنعرض لها في هذه المساحة، من يمثل المرأة المسلمة؟

والبحث الثاني الذي اخترناه قدمته د.أميمة أبوبكر أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية الآداب جامعة القاهرة، وهو بعنوان: «من يتحدث باسم المرأة المسلمة اليوم: قراءة في أدبيات السير الذاتية في الغرب» وهذا البحث معني بقضية إنتاج المعرفة عن «المرأة المسلمة» من خلال السير أو المذكرات والسرديات الشخصية في الغرب، والتي أصبحت صناعة وتسويقا لصورة معينة يتم تشكيلها وتوظيفها لأغراض مسبقة، تتعلق بأطروحات صدام الثقافات أو تراتبها ما بين ثقافات ليبرالية تنويرية وثقافات متخلفة ظلامية، أي الهدف هو النظر بالأساس إلى «سياسات» هذا التصنيع والترويج والتنافس على تقديم الذات مع الزعم بتمثيل الكل.

ويقدم البحث عرضا لثلاثة أعمال لاقت رواجا كثيرا في السنوات العشر الأخيرة باعتبارها تجتمع على تجسيد معاناة ذلك المخلوق الغامض «المرأة في الإسلام»، وبالإضافة إلى ذلك فهي سرديات شخصية بقلم «إمرأة مسلمة»

القوامة تعني توفير الرجل المتطلبات المادية لسد احتياجات الأسرة.. وتوفير الحماية والرعاية وسياسة الأسرة بالعدل

تتحدث عن نفسها وباسم النساء المسلمات في كل زمان ومكان، وكذلك تذكر الباحثة أعمالا من فصيل مغاير يقدم تجربة المرأة المسلمة في المجتمع الغربي، من وجهة نظر مختلفة أكثر صدقا وخالية من الاستخدام السياسي، وتحاول الدراسة تحليل هذه الظاهرة من منظور النقد الأدبي والثقافي.

وتشير الباحثة إلى أنه ظهر في السنوات العشر الأخيرة كتابات مثل «مأزق الإسلام: ٢٠٠٣» لإرشاد منجي، و«الوقوف وحيدة في مكة: ٢٠٠٥» لإسراء نعماني، و«كافرة: ٢٠٠٧» لآيان حرزي علي، وتم الاحتفاء بها من قبل الغرب، بزعم أنها كتابات تفسح المجال لأول مرة لنساء مسلمات يتحدثن عن أنفسهن -على طريقة وشهد شاهد من أهلها- وتقدم إطلالة أصيلة حقيقية من الداخل على النشأة والحياة كفتاة في ظل الإسلام والثقافة الإسلامية، ولكن عند تحليل هذه الكتابات تحليلا دقيقا، نجد أنها مجرد إعادة وتطوير لنفس الصور النمطية القديمة، التي عرفت في الدراسات الثقافية والتاريخية بظاهرة «الحريم الكولونيالي» ولكن في ثوب جديد، وتحت مسمى الشهادات من الداخل، وهذا أخطر وأكثر تسللا، لأن الكتابات تستدرج المستهلك الغربي في سياق ما بعد سبتمبر ٢٠٠١، المجهز لاستقبال أي معلومات تغذي وتبرر «الإسلاموفوبيا» المتصاعدة.

وتتساءل الباحثة في النهاية: من إذن يعبر عن صوت المرأة المسلمة الصادق؟ ومن له حق التمثيل ليس فقط عن المسلمات والمسلمين في كل مكان، ولكن عن مبادئ الإسلام وتراثه وثقافته؟ وتجيب: «أعتقد أنه من واجبنا كباحثات أن ننفي صفة التمثيل المطلق عن مثل هذه الأدبيات، الموجهة لخدمة عنصرية جديدة واستشراقية جديدة، ونكشف زيف هذا الزعم بالأصالة والشجاعة ونقد الذات، بينما نشجع الإبداعات التي تتسم فعلا بتعبيرية صادقة عن تجربة المسلمة في المجتمعات الغربية «كمسلمة»، والتي لا تكون ورقة سياسية أو أوراق اعتماد وقبول لدى ماكينة الاستهلاك الغربية.

والبحث الثاني قدمه د.سعيد عبدالله حارب مستشار مدير جامعة

الإمارات العربية المتحدة بعنوان: «دور المرأة في حوار الثقافات من منظور إسلامي» أكد فيه أن الحوار بين الحضارات ضرورة إنسانية من أجل التعايش بين البشر والتعاون بينهم لمواجهة المشكلات والتحديات التي يسببها الإنسان كالحروب والصراعات، أو لمعالجة الآثار التي تخلفها الطبيعة، ولذا فلابد من تعزيز الحوار بين الحضارات والثقافات.

أسس وشروط

ولابد للحوار من أسس وقواعد وشروط تضبطه، ومن أبرز هذه الشروط الاعتراف بالآخر وبثقافته وإسهامه الحضاري، واحترام خصوصيته الثقافية، واعتبار التنوع الثقافي وسيلة لإثراء الحضارة الإنسانية وليس سببا في تفريقها.

ويرى حارب أن الثقافة هي أبرز ما أبدعته البشرية على مر التاريخ، فهي المعبر الحقيقي عن حياة الإنسان في فكره وعمله وعاداته وتقاليده وفنونه، والثقافة عمل تراكمي يزداد مع مرور الزمن ويتطور مع أيامه، وهي تزيد ولا تنقص لأن كل جيل من الأجيال يضيف رصيدا جديدا من الثقافة إلى من سبقه من البشر، وهكذا نشأ التقدم العلمي، والثقافة هي الصورة الواضحة للتعبير عن الإنسان والشعوب بشخصيتها المعبر عنها بأديانها وقيمها وعاداتها وإبداعها.

والحوار الثقافي هو المنهج الطبيعي في التواصل بين البشر، وإذا كانت أسباب الاختلاف تتعدد لتقسم الناس بسبب أديانهم أو ألوانهم أو لغاتهم أو أعرافهم، فإن الثقافة هي المساحة الواسعة للتواصل وتكوين القاسم المشترك بين الناس.

ولاشك أن تعرف كل ثقافة على ثقافة الآخرين يولد لدى أبناء هذه الثقافات وعيا مزدوجا، وعيا بخصوصية وطبيعة الثقافة الوطنية أولا، ووعيا بوجود إرث ثقافي مشترك لدى سائر الثقافات الإنسانية ثانيا، مما يعني أن معرفة الآخرين تتيح فرصة معرفة الذات، وأثناء ذلك علينا أن ندرك ما تواجهه ثقافتنا من تحديات التجديد والتجويد وامتحان الانغماس الضروري في الحضارة العلمية الثقافية وإبداعها، وما تواجهه أيضا من مخاطر تهدد خصوصيتها وهويتها أصلا وجوهرا.

وأكد حارب أن الحوار يعد سمة رئيسية للحضارة العربية الإسلامية التي تؤمن بها وتستمدها من عالمية الرسالة الإسلامية واعترافها بالتنوع الثقافي والإنساني، وقد قامت على أساس التفاعل الحضاري، وكانت حضارة الإسلام ولا تزال مثالا نادرا للتفاعل بين الحضارات.

وأشار إلى أهمية الحوار بين الثقافات وضرورته لأسباب منها: تراجع التنوع الثقافي بين البشر ومحاولة فرض ثقافة أحادية على بقية الثقافات البشرية، مما يهدد بضياع الهوية الوطنية للأفراد ويدفعها للبحث عنها والتعبير عن ذلك بأساليب قد تتجه نحو العنف أو الانعزال.

وأكد الباحث أن المرأة عنصر فاعل في الحياة البشرية، وتمارس أدوارا أساسية لا يمكن التخلي عنها، لذا فإن دورها في حوار الحضارات والثقافات جزء من هذه الأدوار، ويجب أن تمكن المرأة من القيام به.

وحتى يكون الحوار ناجحا لابد من تحديد أهداف واضحة مبتغاة منه وفي مقدمتها السعي للتعارف بين شعوب العالم ونشر ثقافة السلام والتسامح والعدالة والحرية وحقوق الإنسان ونشر الخير للبشرية.

مكانة متميزة

وأكد حارب أن الإسلام وضع المرأة في مكانة عالية ومتميزة، وقد عني القرآن الكريم بإبراز نماذج من حوار المرأة ليس في الإسلام وحده بل في الديانات السماوية الأخرى، وجعل الإسلام المرأة مساوية للرجل في التكاليف والأدوار، ولابد من إبراز هذا التكريم وإعطاء المرأة دورها الطبيعي لتقوم بدورها في الحوار.

ويجب مواجهة الرؤية الاجتماعية السلبية لدور المرأة في الحياة، وإزالة المعوقات التي تقف أمام المرأة ومنها التفسيرات المتشددة لبعض النصوص الدينية وضعف مشاركة المرأة في مؤسسات المجتمع المدني وفي الحياة العامة، وانتشار الأمية بنسب مرتفعة وغيرها.

ثقافة مطمئنة

محمد إلهامي

كان السويسري هانس كونج قسيسا مرموقا، وأستاذا للّاهوت، وقد وصل في المراتب إلى أن عينه البابا السابق للفاتيكان يوحنا بولس مستشارا وخبيرا لأعضاء مجلس الفاتيكان، وهو قرينٌ للبابا الحالي بندكت السادس عشر، إلا أنه نشر عام ١٩٧١ كتابه «معصوما من الخطأ» والذي تبنى فيه القول بعدم معصومية البابوية، فأزيح من مناصبه وحرم من التدريس كعالم لاهوت، ثم إنه ابتكر مشروعا وتبناه وعمل عليه بدأب شديد، ذلك هو مشروع «الأخلاق العالمية» الذي يدعو جميع البشر إلى التوحد على الأخلاق الأساسية التي وُجدت في كل الأديان والثقافات الكبرى.. يؤمن هانس كونج بأن البشر جميعا متفقون في أصول هذه الأخلاق، ومن ثم فإنه يمكنهم بالتمسك بها أن يصنعوا حياة أفضل يظللها تعايش إنساني واقفٌ على هذه الأرضية المشتركة.

لفت نظري عبارة قالها هانس كونج في محاضرته التي ألقاها في افتتاح ملتقى أديان العالم بجامعة سانتا كلارا في (٢٠٠٥/٣/٣١)، ففيها كان يؤكد على أن الأديان ليست عقبة في سبيل التعايش الإنساني، بل إن لديها القدرة الدائمة على تطوير نفسها وتقديم نماذج جديدة استجابة للمستجدات الحديثة، واستدل على هذا بأن هذه الأديان تعرضت من قبل لحركات إصلاحية؛ فلقد «مرّ عصر الإصلاح المسيحي بمرحلة أخرى من تغير النموذج، تلك المعروفة بالتنوير، أما اليهودية بعد الثورة الفرنسية ونابليون فقد مرت بتجربة حقبة التنوير أولا، وكنتيجة، مرت أيضا على الأقل بمرحلة الإصلاح اليهودي، وبتجربة الإصلاح الديني»، لكنه عند الإسلام قال: «أما الإسلام، على الرغم من ذلك، فلم يشهد أي إصلاح ديني، ولهذا فإنه حتى يومنا هذا يواجه بعض المشكلات الخاصة أيضا فيما يتعلق بتعامله مع الحداثة وعناصرها الجوهرية، حرية الوعي، والدين، حقوق الإنسان، التسامح والديموقراطية» (١).

ولست ممن يسيء الظن بالرجل، فإن عامة كلامه من قبل ومن بعد عن الإسلام

الأمة الإسلامية لا تعاني هزيمة ثقافية بل هي حقاً مطمئنة إلى دينها الذي هو ثقافتها

جيد بل جميل جدا، لاسيما في كتابه «الإسلام.. الماضي والحاضر والمستقبل» والذي جعل فصله الأخير بعنوان «الإسلام رمز الأمل».

إلا أن الشاهد الذي يهمنا الآن يتمثل في أن خبير الأديان هذا أقَرّ- وإن بعبارة مهذبة لطيفة- بأن الديانات الأخرى أُجْبِرَت على تطوير نفسها، من خلال حركات إصلاحية وعبر مجازر ومذابح وحروب دينية طويلة، وأن هذا لم يحدث للإسلام الذي ظل على حاله ولم يتعرض لمحاولات «إصلاحية عميقة».

وهذه النتيجة التي وصل إليها كونج، وإن كانت في نظره من السلبيات، يرى المسلمون عكسها تماما؛ إذ يؤمنون بأن الله يبعث في كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأن الشريعة الإسلامية لها من عوامل السعة والمرونة ما يُمَكّنها من استيعاب كل المستجدات في عالم البشر، كما أن تاريخا كاد يبلغ ألفا وخمسمائة من السنين يشهد بأن الثقافة الإسلامية لم تتعرض لما يمكن أن نسميه «محنة ثقافية»، فكلما بدا في الأفق شيء من الخروج على أصول الثقافة الإسلامية هيأ الله لها من المجددين من يجابهها، فكان- كما يقول العلامة رشيد رضا- الإمام أحمد في مواجهة المعتزلة، وكان الغزالي في مواجهة تيار الفلسفة والباطنية، وكان ابن حزم في مواجهة الجمود والتقليد وتعظيم أقوال الأئمة على النصوص الشرعية، وكان ابن تيمية وابن القيم في مواجهة المذاهب الكلامية والتصوفية الإلحادية(٢)... وهكذا.

إن رؤية كونج صحيحة على مستوى أن الإسلام لم يتعرض لحركة «إصلاح» جذرية، فلم تتعرض المفاهيم الأصيلة أو الثوابت الكبرى للنقد والتغيير، فضلا عن العبادات والطقوس.

يتجلى هذا المعنى حين نرى أن الكَمّ الأكبر من الفلسفات الغربية والتيارات الإصلاحية الغربية مَثّلت «انقلابا»

باحث في التاريخ والتراث

على الدين نفسه أو على أصول راسخة فيه، بينما كانت الفلسفات والتيارات الإصلاحية الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي تُقَدِّم نفسها على أنها «الفهم الصحيح للدين» لا على أنها «انقلاب» عليه، ولم تدخل العلمانية- التي تمثل انقلابا على الدين نفسه- بلاد المسلمين إلا على يد الاستعمار أو أتباعه بالقوة والقهر ثم هي لم تنجح في أن تكون تيارا أو ظاهرة حتى الآن برغم كل ما امتلكته من وسائل وانفراد بساحة التأثير أكثر من مائة عام.

وإذن، فقد احتفظت الثقافة الإسلامية بالاستقرار والرسوخ في أصولها وثوابتها ومفاهيمها الكبرى، غير أنها في ذات الوقت كانت قادرة على أن تستوعب وتتعايش وتتفاعل مع ثقافات تمتد على طول المساحة التي وصل إليها الإسلام من المعمورة، فتعرضت «لاختبارات ثقافية» بعدد ما واجهته من شعوب مختلفة وبيئات مختلفة، وهي اختبارات استمرت لأربعة عشر قرنا، ثم هي مازالت تنجح في هذا الاختبار.

هي إذن ثقافة راسخة وثابتة في أصولها، ولكنها ذات قدرة على التفاعل والتعايش والمواجهة.. هي إذن «ثقافة مطمئنة».

والثقافة التي نعنيها- كما قال العلامة محمود شاكر- هي «التي تذوب في بنيان الإنسان وتجري منه مجرى الدم لا يكاد يحس به، لا من حيث هي معارف متنوعة تُدرك بالعقل وحسب، بل من حيث هي معارف يؤمن بصحتها من طريق العقل والقلب، ومن حيث هي معارف مطلوبة للعمل بها، والالتزام بما يوجبه ذاك الإيمان»(٣).

ولقد تجلى هذا مبكرا في الحياة الإسلامية، منذ وقف جعفر- رضي الله

عنه- أمام النجاشي وشرح له الإسلام بعبارات جامعة مانعة، برغم أنه رجل خارج من بيئة قبلية وهو الآن في بيئة حضرية، ويعتنق فكرة جديدة مطاردة وضعيفة ثم هو يشرحها لملك يعتنق ديانة رسخت منذ ستة قرون وصار لها دول وحضارة.. لقد كان مطمئنا، حتى بعد أن اضطر إلى أن يخوض في موطن الخلاف الجوهري «ماذا تقولون في المسيح؟»، لم يفارقه اطمئنانه بالدين فقال ما يؤمن به ولو كان فيه احتمال الهلكة.

كذلك تجلى هذا الاطمئنان بأوضح من هذا في موقف ربعي بن عامر أمام رستم، إذ تجاوز «الصدمة الحضارية» التي أرادها قائد الفرس، أو قل لم ينتبه لها أصلا، فسار يخرق النمارق ويُفسد الوسائد ثم قال بثبات واعتزاز «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ونحن نؤمن بأن هذا الاطمئنان سيظل إلى آخر لحظات الدنيا، إلى ذلك الرجل الذي أخبر النبي ﷺ أنه يخرج لمواجهة المسيح الدجال، والدجال يومئذ جعل من نفسه ربًّا وله عبيد، ومعه كنوز الأرض، ومعه جنة ونار؛ قال ﷺ: «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح (الشُرطة) مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يأيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيُشبَح فيقول: خذوه شجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال: فيقول أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار (يُنشر بالمِنْشار) من مفرقه (رأسه) حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائما، قال: ثم يقول له أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، قال: ثم يقول يأيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيُجْعَل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين» (رواه مسلم).

إن هذا يُثبت لنا أن الحضارة ليست تفوقا ماديا فقط، بل هي- قبل هذا ومعه- تفوق ثقافي، أو إذا أردنا الدقة «اطمئنان ثقافي».. ويحتاج هذا لبعض تفسير.

إن سقوط الحضارات كان دائما أمام مجموعات أقل منها في المظاهر الحضارية، وقد حدث غير مرة أن أَسَرَت الحضارةُ المهزومة مجموعات المنتصرين، يحدث هذا الأَسْر إذا كانت ثقافة المهزومين متفوقة على ثقافة المنتصرين.

وبهذا نفسر كيف لم تتهيب جيوش المسلمين حضارات الروم وفارس التي قضت في الزمان أكثر من عشرة قرون، فيما هم بدو خرجوا قبل قليل من

الصحراء، كانت الجيوش مطمئنة إلى دينها- الذي هو هو ثقافتها- فلم تأسرهم حضارات الآخرين، بل استفادوا هم منها لصنع حضارتهم الجديدة.

وبهذا نفسر أيضا دخول المغول والأتراك في الإسلام؛ ذلك أن لم تكن لهم حضارة من قبله، فهم على الرغم من انتصارهم العسكري على المسلمين فإنه لم يمض كثير وقت حتى دخلوا في الإسلام وجددوا حضارته مرة أخرى في الهند ووسط آسيا والقوقاز وفي آسيا الصغرى وأوروبا.

ولا نجد حتى في لحظات الانهيار الحضاري للمسلمين انخلاعا من الإسلام إلا على مستوى القليل النادر ممن خطف أبصارهم بريقٌ آخر، وهؤلاء هم الذين لم يكونوا مطمئنين بالإيمان، فهُزموا في ميدان الحضارة، أما عامة المسلمين ومعهم نخبتهم الأصيلة فلهم موقف آخر؛ فالجبرتي مثلا نراه في لحظة الانهيار العسكري والحضاري أمام الحملة الفرنسية يفسر الحال بأنه «اختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع»(٤)، ثم يأخذ في نقد الفرنسيين نقد مطمئن بنفسه وثقافته، فلم يبهره تفوقهم، بل أبان عن عوامل تفوقهم وعن غوائل تجبرهم.

وتاريخ القرن الماضي كله ينتصب دليلا على أن الأمة المسلمة احتفظت بثقافتها برغم كل ما سُلّط عليها من وسائل تحملها على أن تسير ذات اليمين وذات الشمال، ولا يعوز الأمة الآن إلا أن يقودها من يعبر عنها، فإن نكبتنا الثقافية والحضارية في هذه الحقبة ليست إلا لغياب هذا العامل.

إن الغوص في أعماق الناس يكشف أن الأمة لا تعاني هزيمة ثقافية، بل هي حقا مطمئنة إلى دينها الذي هو ثقافتها، وليست تجري انتخابات «شبه» نزيهة في أي دولة إلا ويكتسحها المعبرون عن هويتها وثقافتها بسهولة، وكل هذه المظاهر التي تبدو على السطح من آثار التغريب والانحلال ليست إلا كحال عمار بن ياسر- رضي الله عنه- حين نطق بكلمة الكفر بعد طول العذاب الشديد، إلا أن قلبه كان مطمئنا بالإيمان!

ثمة دليلان رئيسيان يثبتان أن الإسلام «ثقافة مطمئنة»:

الأول: أنه لم يُكره أحدا على اعتناقه، واعترف للآخرين بحرية اختيار أديانهم، بل سار في المسار بأبعد من هذا، فجعل رعاية هذه الحرية من مهماته، بل إن مونتجمري وات يسير أبعد من هذا فيقول «هناك اهتمام في الإحصاءات الإرسالية (التبشيرية) بعدد المتحوّلين للمسيحية، وبزيادة الأعضاء المنتمين للكنائس المحلية، والمسيحية في هذا الصدد تصل إلى حَدّ التناقض مع الإسلام، فرغم أنه دين دعوة كالمسيحية، إلا أنه أقلّ تباهيًا بالداخلين فيه؛ فالمجتمع الإسلامي يجذب أناسًا إلى الإسلام لمجرّد قبولهم كإخوة (في الإسلام)، وهذا الاتجاه لا يَتّخذه إلا أصحاب دينٍ واثقون من دينهم ثقة عظيمة لا تجعلهم يؤكدونها بالإحصاءات، بينما نجد المسيحيين الغربيين يمرُّون بأزمة ثقة في النفس»(٥).

والثاني: أنه على طول هذا التاريخ لم يتعرض «لمحنة ثقافية» كتلك التي تعرضت لها المسيحية في أوروبا مع اكتشاف الحقائق العلمية، ومع ظهور المذاهب الإصلاحية المسيحية، ومع ظهور الإسلام كذلك.. وغاية ما يمكن أن يُذكَر في هذا الأمر هو نشوء المذاهب المنحرفة، وهي المذاهب التي لم يُكتب لها البقاء طويلا، ولا تُقرأ الآن إلا في مجال دراسة التاريخ الفكري.

إن العولمة الثقافية أزمة حقيقية تواجه أصحاب الثقافات التي لا تمتلك من الإمكانات ما تستطيع به التعبير عن نفسها أو حتى صد الهجمة الثقافية التي تتسلح بالإمكانات الحديثة، ولهذا فالنظر إلى هذه الأزمة من حيث إدراك خطورتها والتنبيه عليها والدعوة للحذر منها وترتيب الخطط والوسائل لدفعها عن ثقافتنا الإسلامية هو عمل جليل ولا ريب، بل هو عمل واجب يفرضه الدين وتَطلُبه الفطرة الإنسانية، ولذا فلاريب في أن تصوير خطر العولمة والتهديد الثقافي على سبيل التنبيه والتحفيز وإعداد العدة هو من واجبات المرحلة.

لكن توسيع دائرة الرؤية وعدم حصرها في هذه اللحظة التاريخية يكشف لنا أن أزمة العولمة على الثقافة الإسلامية ستكون كغيرها من الأزمات التي اشرأبت بنفسها واكتست زينة واكتسبت بريقا، ثم تهاوت بعدئذ وصارت أحاديث!

ولذا فلسنا نخاف على الثقافة الإسلامية، فهي ثقافة راسخة أصيلة.. إنما التحدي الواجب في هذه اللحظة أن ننظر في الطريقة الأمثل التي تتفاعل بها مع هذه التحديات المستجدة، فهي- أيضًا- ثقافة قادرة على التفاعل والاستيعاب والتعايش وكذلك على المواجهة.. ونحن لن نفعل هذا ولا ذاك على وجه الصحة ما لم نوقن ونؤمن في قرارة أنفسنا أولا بأن الإسلام «ثقافة مطمئنة».

الهوامش

(١) هانس كونج: الإسلام رمز الأمل؛ القيم الأخلاقية المشتركة للأديان، ترجمة رانيا خلاف، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م. ص٣٧.

(٢) محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، دار الفضيلة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ١/ج.

(٣) محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص٣٠.

(٤) الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل- بيروت. ١٧٩/٢.

(٥) مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ص٢٢٥، ٢٢٦.

المصلحون والثقافة

أحمد عبدالجواد زايدة

إذا كان الحديثُ عن الثقافة أمرًا إنسانيا بالمقام الرئيسي فإن الحديثَ عن «المصلحين والثقافة» أمرٌ فى غاية الأهمية والحساسية، إذ أنه من المفترضَ أن «المصلحين» هم المتصدرون للإصلاح والإرشاد والتوجيه، فكل إنسان مسلم يتصدرُ ويواجه هذه المهمة فأمر الثقافة بالنسبة له أمر واجب وأساسي لا غنى عنه، بل قل إنه لا يمكن وجود «مصلح» ولا يليق به أن يكون «مصلحا» بدون أن يكون له قدرٌ من الثقافة والمعرفة «وبناء الوعي»!

لا يخفى أن بوابةَ الثقافة والمعرفة ومفتاحَها الأساسي إنما هو «اقرأ» ذلكم الأمر القرآني الذي نزل- أول ما نزل- على رسول الله ﷺ قبل كل الأوامر والنواهي للتبليغ والنذارة وبدء الدعوة.. كانت «اقرأ» (في البدء كانت اقرأ)، فهذا هو البيان المناسب لوقت الحاجة، والمقرر أصوليًا أنه «لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة» .

ولأحد المفكرين تعقيب لطيف هنا، أنه لم يكن أولُ أمر نزل على رسول الله ﷺ «جاهد أو دافع» مع أن مجاهدة الكافرين الصادين عن دعوة الله ومدافعتهم في أول نشأتها كانت ملحة، ولم تكن «بلغ واصدع وادع» مع أن النذارة والتبليغ فى ذلك الوقت كانا مطلوبين كي يعلمَ الناسُ دعوةَ الله ودينَه الحق، ولكن الأمر الرباني كان «اقرأ» سابقا على كل هذه الأمور وله الأولوية، فكان «اقرأ» لأن «جاهد وبلغ وادع» لا يمكن أن تكون صالحة إلا بعد «اقرأ» فكلها مبنية على هذه المرحلة.. «مرحلة اقرأ»!

إن «اقرأ» هي المقدمة لكل هذه النتائج، وهي المرشد والدليل والموجه لكل هذه الأعمال وهي المقياس والمعيار الذى تضبط به، فلا علم بدون قراءة ولا وعي ولا إدراك بدون تدبر وتفكر وسير! وللشيخ الدكتور طه جابر العلوانى كتاب لطيف أسماه «الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون»، فاقرأ «أمر لقراءة كتاب الله المسطور ولكون الله المنظور».

إن المصلح المثقف لا يمكن أن يكون كذلك- مصلحا مثقفا- إلا إذا كان مُلما بكل ما يُصلحُ مجتمعه- وبالتحديد في مجال عمله الإصلاحي- بحيث تكون لديه «المعرفة والوعي» لصناعة مجتمعه وصناعة وعيه وإدراكه.

وبدون هذه المعرفة والرصيد المعرفي (والذي يسميه البعض السلطة المعرفية) لا يليق ولا يجوز أن يتصدر أي شخص مواطن الصدارة والتوجيه، ولا يجوز لغيره أن يدفعوه إلى ذلك والقاعدة الحاكمة هنا هي قول النبي ﷺ: «يا أبا ذر إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

وكذلك فإن «حركة الفكر» والثقافة والمعرفة والوعي يجب أن تسبق «فكر الحركة» (بتعبير العلامة الدكتور أحمد الريسوني)، وإلا فلن يكون المصلحون سوى ردة فعل للأحداث الجارية تصنعهم وفقما وكيفما تريد، لا أن يصنعوا هم الأحداث والواقع بسنن الصناعة والبناء وقوانينه، لأن العمل هو فى الحقيقة تجل لما هو موجود في العقل، فإن التصرفات (العمل) مبنية على «القناعات» الناتجة من «التصورات»، أي الأفكار وثقافة الإنسان ومرجعيته التي ينهل منها»، فإن كان فكر الحركة سابقا لحركة الفكر، فلن يكون فكر الحركة سوى تسويغ للحركة ولأعمالها-إن كانت صحيحة أم سوى ذلك، وإن سبقت حركة الفكر كانت الحركة نتاج الفكر وتطبيقا له.

فإذا كان المصلح يرغب في تأسيس حضارة ونهضة أمة ويقظة وعي فعليه أن يكون لديه علم بكل ذلك ووعي مقاصدي ومعرفة شرعية وفكرية واجتماعية، وإدراك للواقع السياسي والعالمي، وإدراك كذلك لسنن النهضة والبناء والوعي بسنن التاريخ، وإلا فكيف يصل إلى مبتغاه بدون هذا؟!

وفي هذا المقام نشير لبعض الكتب البالغة الأهمية في هذا الباب، أولها وأهمها كتاب العلامة الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله- «مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية.. دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفة وبرنامجًا»، وكتاب العلامة الدكتور يوسف القرضاوي «ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق» وكتاب المفكر الكبير الدكتور عبدالكريم بكار «تكوين المفكر.. خطوات عملية».

في كتاب الله أمر بالقراءة (للكتاب المسطور والكون المنظور)، وأمر بالتفكر والتدبر، وأمر بالسير والنظر في الأمم السابقة وعواقب الأمم، وأمر باتخاذ العبر من القصص السابقة، وأمر بسؤال أهل الذكر، وتحفيز على العمل والمسارعة له، تلك هي دائرة التكوين «اقرأ»، «أفلا يتدبرون»، «لعلهم يتفكرون»، «أفلم يسيروا في الأرض- قل سيروا في الأرض فانظروا»، «فاسألوا أهل الذكر»، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، والله الموفق لما فيه الخير.

باحث دراسات إسلامية

إنّ التراث الثقافي مُلكٌ جماعي وإرثٌ تتناقله الأجيال ولا يمكن القضاء عليه بسهولة، فالثقافة لا تندثر في أغلب الأحيان، ولكنها قد تضمحل بمرور الزمن، ما لم يتم الحفاظ عليها من قِبَل أبنائها.. حيث الثقافة هي مجموعة الأفكار والقيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والأخلاق، والمبادئ الدينية واللغة والمهارات وطرق التفكير وأساليب الحياة.. التي يجتمع عليها مجموعة كبيرة من الأفراد في مكان ما فتشمل الثقافة كل ما أنتجه العقل البشريّ أو توارثته الأجيال نتيجة عيشها في مجتمع معيّن.

في عالَمٍ يزدادُ عَوْلَمةً.. هل خوْفُنا على ثقافتنا أم من ثقافتنا؟!

د. آندي محمد حسن

كنّا بالأمس لا نخافُ على ضياع الثقافة والهويّة العربية والإسلامية، حيث كان الآباء يحفظونها ويرعونها كرعايتهم لأبنائهم فلا يسمحون لأحدٍ بالمساسَ بها، فهم يعتزّون بما يملكون من معتقدات وتقاليد وقيم وثروات فكرية متناقلة، وهم يلجأون للثقافة في كلّ حين، لأنهم يدركون أن الثقافة هي مصدر قوة الأمة ورقيّها ومجدها، فلو جلست اليوم مع جدٍّ لك لسمعت منه أحاديثَ يفوح منها عبَقُ العادات والتقاليد والمعتقدات والقيم وأساليب الحياة، لأبناء جلدته وقبيلته وقريته وديانته، فتشعر أن هذا الجَدّ يمتلك ثقافةً ما ويعتزّ بها، فترى بعينك ثقافته وتشتمُّ عبقَها وتتذوَّقُ طعمها وتتلمّسُ أثرها في قلبك وعقلك، وفي المقابل، عندما تسمع لحفيد هذا الجَد فإنك تجد أنه من الصعب أن تُحَدّد هويته الثقافية أو أن تتذوّقها أو تشعر بها، وكأنّه قد فقَدَ البوصلة.

وإنّنا اليوم نلمسُ تخوّفَ أبناء الثقافة العربية والإسلامية من الثقافة ذاتها بل ومقاومتهم لها، وكأنّ الالتزام بمكوّنات ثقافة مُحافظة في زمن العولمة هو درْبٌ من التخلّفَ والرجعيّة، ويُعطِّلُ على أبنائها الكثير من الفوائد والمكاسب.. وكأنّ التمسكَ بهويتنا الثقافية سيقف حجرَ عثرةٍ في وجه المضي قُدمًا في مواكبة تيارِ التقدّم التكنولوجيّ السائد اليوم.. وكأنّ الخروجَ عن ثوب الثقافة هو ما سيجني لنا الفوائدَ الجمة.. وكأنّ التقصيرَ في إبداعاتنا واختراعاتنا اليوم هو ناتج عن الالتزام بثقافتنا.. فهل التوازن بين إرث الماضي وثقافة الحاضر أصبح من الأمور المستعصية في الزمن الراهن؟

إنّ ما لا يفهمه الناشئة اليوم وأنصار ثقافة الانفتاح على العولمة بكل ما تتضمنه من إيجابيّات وسلبيّات؛ هو أن الثقافة عملية مستمرة ومرنة، فتقبل التعديلَ والتطويرَ والتحوّرَ وتقبَلُ المستجدات بل والخروج عن المألوف بالشكل المُنتج المفيد.. وممّا يصعب على تلك الفئة فهمه أيضًا أنّ الالتزام بالهوية الثقافية العربية والإسلامية يعني الالتزام بروح الأمة وبأمجادها وبمستقبلها، وأما الهروب إلى هويةٍ عالميةٍ فقد يفوّت علينا الكثير مما نملك.

إنّ الالتزام بثقافة العولمة والقرية العالمية الواحدة يفرض على المجتمعات البشرية التمسك بالماديات وبالفكر المادي في أقصى درجاته، ويجعله في سلّم الأولويات، وذلك على حساب التمسك بالروحانيات والقيم العقائدية والتي هي جزءٌ لا يتجزأ من حياة البشر.. ولذلك فإنّ التعاطي لجرعاتٍ كبيرة من الثقافة التي توفرها العولمة اليوم، وبما تمتلك من أدوات كالمحطات الفضائية وشبكات الإنترنت ووسائل الاتصال المختلفة.. يجعلُ الإنسان ينتقلُ سريعًا إلى عالم الماديات وعالم الفراغ الدائم في القلب والفكر والروح.. وقد قال اللهُ تعالى في محكم كتابه: ﴿ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب﴾ (الرعد: ٢٨)، فأينَ الجانب الروحيّ من تلك الثقافة؟!

إنّ التعامل مع ثقافة العولمة اليوم يتضمن الكثير من الإغراءات والأمور البرّاقة، وهذا ما يتطلب الكثير من الحذر والتأني فيما نأخذ وفيما نترك، وفيما نأكل ونشرب ونلبس، وفيما نسمع ونشاهد، وفيما نبني من علاقات ونمارس من معتقدات. فبالأمس القريب على سبيل المثال؛ كان احترام الكبير واجبًا تفرضه أغلب الثقافات الإنسانيّة، وهو أساسٌ في عقيدتنا حضّت عليه شريعتنا الإسلامية.

لقد تعدّدت الأمثلة على تغلغل ثقافة العولمة في حياتنا، فنجد مثلًا انتشار المقاهي التي لم تعد حكرًا على

أستاذة في جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

التعامل مع ثقافة العولمة بما تتضمنه من إغراءات يتطلب الكثير من الحذر والتأني فيما نأخذ وفيما نترك

الرجال بل أصبحت الإناث يسبقْنَ إليها ويتعاطينَ النرجيلة وأنواع التدخين، إنّ هذا ممّا يستدعي التفكير به مليًا؛ فهل رباتُنا وأخواتُنا وأمهاتُنا هنّ بحاجة لتلك الجلسات؟ وهل هي مناسبةٌ لتربية أبنائهنّ؟، ليس كل ما تأتينا به ثقافة العولمة هو ملائمٌ لثقافتنا وعلينا تقبّله على علاّته لكي نجاريَ تلك الثقافة العالمية أو لكي لا تطلقَ علينا وَصْمةَ التّخلّف والرجعيّة!

وفي واقعنا اليوم، أصبحت الفتاة العربية والمرأة العربية المسلمة تخرج إلى العمل جنبًا إلى جنب مع الرجل لتعمل في المجالات المختلفة، وهذا ما لا نخالفه، ولكن هل ستحافظُ الفتاة أو المرأة العربية في ظل عملها على معتقدات ثقافتها وقيمها الحميدة التي ورثتها من آبائها وأجدادها، أم ستنقادُ في أفكارها ومعتقداتها وسلوكاتها وأساليب حياتها وراء ما تسوِّقه لها الثقافة العالمية في ظل الانفتاح والعولمة وبدعوى التطوّر والتقدّم ومحاربة الرجعيّة؟، والذي يزيد الأمر تخوّفًا في زمنٍ يزدادُ عولمةً يومًا بعد يوم، هو تحكّم الفضائيات بما يدخل إلى عقول أبنائنا وبناتنا بل وإلى عقولنا بلا قيدٍ أو شرط أو رادع.. فهل من لحظة تفكّر وتدبّر؟

إنّ لكلِّ أمة ثقافة ولكلِّ مجتمع هوية ثقافية يتمسّك بها ويحاول الحفاظ عليها، وإنّ فرضَ الهوية العالمية اليوم أو ثقافة العولمة يجعل الثقافات متداخلة، بل ومنصهرة، ويجعل هويّة الأمم والشعوب ذات الحضارات العريقة تضيع وتضمحل وتنصهر في بوتقة العولمة، ولذلك تحاول المجتمعات المحافظة كالمجتمعات العربية والإسلامية وحتى اليابانية وبعض الأوروبية اليوم التشبّث بثقافتها- على الرغم من المعوقات- لأنها تعلم أن ضياع هويتها الثقافية يعني ضياع الحضارة وتفكك الأسر وضياع الكثير من الأخلاق والعادات والمعتقدات والقيم، التي تحمي تلك المجتمعات والأفراد والعلاقات والأسر من الانهيار، وتعلم أنّ الأخذ بكل ما تفرضه علينا اليوم ثقافة القرية العالمية الواحدة بلا تأنٍ وتفكّر؛ لابد وأن له مخاطر لا تحمد عقباها في ظل من يملكون زمام الأمور ومن يسيطرون على دفة التحكم بقيادة السفينة العالمية. وقد أنزلَ الله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق لكلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا ولو شاء اللهُ لجعلكم أمّةً واحدةً ولكن ليبلُوَكُم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعُكم جميعًا فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (المائدة: ٤٨).

إنّ الخوفَ اليوم من الثقافة الأم ومن التمسك بالهوية الثقافية العربية الأصيلة غير مُبرَّر، ولكن الخوف على الثقافة العربية والإسلامية هو ما له مبرراته وما يجب التفكير به، حيث إن المجتمعات التي بقيت متماسكةً إلى اليوم بقيت بثوابتها، وبصلاحية معتقداتها، وبما تناقلته من أجدادها، فجعلتها قويةً ثابتةً في وجه التحديات وعلى مرّ الزمن، وإنّ الحفاظ على الهوية الثقافية الاصيلة ووضوحها يجعل الفرد مميّزا ومقدّرا في أعين الآخرين، وتَكون له مُعينًا حين تختلط الأمور، وعلى العقول المفكّرة أن تدرك أن ليس كل ما تأتي به ثقافة العولمة اليوم هو الصحيح والثمين والذي يجب العمل به! وأنّ ما يكونُ مستمرًا في ثقافة الشعوب المحافظة على التراث والمعتقدات هو الغثّ والضعيفَ والذي يجب أن يُنبذ!

وأخيرًا نؤكّد، إنّ التوازنَ مطلوبٌ بين الماضي والحاضر، وبين الجديد والقديم، وبين العقل والروح، وبين الأخذ والكف، فبالأمس مثلا لم تكن السيارات، ولكن آداب الطريق وآداب التعامل مع الدواب كانت متوارثة وموجودة في الثقافات منذ القدم، فماذا يُضيرنا لو جعلنا نقطة التقاء بين الماضي والحاضر وأخذنا من ماضينا لحاضرنا، ومن معتقداتنا لعالَمنا، وتكيّفنا مع واقعنا، بلا تضييع أو تنازلات فادحة في الهوية، ولكيلا تكون الخسائر أكثر فداحة، فلابد من النظر والتفكّر والصحوة والوعي قبل فوات الأوان، ولكي نبقى كأمة وصفها الله تعالى بأعظم الصفات في قوله تعالى: ﴿كنتم خيرَ أمّةٍ أخرجتْ للنّاس تأمرونَ بالمعروف وتنهوْنَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠). وقوله أيضًا: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداءَ على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

ليس من باب الترف الفكري وليس من باب التشبه بالغير نتعاطى مع أولوياتنا، إنما فهم الأولويات هو مطلب شرعي يلازم مسيرة حياتنا الإسلامية مادمنا ارتضينا الإسلام دينًا، فالإسلام منظومة واحدة متكاملة لا تنفك عن بعضها البعض، ومن يحاول أن يقدم الإسلام أجزاء منفصلة إنما يقدمه منقوصًا فيسيء إليه. وذات الخطأ يقع فيه من لا يراعي فقه الأولويات في فهمه الإسلامي أو في تقديمه للإسلام.

فهم الأولويات.. ترف فكري أم مطلب شرعي؟

د. رامز طنبور
باحث وأكاديمي لبناني

المسلمون بأسرهم مطالبون بإعادة ترتيب أولوياتهم، ليقدموا الأهم على المهم، وليوازنوا بين تطلعاتهم الذاتية وتطلعات الأمة التي ينتمون إليها. فالقضايا والاهتمامات التي يعمل عليها المسلمون لا تتساوى في الأهمية مع بعضها البعض، فمنها أمور مهمة يمكن تأجيلها ولا ضرر في ذلك، وأمور أيضًا مهمة يجب القيام بها ويترتب الضرر إذا ما تم تأجيلها بمعنى أنها لا تحتمل التأجيل. كما توجد أمور ضرورية ومهمة ترتبط بالأهداف التي نسعى إليها وأمور أيضًا مهمة ولكن قد لا ترتبط بأهدافنا. لكن الأولوية تكون دائمًا للأهم ثم المهم وللأهم الذي لا يمكن تأجيله، وكذلك الأولوية دائمًا لأنشطتنا وأعمالنا المرتبطة بأهدافنا.

ومن الضروري أن نعلم بأن مسألة تحديد الأولويات بين العمل الدعوي وغيره من الأعمال هي مسألة شرعية بالدرجة الأولى، ثم يأتي بعد ذلك الاجتهاد المبني على الظروف الخاصة في حال عدم وجود النص الشرعي الحاسم. وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق». فالأولوية الأهم التي تنطلق منها سائر الاهتمامات هي قول لا إله

الأخذ بالأولويات هو الرؤية الواضحة والمسيرة المتصاعدة باتجاه تحقيق الهدف

إلا الله، وهنا ينبغي ألا نضيع البوصلة وألا تأخذنا سفاسف الأمور عن هذا الأمر الأصل. فالأصل عندنا هو الإسلام وتوحيد الخالق وكل الأولويات الأخرى تنتظر وتتأجل أمام تحقيق هذه الأولوية. ولقد أمضى رسول الله ﷺ طيلة المرحلة المكية لتثبيت تلك الأولوية التي أنتجت جيلًا فريدًا. وإلا فما فائدة الدعوة إلى الصلاة والزكاة والصيام والجهاد والحجاب لقوم لا يدركون معنى التوحيد، فالصلاة صلة بالله وعبادة له فهي تستدعي الإيمان أولًا، وكذلك الصيام والزكاة والجهاد والحجاب كلها مرتبطة بأداء العبادة والطاعة والانصياع للرب الخالق، وإذا خرجت عن هذا الإطار تحولت إلى طقوس وصور وأشكال فارغة من محتواها وبعيدة عن الهدف الذي شرعت من أجله وهو تعميق الوحدانية وتألقها في النفس البشرية والتي تستتبع سلوكًا فعالًا ونافعًا.

وفي هذا المضمار من الأولويات ما روي عن النبي ﷺ أنه ابتعث معاذا إلى اليمن وقال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». إنه التأسيس والانطلاقة القوية المتجذرة، حيث إن الإسلام يقوم أصلًا على فكرة التوحيد والعودة بهذه الفكرة إلى أصلها بعدما طرأ عليها التحريف والتشويه، وانطلاقًا من التأسيس عليها تتدرج الأمور التي تعزز من رسوخها واستمراريتها وتجلياتها كالصلاة والصدقات وما إلى ذلك.

ومما لا يقل أهمية عن الأولويات ذاتها هو التوازن في الأولويات بشكل لا تطغى واحدة على الأخرى، فكل شيء بمقدار. وقد حدثنا عن ذلك عَوْن بْن أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيه قَالَ: «آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاء فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً:

فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُوالدَّرْدَاء لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُوالدَّرْدَاء فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُوالدَّرْدَاء يَقُومُ، قَالَ نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ سَلْمَانُ».

وهنا تتبين لنا أولوية تحقيق التوازن في النفس الإنسانية بين طاعتها لله وهو حق الله، وبين خدمتها لنفسها واستكمال متطلباتها الحياتية من مطعم وملبس وشهوة وهو حق النفس، وبين تفاعلها وتكاملها مع الأسرة التي تنتمي إليها، وهذه الأسرة تبدأ من الأهل وتصل إلى الأمة، وحق الأهل والأمة عليك أن تلبيها عند الحاجة إليك لأن وجودك الحالي هو من نتاج ما تلقيته من رعاية وتأهيل وتكوين من أهلك وممن حولك من أبناء الأمة. والأصل في أولوية التوازن بين حق الله وحق النفس وحق الأهل أنها تسعى لهدف واحد، وبهذا تنسجم مع بعضها البعض ولا تتضارب فيما بينها على الإطلاق. فطاعة الله تأتي من خلال حفظ النفس والسير بها على طريق الاستقامة وهذا ما يتطابق تمامًا مع بر الوالدين وصلة الرحم والنصيحة والتعاون مع أبناء الأمة في عملية تكاملية بناءة.

لقد جعل الله عزّ وجلّ لنا جملة أولويات من أجل فلاحنا وسؤددنا في الحياة الدنيا والآخرة، إلا أن فئة من

المسلمين لم تلحظها ولم تعرها الاهتمام الكافي فكان ما نشهده من تردٍ واختلال وزن، ومن أولى تلك الأولويات نشر الدعوة التي تؤدي إلى انتشار الإسلام وسيادته للكون، قال الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم». ونظرًا لأن الجهاد يحمي الدعوة ممن يقف في وجهها ويدافع عن كيان المسلمين، فقد جعله الله تعالى من الأولويات وقدمه على الكثير من الأعمال، فعن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال ثالث: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، واليوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

فالأخذ بالأولويات هو البناء الصلب والرؤية الواضحة والمسيرة المتصاعدة باتجاه تحقيق الهدف، أما الاستعجال وحرق المراحل وخلط الأولويات فإنه وبال على الأمة وتراجع إلى الوراء، حيث اعتادت جماهير الأمة المتحمسة الاهتمام بالأعمال التي تتطلب وقتًا قصيرًا لتحقيقها والبعد عن الأعمال التي تتطلب وقتًا طويلًا لإنجازها، أي إعطاء الأولوية للأسهل على الأصعب، وذلك معيار خاطئ لأن الأصل في معيار الأولويات هو درجة الأهمية، وإذا تساوت الأهمية فمن الفطنة عندئذ إعطاء الأولوية للأسهل الذي يوصلنا للهدف بشكل أسرع.

فلابد من فهم للأولويات، هذا الفهم الذي يساعدنا على تصنيف طموحاتنا وتوازنها وتبويبها والعمل على تحقيقها. وفهم الأولويات ليس وليد الفكر المعاصر بل هو جزء من ثقافتنا الإسلامية التي ابتعد عنها الكثير من أبناء الأمة وقادتها فتساقطت طموحاتهم وتاهوا في مسيرتهم رغم وضوح الطريق إلى الإسلام من خلال النص القرآني والممارسة النبوية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فالبصيرة والتبصر في أن نفهم الأولويات من خلال شريعتنا والأخذ بها بحق وأن نعمل على فهمها ومعرفة أبعادها وربطها بالواقع كي نتمكن من تحديد خياراتنا وتبويبها والعمل على تنفيذها بحكم الأكثر أهمية والأشد ضرورة، وبذلك نقترب بخطى واثقة وراسخة من إنجاز المهام وتحقيق الأهداف.

هو عند النخب العربية المثقفة- كما هو عند الغرب- أسطورة من أساطير الفكر وأحد علماء اللغة وصاحب النظرية «التحويلية» التي ذاعت شهرتها في الستينيات من القرن الماضي، وهو إلى جانب ذلك أحد العلماء الأفذاذ في السياسة والفكر وفي التنظير للسياسة الأميركية والإسرائيلية.

قدم إلى إسرائيل بهدف الدخول إلى قطاع الضفة الغربية لإلقاء محاضرة في جامعة بير زيت لكن السلطات الإسرائيلية منعته من الدخول، ثم أجرت معه قناة «الجزيرة» في بيروت حوارًا مفتوحًا نقلته في ٢٠١٠/٧/١٧م، وكنت حريصًا على مشاهدته لمعرفة أفكاره الجديدة بعد أن جاوز السبعين.

مراجعة ضرورية لموقف النخب العربية من:

ناعوم تشومسكي المفكر اليهودي

د.رفيق حسن الحليمي

الصورة النمطية التي تكونت عن ناعوم تشومسكي لدى النخب العربية جاءت من محورين أساسيين:

الأول: نظريته اللغوية «التحويلية» التي ترجع منطق التفكير اللغوي عند جميع البشر إلى طريقة واحدة، وبمعنى آخر: تذهب نظريته إلى أن الناس على اختلافهم يفكرون بمنطق لغوي واحد وأن لديهم نظامًا واحدًا مشتركًا تخضع له عملية التفكير العميق التي تتم داخل الذهن، وقد عبّر عما تنتجه من أفكار بالتراكيب العميقة Deep Structure وهي المشتركة بين البشر، وبذلك لا يكون الاختلاف بين البشر في طريقة التفكير، وإنما في طريقة «التعبير» أي في اللغة المنطوقة التي نسمعها من الآخرين عندما ينطقون، وقد عبّر عنها بالتركيب السطحي Surface Structure، وقد كان لهذه النظرية عندما ظهرت في الستينيات من القرن الماضي أصداؤها الواسعة وبريقها الأخاذ.

وكانت النخب العربية المتغربة منبهرة أشد الانبهار بها، وكان كثير من المهتمين بالألسنيات يلهجون بأقواله، وبالأمثلة التي ساقها لتعزيز نظريته، غير أنها ذوت وصوّح عودها، فقد تجاوز علم اللغة الحديث نظريته- التي أصبحت من التاريخ وعفا عليها الزمان- إلى نظريات أخرى أكثر منها حداثة، منها التركيبية والتفكيكية وهي جميعًا محاولات لفهم طبيعة الاختلاف في اللغات بين البشر.

الثاني: عداؤه لدولة إسرائيل وانتقاده لسياستها على مدى سنوات وعقود، ولكني- وقد أكون على خطأ- رأيت الرجل من خلال طروحاته في ذلك اللقاء على وئام تام مع دولة إسرائيل، ومع الصهيونية أيضا، ويبدو لي ولغيري أنه يلهج ظاهريًا بالتنديد بإسرائيل وبسياستها في المنطقة لكنه يخفي قناعة كبرى وفرحة غامرة بنشأة تلك الدولة التي أعلن بصراحة عن تأييده لقيامها، وبرر ذلك بنظريات متداخلة ومغلوطة سنأتي عليها واحدة بعد الأخرى:

في بداية حديثه أعلن أنه يهودي متدين، وأنه لا يتبرأ من الصهيونية، وأنه منسجم مع الثقافة اليهودية، ولا أحد منا يمكنه الاعتراض على ذلك.

ويعترف تشومسكي بأن اليهود قدموا من الشتات وأقاموا دولة، وهو يؤيد قيام هذه الدولة (!)، ويقول إنه كان يعارض الدولة اليهودية قبل أربعين سنة ولكنه لم يعد كذلك، ويرى أن الشمس أشرقت عام ١٩٦٧م وعام ١٩٩٠م، في إشارة إلى انتصار إسرائيل وهزيمة العرب البشعة عام ١٩٦٧م، وإلى حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠م التي غزت فيها العراق دولة الكويت (!!).

والسؤال: هل بعد هذه الاعترافات يبقى ناعوم تشومسكي في نظر النخب العربية التي هللت له ورقصت على إيقاع انتقاداته معاديًا لدولة إسرائيل؟

و يبرر تشومسكي قيام إسرائيل بأنه يأتي ضمن الحراك الاجتماعي الذي شهده العالم منذ فجر التاريخ، فلا غرابة- على حد زعمه- من قيام هذه الدولة التي تأتي في سياق الحراك الاجتماعي. أقول: لا أحد ينكر ظاهرة الحراك الاجتماعي عبر تاريخ البشرية، لكن هناك فرق كبير بين حراك سلمي نظيف يأتي ضمن هجرات جماعية مسالمة تريد العيش بأمن وسلام ولا تعتدي ولا تغتصب حقوق الآخرين وبين حراك حربي دموي

كاتب فلسطيني

يقوم على المؤامرة والعدوان واستلاب الأوطان، ولم يكن قيام إسرائيل بحال من الأحوال حراكًا سلميًا، والتاريخ خير شاهد على ما اقترفته من نكبات وما جنته من ويلات.

وقد شبه قيام إسرائيل بما حدث في جنوب إفريقيا وأميركا، حيث جاءت أمم من أوروبا واستوطنوا أميركا كما استوطنوا جنوب إفريقيا، ونسي هذا العالم اليهودي أن الزحف الأوروبي خارج القارة الصغيرة (أوروبا) إلى أميركا وغيرها لم يطرد الهنود الحمر ولم يطرد الأفارقة السود من أراضيهم، صحيح أنه عاملهم بقسوة وعنصرية، كما نسي أو تناسى عن ذكاء ودهاء أن بواعث الحراك الأوروبي كانت في بدايتها نتيجة الأطماع الاستعمارية المادية ولم تكن النية مبيتة لديهم للاستيطان طويل الأجل، وأما قيام إسرائيل فقد كان بدوافع توراتية تلمودية، ويهدف إلى الاستيطان واقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، والغريب في الأمر أن هذا العالم نسي أنه سبق قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧م بإنشاء «وطن قومي لليهود»، وهذا يعني أن الوطن القومي «الدولة المفترضة» حددت معالمه قبل قيام الدولة العبرية على أرض فلسطين بثلاثة عقود، وهذا لم يحدث عندما جاء الحراك الأوروبي إلى إميركا وغيرها على الأقل في بداياته، والمفارقة كبيرة بين حراك وحراك.

الغريب أننا نصدق ونصفق لهذا اليهودي ونعتقد أن كلامه في غاية الأهمية، وهو في الواقع كلام مدسوس يخدم به دولة إسرائيل

هل بعد اعترافات تشومسكي يبقى في نظر النخب العربية معاديًا لإسرائيل؟!

من حيث لا تدري نخبنا المتغربة، ولكن تشومسكي يدري حقيقة ما يقول وتدري به إسرائيل، وعلينا ألا ننخدع بأنها منعته من دخول الضفة لإلقاء محاضرة في جامعة بير زيت، فالأمر لا يعدو توزيع أدوار بين مؤيدين لها ومعارضين لها ظاهريًا، وكم يكون بين «الأدعياء» من جواسيس يعملون لصالحها من حيث لا ندري.

ويؤمن تشومسكي بأن أرض الميعاد (أرض فلسطين) لليهود، وأن القدر وعدهم بها وأن بني إسرائيل دخلوها بأمر الله وبوعد منه، هذا هو ناعوم تشومسكي الذي قال ذلك صراحة ومن دون خجل، لكن ماذا ستقول نخبنا؟

هذه الفكرة تحتاج منا ومن غيرنا إلى وقفة نستجلي بها مايعرف بالوعد الإلهي المزعوم لليهود، إذ إن فكرة هذا الوعد تشيع كثيرًا في أدبيات الثقافة اليهودية، وقد استغلتها وما زالت تستغلها الصهيونية على مدى عقود بهدف الإقناع بالهجرة إلى أرض الميعاد، ولكي نصل إلى حقيقة هذا الوعد علينا أن نتعرف إلى مصدر هذا الوعد، وكيف فرغوه من مضمونه وسيسوه لمآربهم، وهل هو وعد مطلق أم مقيد برجال معينين وزمان محدد.

مصدر هذا الوعد هو التوراة: «قال الرب لأبرام (إبراهيم) اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك» (سفر التكوين، الإصحاح الثاني عشر، عدد: ١-٢)، فالخطاب موجه إلى إبراهيم عليه السلام.

وفيها أيضا: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» (سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر، عدد: ١٨-١٩)، فالخطاب موجه لإبراهيم عليه السلام بعطاء الله له الأرض ولنسله من بعده.

وفي القرآن الكريم على لسان موسى قوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ (المائدة:٢١)، جاء ذلك بعد خروج بني إسرائيل من مصر وبعد نجاتهم من عذاب فرعون، قال تعالى: ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص:٥-٦).

إذن هناك وعد إلهي لإبراهيم ولنسله ولبني إسرائيل (يعقوب) وهو وعد مقيد بمن وجه إليهم ممن كانوا مستضعفين في الأرض وليس ذلك

اليهود حقد ومكر وخداع

الوعد مطلقًا ومشاعًا لمن هب ودب، بحيث يدخلها ممن اعتنقوا اليهودية وليسوا من بني إسرائيل كيهود الخزر (اعتنقوها هروبًا من الدخول في المسيحية والإسلام) والفلاشا وغيرهم ممن لا يتحدرون من سلالة إسرائيل، وإنما كان الوعد الإلهي لإبراهيم ولبني إسرائيل قوم موسى وعدهم الله بذلك ليستقروا وليأمنوا الأذى والعذاب، ولم يقترن الوعد الإلهي بأكثر من الدخول للاستقرار والعيش بأمان وقد وعدهم الله بذلك لأنهم كانوا على عقيدة ولم يكن غيرهم كذلك، كما أن الوعد الإلهي لم يطلب طرد سكان الأرض أو إلحاق الأذى بهم.

استغلت الحركة الصهيونية العالمية ذلك الوعد أبشع استغلال فاستصدرت وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود، وخدعت العالم باختلاقاتها التاريخية وأكاذيبها، وأشعلت غداة قيام دولة إسرائيل الحرائق في عدد من الأحياء اليهودية في بعض المدن العربية (الإسكندرية- بغداد- مراكش) بهدف تسريع هجرة اليهود إلى أرض الميعاد وزينت لكل من يعتنق اليهودية أهمية العودة.

وللحق وللتاريخ لم يكن قيام دولة إسرائيل لمجرد إقامة وطن قومي لليهود بحيث يعيشون فيه مع السكان الأصليين بأمن وسلام، وإنما كان الهدف طرد السكان واغتصاب الأرض، وإقامة دولة على أنقاض دولة، وإقامة أمة على أشلاء أمة، والكل يعرف كيف بيتوا النوايا وأعدوا العدة لإقامة دولة عدوانية عدائية، مدججة بالسلاح، لتمثل رأس حربة لخدمة أهداف محددة.

هذه الحقائق - إذا أحسنا الظن - كان يدركها تشومسكي مع بداية قيام دولة إسرائيل، لذلك راح ينتقدها ويندد بها، وكان كثير من يهود العالم

أفكار تشومسكي لا تختلف عن أفكار أي يهودي متطرف

غير راضين عن قيامها يوم أن قامت لأنهم كانوا متخوفين ويتوقعون مصيرًا سيئًا لليهود إذا ما فشلوا، ولكنها عندما قامت وتحقق لها النصر وطاب لها المقام بدأت الأمور تتغير عند كثير من المعتدلين، كما تغيرت عند تشومسكي وقد عبّر عن ذلك بإشراقة الشمس عام ٦٧م وعام ٩٠م.

ويرى تشومسكي أن اليهود القدامى، وربما هم الفلسطينيون وهم السكان الأصليون في أرض الميعاد، وهذه الفكرة صهيونية تلمودية تتبناها شريحة واسعة من اليهود اليمينيين المتطرفين، وقد قالها من قبل رئيس وزراء إسرائيل الأسبق مناحيم بيغن في إحدى لقاءاته عبر التلفزة بعد اتفاقية «كامب ديفد»، وهذا يدل على خلط في المفاهيم وفي مفردات التعاليم اليهودية إذ إن مصطلح «يهود» لم يظهر إلى الوجود إلا بعد قيام مملكة يهوذا في فلسطين، أي بعد خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام وبعد أربعين سنة من التيه في سيناء، فلم يكن إبراهيم يهوديًا، وقد رد القرآن الكريم على مزاعم اليهود عندما قالوا قديماً: إن إبراهيم يهودي، قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ (آل عمران: ٦٧)، ومن اليهود المؤرخين المنصفين من يفرق في استخدام المصطلحات إذ يفرقون بين إسرائيلي وبين يهودي وبين صهيوني ويجعلون كل مصطلح حقبة زمنية معينة، وتشومسكي لا يخلط في المفاهيم فحسب بل يجهل حقائق التاريخ أو يقفز عليها، فأرض فلسطين كان يسكنها قبائل عربية تعود في أصولها إلى «العرب البائدة» وهم أقدم موجة من العرب الأوائل الذين بادوا ولم تتبق منهم إلا ذكراهم، ومنهم الكنعانيون والحيثيون واليبوس وغيرهم، والتوراة التي يدين بها تشومسكي تعترف بذلك، فقد ترددت كلمة «أرض فلسطين وأرض كنعان والحيثيين (بني حث) في التوراة كثيرًا، ثم إن إبراهيم عليه السلام دخل فلسطين وهي عامرة بمن فيها من السكان، ففي التوراة «وتغرب إبراهيم في أرض فلسطين أيامًا» (التكون ٢١ عدد:٣٤)، وعندما توفيت زوجته سارة اشترى قطعة أرض كما تنص التوراة في حبرون في أرض كنعان بأربعمائة شاقل فضة ليدفنها فيها.

ويلح تشومسكي على ضرورة الاعتراف بالواقع والتعايش معه (!)، وليس الاعتراف بالواقع الذي يعنيه إلا الاعتراف بدولة إسرائيل كواقع على الأرض وحقيقة ثابتة لا مراء فيها، عندما اعترض على كلامه أحد الحضور في ذلك اللقاء رد عليه بأنه إذا بقي على رفضه لهذا الواقع مائة عام فلن يحقق شيئًا مما يتمناه في العودة إلى وطنه وأرضه في فلسطين، ورأى أن تحقيق شيء من ذلك يكون بالاعتراف بالواقع أولا، ثم في اتخاذ مواقف على مراحل لتحقيق الهدف المنشود، كما رأى أن الحل للصرع القائم يمكن أن يكون بحل الدولتين، لكن المشكلة من وجهة نظره في أن إسرائيل ترفض هذا الحل.

هذا هو ناعوم (ناحوم) تشومسكي وهذه هي حقيقته، وهاهو كما بدا في اللقاء، وهذه هي أفكاره التي لا تختلف عن أفكار أي يهودي متطرف.

ابن حزم وورينان يتفقان على أن العهد القديم مليء بالتناقضات والخرافات

صلاح حسن رشيد

كشفت أطروحة علمية حديثة اللثام عن جهود كل من: ابن حزم الأندلسي والمستشرق الفرنسي إرنست رينان في نقد نصوص العهد القديم وتمحيصها، وإخضاع الروايات اليهودية والأسفار لمنهج النقد العلمي القائم على الضوابط العلمية واستقراء النصوص وتحليلها، والاهتداء إلى ما يوافق التاريخ والعقل والقرائن الدينية.

قالت الباحثة نهى السيد عبدالمقصود في رسالتها المعنونة بـ «مقارنة منهج ابن حزم ورينان في نقد نصوص العهد القديم» والتي نالت بها درجة الماجستير بامتياز من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة: إن القارئ للعهد القديم يشعر أنه أمام أكثر الكتب جمعًا بين المتناقضات، ولذلك فقد كان محلًا للنقد على مدار تاريخ طويل، حيث مرّ هذا النقد بمرحلتين حاسمتين: الأولى، كانت مع النقد الإسلامي للعهد القديم، الذي استمد معظم مقولاته ومنهجه الأساسي من القرآن الكريم، والثانية، كانت مع منهج نقد الحديث النبوي الشريف، الذي وضع الأسس المنهجية لنقد الروايات التاريخية بشكل عام، ومن ثم طبّقها العلماء المسلمون على الكتاب المقدس.

أول ناقد للعهد القديم

وتضيف الباحثة قائلة: ثم برز اسم ابن حزم الأندلسي على وجه الخصوص، في هذا المجال، حيث أتاحت له ثقافته الموسوعية، وعقليته المنهجية، واحتكاكه بنصوص العهد القديم، أن يُقدّم نقدًا منهجيًا رصينًا، دفع علماء العصر الحديث مثل جولد تسيهر إلى الاعتراف بأنه أول من بشّر بعلم نقد العهد القديم، ثم كانت نقطة التحوّل الحاسمة الأخرى في تاريخ نقد نصوص العهد القديم مع بدايات العصر الحديث، الذي شهد تحوّلات فكرية قوية، بدأت بذورها مع عصر النهضة والثورة العلمية على الكنيسة في أوروبا؛ حيث بدأ مفكروها ينظرون للكتاب المقدس بعيون نقدية، والتفتوا إلى التناقضات والمغالطات التي تعج بها نصوصه، خاصةً بعد أن اصطدمت مقولاته مع الاكتشافات العلمية الحديثة، فبدأوا ينظرون إليه على أنه عمل أدبي، ومن ثم نزعوا عنه غلاف القداسة الهش الذي لم يصمد أمام مناهج النقد التاريخي والفيلولوجي.

جهود المدرسة الألمانية في النقد

ورأت الأطروحة أن علم نقد العهد القديم بدأ يبرز كمجال مستقل، وبزغت مناهجه وطرائقه في العصر الحديث، وكان الفضل الأكبر للمدرسة الألمانية في النقد، والتي انتقلت جهودها وتأثيراتها إلى فرنسا، حيث ورث إرنست رينان ميراثًا نقديًا ضخمًا، أعاد إنتاجه وفق قريحته الخاصة، وقد اشتُهر رينان بكونه أديبًا وفيلسوفًا ومؤرخًا وفقيهًا لغويًا وعالمًا في اللغات السامية، إلا أن جهوده في نقد العهد القديم لم تلق العناية والاهتمام من جانب الباحثين، حيث يشير زالمان شازار إلى أنه تمّ تجاهُل ذكر رينان كأحد مؤسّسي علم نقد العهد القديم؛ لأن آراءه لم تلق استحسانًا داخل الأوساط اليهودية!

اعتراف يهودي بسبق ابن حزم

وشددت الباحثة على أهمية دراسة الجهود النقدية التي قدّمها رينان في هذا المجال، مع ضرورة مقارنته بالجهد الإسلامي الذي مثّله ابن حزم؛ للكشف عن نقاط التقارب والاختلاف بين التراث الفكري للحضارتين الإسلامية والغربية في مجال نقد نصوص العهد القديم، وإبراز قضايا التأثير والتأثّر، وقد أشار بعض الباحثين الغربيين من أمثال اليهودية هافا لازاروز إلى انتقال النقد الإسلامي للعهد القديم- لاسيما جهود ابن حزم- إلى أوروبا مع بدايات عصر النهضة، عبر قنوات الاتصال بين الشرق والغرب، في إسبانيا وصقلية، وذلك على يد يهود العصر الوسيط، ومن أهم تلك الشخصيات: إبراهام بن داود، وإبراهام بن عزرا، وسليمان بن عدريت، كما نقلها أيضًا بعض اليهود المُتحوّلين للمسيحية من أمثال بتروس ألفونس، وبعض الرّهبان المسيحيين مثل ريموندس مارتيني.

نتائج وتوصيات

وتوصّلت الباحثة إلى عدة نقاط ونتائج بعد المقارنة بين منهجي ابن حزم ورينان، منها أنه بينما كان يسعى ابن حزم إلى تجلية كيف حُرّفت التوراة الأصلية، وأن مخطوطات موسى عليه السلام الأصلية التي كُتبت في سيناء بمصر قد ضاعت، وانقطع سندها، وتحوّلت إلى نص بشري مليء بالخرافات.. كان رينان يسعى نحو التكريس إلى أن أصل الروايات كان لادينيًا بالأساس، وأنه لا وجود فعليًا للوحي الموسوي، وأن الأصل- حسب رينان- كان مجرد أساطير وقصص شعبية خرافية لادينية تحوّلت عبر جهود أنبياء بني إسرائيل إلى نص ديني مقدس!

ورأت الباحثة أن غاية ابن حزم في نقده لنصوص العهد القديم كانت الوصول للحق عبر قول فصل، وهو أن الدين عند الله الإسلام، بينما كانت غاية رينان هدم فكرة الدين من أساسها، وإحالتها إلى جمع من الأساطير؛ ليصبح العلم وحده هو دين الإنسانية الجديد، كما يقول هنري بيري!

وانتهت الرسالة إلى اختلاف منطلقات الرجلين المنهجية والفكرية، فابن حزم انطلق من عقل مُعانق للوحي، ورينان انطلق من عقل مُفارق له، إلا أنهما اتفقا على حقيقة واحدة هي أن العهد القديم مُحرّف ومليء بالتناقضات والخرافات، وأنه خضع عبر قرون طويلة للتحريف والتشويه والحذف والإضافة!

باحث دراسات إسلامية

معالجة النوازل وفق نظر الفقهاء القدامى وتأويلات المعاصرين

إن دراسة النوازل ومعالجتها تعد ضرورة قصوى، لذا ينبغي أن تكون واقعة ضمن دائرة شمولية وكلية وعامة تأخذ بعين الاعتبار جملة الكليات والجزئيات الشرعية، حتى يكون الحكم المتوصل إليه متطابقًا مع المقصود الشرعي أو قريبًا منه، قال الشاطبي: «فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص مثلًا في جزئي معرضًا عن كلية فقد أخطأ، وكما أن من أخذ بالجزئي معرضًا عن كلية فهو مخطئ، كذلك من أخذ بالكلي معرضًا عن جزئية»(١).

د. صالح النهام

حتى نقف على المقصود إليك البيان في المسائل التالية:

المسألة الأولى: التعريف بالنوازل:

١- النوازل لغةً: «جمع نازلة، وهي مأخوذة من نزل بمعنى هبط وحل في المكان، كما تطلق أيضًا على المصيبة الشديدة التي تنزل على الناس»(٢).

٢- النازلة اصطلاحًا: «الحادثة التي تحتاج إلى استنباط حكم شرعي لها»(٣).

ومن المعاني التي تطلق على النازلة: القضية المستجدة، أي: المسألة المستحدثة التي تعرض على القاضي أو المجتهد ليحكم فيها من خلال معرفة أصل المسألة والذي هو محل الحكم الذي يريد المجتهد التسوية فيه بينه وبين النازلة المعروضة.

المسألة الثانية: محل الحكم(٤)

وهذا الأصل إما أن يكون نصًا في القرآن أو السنة، أو إجماعًا، أو قاعدة كلية، أو نصًا فقهيًا لإمام من أئمة الفقه، وبيان ذلك فيما يلي:

١- كون الأصل نصًا في القرآن أو السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وانظر في عموم كلام الله عز وجل ورسوله لفظًا ومعنى، حتى تعطيه حقه، وأحسن ما استدل به على معناه آثار الصحابة الذين كانوا أعلم بمقاصده»(٥)، ومما يدل على وجوب حمل النوازل المستجدة على النوازل المنصوص عليها في الكتاب والسنة، قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٢- كون الأصل إجماعًا(٦)، وقد عُرِّف بأنه: «اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور بعد وفاته ﷺ على حكم عقلي أو شرعي في واقعة»(٧).

٣- كون الأصل قاعدة كلية، لكون الشريعة الإسلامية جاءت بقواعد كلية عامة تتسع لكثير من النوازل المستجدة، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)، ومن السنة: قول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...»(٨).

٤- كون الأصل نصًا فقهيًا لإمام من أئمة الفقه، وذلك حين لم يجد الفقيه ما يسعفه في الكتاب والسنة والإجماع في نصوص الفقهاء واجتهاداتهم(٩)، وفي هذا الصدد قال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»(١٠)، وإذا لم يجد الفقيه ما يسعفه في أقوال الصحابة، نظر في أقوال التابعين وأتباعهم من الأئمة الأربعة وغيرهم من الفقهاء، قال ابن عبدالبر: «لا يكون فقيهًا في الحادث من لم يكن عالمًا بالماضي»(١١).

وقد أجمع العلماء على أنه لا اجتهاد في مورد النص، وبهذا يذكر ابن القيم أن الإمام الشافعي قال: «أجمع العلماء على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»(١٢)، والقاعدة الفقهية تقول: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»(١٣)، ولذا ينبغي في أي نازلة أن تكون خالية من النصوص أو الإجماع الذي يدل على وجود حكم شرعي لها.

المسألة الثالثة: منهج الفقهاء القدامى في النظر في النوازل:

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

إن معالجة النوازل تستوجب على الناظرين اتباع منهج واضح من خلال السنن التي بينها النبي ﷺ لصحابته- رضي الله عنهم- عندما تحدث لهم نازلة لم ينص عليها في الشرع؛ أن يتدرجوا من خلال أصول ثابتة تُبنى عليها الأحكام، ومن ذلك ما قاله رسولنا الكريم ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم يكن في كتاب الله» قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ» قال: اجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدره ثم قال: «الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يرضي رسول الله»(١٤).

وفي الحديث دلالة واضحة على أن العالم عليه ألا يقف مكتوف اليدين أمام الوقائع المستجدة، ويجب عليه أن يبحث عن حكمها الشرعي في الكتاب والسنة، فإن لم يجد اجتهد في إلحاق القضايا الجديدة بأشباهها وأعطاها حكم الشبيه، وقد أمّر النبي ﷺ معاذًا على هذا المنهج في معرفة الأحكام.

ومما يؤكد وعي الصحابة الكرام لمعالم هذا المنهج ما رواه الإمام الشعبي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا كتب إلى شريح يقول له: «إذا وجدت شيئًا في كتاب الله فاقض به ولا تلتفت إلى غيره، وإذا أتى شيء- أراه قال- ليس في كتاب الله وليس في سنة رسول الله ولم يقل فيه أحد قبلك فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر وما أرى التأخر إلا خيرًا لك»(١٥)، فهذا المنهج الأصيل لم يختلف فيه أحد من الصحابة الكرام والتابعين ومَن بعدهم، حيث كان جميعهم يؤكد لزوم الرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، واعتماد فقه الصحابة- رضي الله عنهم- وإجماعهم في الأحكام والأقضية، حتى الأئمة الأربعة لم يختلف النقل عنهم

على الناظر في النوازل أن يكون قويًا في استنباطه رصينا في فكره بصيرًا بما فيه المصلحة

في أنهم أقاموا مذاهبهم في ضوء النصوص من الكتاب والسنة، وقد نهوا مَن بعدهم عن متابعتهم فيما ذهبوا إليه من غير النظر في مآخذهم وأدلتهم، وحرَّموا على أتباعهم متابعتهم إذا ظهر لهم من النصوص ما يخالف أقوالهم، وطالبوا أتباعهم بترك أقوالهم إذا كانت النصوص على خلاف ما ذهبوا إليه، وإليك بعض أقوال الأئمة الأربعة في ذلك أسوقها على النحو التالي:

١- روى أبو يوسف عن شيخه أبي حنيفة أنه قال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»(١٦).

٢- عن الإمام مالك أنه قال: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»(١٧).

٣- عن الإمام الشافعي أنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»(١٨).

٤- قال الإمام أحمد: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»(١٩).

وإليك ما قاله الإمام الزركشي توضيحًا لمعالم هذا المنهج والخطوات التي ينبغي أن يراعيها المجتهد عند نظره في النوازل حينما قال: «اعلم أنه حق على المجتهد أن يطلب لنفسه أقوى الحجج عند الله ما وجد إلى ذلك سبيلًا، لأن الحجة كلما قويت أمن على نفسه من الزلل، وما أحسن قول الشافعي في الأم: وإنما يؤخذ العلم من أعلى» وقال- أي الشافعي- فيما حكاه عنه الغزالي:

- إذا وقعت الواقعة فيه فليعرضها- أي المجتهد- على نصوص الكتاب.
- فإن أعوزه فعلى الخبر المتواتر، ثم الآحاد.
- فإن أعوزه لم يخض في القياس بل يلتفت إلى ظواهر الكتاب، فإن وجد ظاهرًا نظر في المخصصات من قياس وخبر.
- فإن لم يجد مخصصًا حكم به.
- وإن لم يعثر على ظاهر من كتاب ولا سنة نظر إلى المذاهب، فإن وجدها مجمعًا عليها اتبع الإجماع.
- وإن لم يجد إجماعًا خاض في القياس.
- ويلاحظ القواعد الكلية أولًا ويقدمها على الجزئيات، كما في القتل بالمثقل، فيقدم قاعدة الردع على مراعاة الألم.
- فإن عَدم قاعدة كلية نظر في النصوص، ومواقع الإجماع.
- فإن وجدها في معنى واحد ألحق به، وإلا انحدر إلى قياس مُخيل، فإن أعوزه تمسك بالشبه، ولا يعول على طرد.

قال الغزالي: «هذا تدرج النظر على ما قاله الشافعي، ولقد أخر الإجماع عن ذلك الأخبار، وذلك منه تأخير مرتبة لا تأخير عمل؛ إذ العمل به مقدم ولكن الخبر مقدم في المرتبة عليه فإنه مستند قبول الإجماع» (٢٠).

وهذا المنهج الذي يتبعه المجتهد في نظره إلى ما يجدّ ويقع من مسائل، سار عليه الأصوليون واعتبروا ما سبق الإشارة إليه من خطوات وطرق هي المنهج المتبع للمجتهد للوصول إلى أحكام النوازل والوقعات(٢١).

المسألة الرابعة: منهج العلماء المعاصرين في النظر في النوازل:

للعلماء المعاصرين ثلاثة مناهج برزوا فيها، ليست من ولادة هذا العصر، وإنما

هي امتداد اجتهادات ووجهات نظر قديمة، بيانها فيما يلي:

أولاً: المنهج المتشدد

هو منهج ذمَّ الله تعالى اتِّباعه مع الناس، سواء كان ذلك إفتاء أو تدريسًا، وقد أوقع المسلمين في حرج شديد؛ لكونه إما امتدادًا لمنهج الخوارج الذي يشدد ويضيِّق على الناس فضلًا عن أنفسهم، أو هو منهج الظاهرية الذين شذوا في بعض الأفهام الغريبة، والآراء العجيبة؛ حيث لا يبالون بعواقب الأمور ومآلات النصوص، وشواهد هذا المنهج كثيرة، منها:

١- إلزام الناس برأي معين، وهذا منهج منعه جمهور العلماء(٢٢) وفي ذلك يقول الإمام أحمد: «من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم»(٢٣).

٢- التمسك بظاهر النصوص دون فهمها، قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا أو حرّم كذا، فيقول الله له كذبت لم أحل كذا، ولم أحرمه»(٢٤).

٣- الغلو في الأخذ بمبدأ سد الذرائع، حين تؤول المبالغة في الأخذ بها إلى تعطيل مصالح راجحة مقابل مصلحة أو مفسدة متوهمة يظنها الفقيه، فيغلق الباب إساءة للشرع من حيث لا يشعر، كمن ذهب إلى منع زراعة العنب خشية اتخاذه خمرًا، والمنع من المجاورة في البيوت خشية الزنا، وغيرها من الأمثلة التي اتفقت الأمة على عدم سد الذرائع فيها؛ لأن مصلحته راجحة فلا تترك لمفسدة مرجوحة متوهمة(٢٥).

ثانيًا: منهج الغلو في التيسير

هو منهج سلكه كثير من العلماء المعاصرين بسبب كثرة المغريات بالشر والعوائق عن الخير، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، حيث تواجهه التيارات الكافرة عن يمين وشمال تحاول إبعاده عن دينه وعقيدته ولا يجد مَن يعينه، بل ربما يجد من يعوقه، وبناء على ذلك قام عدد ليس بقليل من الفقهاء المعاصرين، تمشيًا مع هذا الواقع، إلى الأخذ بمبدأ التيسير ما استطاعوا في فتاويهم؛ ترغيبًا للمستفتين وتثبيتًا لهم على الطريق القويم(٢٦).

اشترط العلماء قديمًا وحديثًا وجوب معرفة وفهم المقاصد ولزوم الاستنباط على وفقها

إلا أن من أصحاب هذا المنهج من وقع في تجاوزات في اعتبار التيسير والأخذ بالرخص، وربما وقع أحدهم في رد بعض النصوص وتأويلها بما لا تحتمل وجهًا في اللغة أو في الشرع، وهذا الواقع ليس مسوغًا للتضحية بالثوابت والمسلمات، أو التنازل عن الأصول والقطعيات مهما بلغت المجتمعات من تغير وتطور(٢٧).

ومن العلماء المعاصرين الذين سلكوا مبدأ التساهل في العمل بالمصالح(٢٨)، ولو عارضت النصوص، من أفتى بجواز الفوائد المصرفية مع معلومية الربا فيها، ومخالفته للنصوص والإجماع المحرم للربا قليله وكثيره، وأيضًا ما جاء عن بعض الفتاوى التي أباحت بيع الخمر من أجل مصلحة البلاد في استقطاب السياحة، وإباحة الربا من أجل تنشيط الحركة التجارية والنهوض بها(٢٩)، وفي ذلك تحذير من النبي ﷺ حيث قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»(٣٠)، وعلى هذا فقد حصل اتفاق أكثر أهل العلم على عدم تجويزه؛ وقد جاء عن أبي الوليد الباجي أنه قال: «ان أحد أهل زمانه أخبره أنه وقعت له واقعة، فأفتاه جماعة من المفتين بما يضره وكان غائبًا، فلما حضروا قالوا: لم نعلم أنها لك، فأفتوه بالرواية الأخرى، قال: وهذا مما لا خلاف بين المسلمين المعتد بهم في الإجماع أنه لا يجوز»(٣١).

ثالثًا: المنهج المعتدل

لا يخفى على أحد أن شريعتنا الإسلامية تنادي بمبدأ الوسطية في كل شيء، الأمر الذي يلزم العلماء باتباع الوسط المعتدل الذي يكون فيه الأمر بلا إفراط ولا تفريط، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي: «المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال، أما طرف التشديد فإنه مهلكة، وأما طرف الانحلال فكذلك أيضًا؛ لأن المستفتي إذا ذُهِبَ به مذهب العنت والحرج بُغِّض إليه الدين وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وهو مشاهد، وأما إذا ذُهِبَ به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي على الهوى والشهوة، والشرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مهلك، والأدلة كثيرة(٣٢).

وبعد عرض مناهج العلماء المعاصرين يتبين أن على الناظر في النوازل أن يكون قويًا في استنباطه، رصينًا في فكره، صاحب أناة وتؤدة، بصيرًا بما فيه المصلحة، حافظًا لدينه، مشفقًا على أهل ملته، لأن منهج التشديد قد يحتاجه العلماء، وذلك في السياسة لمن هو مُقْدِمٌ على المعاصي متساهل فيها، وقد يُحتاج أيضًا إلى منهج التيسير(٣٣).

وختامًا إليك كلامًا نفيسًا ذكره ابن عبد البر يبين فيه المنهج الصحيح في الوقوف على أحكام النوازل حين قال: «فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن

والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء، فجعله عونًا له على اجتهاده، ومفتاحًا لطرائق النظر، وتفسيرًا لجمل السنن المحتملة للمعاني، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد إليها على كل حال، دون نظر، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر، وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه، وحمدهم على صوابهم الذي هو أكثر أقوالهم، ولم يبرئهم من الزلل كما لم يبرئوا أنفسهم منه، فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه، والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ، وهدي صحابته، رضي الله عنهم، ومن أعف نفسه من النظر، وأضرب عما ذكرنا، وعارض السنن برأيه، ورام أن يردها إلى مبلغ نظره، فهو ضال مضل، ومن جهل ذلك كله أيضًا، وتقحم في الفتوى بلا علم، فهو أشد عمى، وأضل سبيلًا»(٣٤).

ومن الأهمية بمكان أن يراعى لكل حال معاصر إعمال المقاصد والأدلة معًا، وذلك من خلال إعمال المقاصد بصفة مباشرة، وبصفتها قواعد مستنتجة من الأدلة، وبإعمال الأدلة بصفة غير مباشرة بصفتها الشرعية، وباعتبار كونها أساس تلك المقاصد، وكما هو معلوم أن المقاصد تعد إحدى المعطيات التي يستند إليها المجتهدون في معرفة أحكام القضايا والمستجدات، وقد اشترط العلماء قديمًا وحديثًا وجوب معرفة وفهم المقاصد ولزوم الاستنباط على وفقها(٣٥)، قال الشاطبي: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين، أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والثاني: التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها»(٣٦).

الهوامش

١- انظر: الموافقات للشاطبي: (٨/٣).
٢-انظر: مادة: (ن ز ل) في كل من: المصباح المنير: (ص:٣٠٩)، مختار الصحاح: (ص:٥٧٦)، المعجم الوسيط: (٩٢٣/٢).
٣- انظر: معجم لغة الفقهاء لقلعه جي وقنيبي: (ص:٤٩٧).
٤- انظر: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للنسفي: (٢٤٨/٢)، لباب المحصول في علم الأصول لحسين بن رشيق المالكي: (٦٦٣/٢ وما بعدها)، مناهج العقول شرح منهاج الوصول للبدخشي: (٤٩/٣ وما بعدها)، شرح الكوكب المنير للفتوحي: (١١/٤ وما بعدها).
٥- انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: (٨٥/٢٩).
٦- وقد اختلف الأصوليون في صحة حمل النوازل على الإجماع على قولين أصحهما الجواز. انظر: المستصفى للغزالي: (٣٥٢/٢)، المحصول للرازي: (٣٦٠/٥)، المسودة لآل تيمية: (ص: ٤٠٨)، إرشاد الفحول للشوكاني: (ص:٣٤٩)
٧-انظر: الإحكام للآمدي: (٢٤٥/١).
٨- أخرجه البخاري، برقم: (٦٦٨٩)، وأبو داود، برقم: (٢٢٠١)، النسائي، برقم: (٧٥).
٩- انظر: الموافقات: (٣٩/١)، الفروق للقرافي: (٤٠/٤).
١٠-انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: (٤٧/٢).
١١- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: (١٢٠/٧).
١٢- انظر: إعلام الموقعين لابن القيم: (٢٨١/٢).
١٣-انظر: شرح مجلة الأحكام العدلية لنير القاضي: (٧٣/١).
١٤-أخرجه أبو داود، برقم: (٣٥٩٢)، والترمذي، برقم: (١٣٢٧).
١٥- أخرجه الدارمي في المقدمة:(٦٠/١)، وذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه: (٤٩٢/١).
١٦-انظر: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج: (٣٤٦/٣).
١٧- انظر: جامع بيان العلم وفضله: (٧٧٥/١).
١٨-انظر: المجموع للنووي: (٦٣/١).
١٩-انظر: إعلام الموقعين: (٣٠٢/٢).
٢٠-انظر: المنخول للغزالي: (ص: ٤٦٦)، البحر المحيط: (٢٢٩/٦).
٢١-انظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لعبد العلي الأنصاري: (١٩١/٢)، شرح العضد على مختصر ابن الحاجب: (٣١٢/٢)، المستصفى: (٣٩٢/٢)، شرح الكوكب المنير: (٦٠١/٤)، إرشاد الفحول: (ص: ٢٧٣).
٢٢-انظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي:(ص: ٤٣٢)، شرح المحلي على جمع الجوامع: (٣٩٣/٢)، شرح الكوكب المنير: (٥٧٤/٤).
٢٣-انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح: (٤٥/٢).
٢٤-نظر: إعلام الموقعين: (١٣٤/٤).
٢٥-انظر: شرح تنقيح الفصول: (ص: ٤٤٨-٤٤٩)، الفروق للقرافي: (٣٣/٢).
٢٦-انظر: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط للدكتور/ يوسف القرضاوي: (ص: ١١١).
٢٧-انظر: بعضًا من هذه الفتاوى من كتاب تغليظ الملام على المتسرعين في الفتيا وتغيير الأحكام للشيخ/حمود التويجري: (ص: ٥٨-٨٨).
٢٨-والمصالح ثلاثة: مصالح شهد الشارع الحكيم باعتبارها، لكونها توافق النصوص، ومصالح لم يعتبرها الشارع الحكيم، لكونها تخالف النصوص، ومصالح مرسلة سكت الشارع الحكيم عن اعتبارها أو إلغائها، وسميت بالمرسلة، لأنها تلقب بالاستدلال المرسل، وتفصيل ذلك ينظر في كتب الأصول.
٢٩-انظر: الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة للسالوس: (٣٣٠/١-٣٥٦).
٣٠-ذكره ابن بطة العكبري في جزء إبطال الحيل: (ص: ٢٤).
٣١-انظر: تبصرة الحكام لابن فرحون: (٦٤/١)، إعلام الموقعين:(١٧٠/٤ - ١٧١).
٣٢- انظر: الموافقات: (٢٧٦/٥- ٢٧٨).
٣٣-انظر: المرجع السابق: (٢٨٦/٢)، أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح: (ص:١١١-١١٢).
٣٤-انظر: جامع بيان العلم وفضله: (١٧٢/٢).
٣٥-انظر: نظرية المقاصد عند الشاطبي للدكتور/الريسوني: (ص:٣٤٤-٣٥٢).
٣٦-انظر: الموافقات: (١٠٥/٤-١٠٦).

إن شريعة الإسلام هي شريعة الفطرة، والمراد أنها قائمة على مقتضيات الفطرة، ووفق حاجاتها، قال تعالى:﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم...﴾ (الروم:٣٠)، ومعنى الفطرة كل ما خلق الله تعالى الناس عليه، مما لا مدخل لهم فيه، بما في ذلك شهواتهم ونقائصهم، ومادام الاختلاف بين الناس ترجع بعض أسبابه إلى عوامل مخلوقة فيهم ولازمة لهم فلابد من مراعاة الشريعة لذلك، فتقرره وتبني عليه، وهذا ما يوجد فعلا بحيث لا نجد في نصوص الشريعة وأحكامها ما يمنع الخلاف رأسا، ويسعى إلى محوه وتخليص الحياة منه، بل الذي نجده هو الاعتراف بواقع الخلاف، والتقرير لصور عدة منه، ووضع الحدود والضوابط له، كما هو الشأن في سائر ما هو مباح بأصله مقيد بحدود وضوابط قد تجعله محرما أو مكروها في حالات، أو تشترط له شروطا.

فقه الاختلاف في الإسلام..دراسة شرعية في ضوابطه وقواعد ترشيده من خلال هدايات الوحي وبصائره

د.محمد الأنصاري

إن إقرار الشريعة للاختلاف وبناءها عليه اعتراف مبدئي بحق الاختلاف وحرية التعبير وحق الآخر في الرأي.

والمراد بالرأي الآخر الذي تقره الشريعة هو الرأي المضبوط بضوابط الاختلاف وآدابه وقواعده المقررة شرعا، الموزون بميزان العلم والأخلاق والقيم الشرعية، فهو بهذه الصورة يعتبر وسيلة تفاعل وتلاقح وتكامل وتواصل وإنضاج لجميع القضايا المختلف فيها بين الناس، وخاصة بين العلماء والفقهاء والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

ومن التنبيهات الشرعية على تقرير الاختلاف والاعتراف بالرأي الآخر من حيث الأصل:

١- كون القرآن والسنة قد قصا علينا حالات عدة من الاختلاف المشروع، وهذه الاختلافات وقعت بين المعصومين من الأنبياء، الذين تدل أفعالهم على الإباحة والمشروعية.

ومن اختلافات الأنبياء التي حكاها القرآن الكريم:

أ - اختلاف داود وولده سليمان عليهما السلام المقرر في قوله تعالى:﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ (الأنبياء: ٧٨)، فداود وسليمان حكم كل واحد منهما بحكم مختلف عن الآخر في واقعة واحدة.

ب - ومنه أيضا اختلاف موسى وأخيه هارون، وكل منهما نبي (١)، قال تعالى:﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ (الأعراف: ١٤٢)، ويؤكد خلاف موسى لهارون قوله تعالى مقررا أثر ذلك الاختلاف بينهما: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ (الأعراف: ١٥٠).

ج - وكذلك اختلاف موسى عليه السلام مع الخضر اختلافات كثيرة، انتهت بافتراقهما، قال تعالى مقررا ذلك ومثبتا له: ﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ (الكهف: ٦٥ إلى ٧٨).

٢ - كون القرآن والسنة قد قصا علينا حالات عدة من الاختلاف المشروع، وهذه الاختلافات وقعت بين الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن صورها

(١) أستاذ الفقه والأصول بشعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب/ جامعة شعيب الدكالي/الجديدة/ المغرب.

القرآن والسنة هما المرجعية العليا التي يجب الاحتكام إليها عند أي خلاف

المقررة في القرآن ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله:﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ (ص:٦٩).

٣ - اختلاف الصحابة زمن النبوة والخلافة وإقرار الرسول ﷺ لذلك الاختلاف:

ويؤكد هذا المسلك ما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من اختلاف في قضايا عدة، دونها العلماء في مصنفاتهم، حتى صارت متواترة بين الأجيال، وقد أقر بعضها الرسول عليه الصلاة والسلام وسددها، كما هو الأمر في اختلافهم في فهم قوله، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم (٢).

وقد أشار الإمام الغزالي- رحمه الله- إلى هذا النوع من اختلاف الصحابة حيث قال: « إن اختلافهم معلوم تواترا»(٣). وكذلك الشأن بالنسبة للتابعين وتابعيهم، وفي مقدمتهم أئمة المذاهب وغيرهم من العلماء والفقهاء المجتهدين.

ومعرفة هذه الاختلافات والاطلاع عليها سبيل لتنوير العقل، وإنضاج الرأي وتكامله. وهاهنا لابد من الإشارة إلى أن الشريعة بإقرارها لمبدأ الاختلاف والاعتراف به، واعتباره حقا مشروعا داخل مؤسسات العلم والعلماء، وبين جميع مكونات المجتمع ابتداء بالأسرة مرورا بمؤسسات المجتمع المدني، ومنها هيئات ومؤسسات الدعوة الإسلامية، وانتهاء بمؤسسات الدولة، لا تقصد بذلك جميع أنواع الاختلاف، إذ إن هناك اختلافات مذمومة لا تقبل في ميزان الشريعة، ولا يتقبلها العقل السليم، ومنها الاختلاف الذي سببه الهوى والتعصب للرأي دون دليل قاطع أو برهان ساطع، واتباع نزغات النفس الأمارة بالسوء، إذ من شأن هذا أن يؤدي إلى الاختلاف في أصول الدين وكلياته، وإلى الاختلاف في قطعياته ومحكماته، أو يفضي إلى تفرق كلمة المسلمين ووحدتهم، وضرب الأمة بعضها ببعض، ولهذا وضعت الشريعة لسنة الاختلاف فقها له آدابه وقواعده وضوابطه ومجالاته وحدوده، لترشيده وتهذيبه سدا لذريعة اتباع الأهواء ورغبات الأنفس ونزغات الشيطان.

قواعد في ترشيد فقه الاختلاف

إذا سلمنا بقاعدة شرعية الاختلاف في الإسلام، المؤطر بضوابط الشريعة وقواعدها وبمنطق العقل وأصول الأخلاق، تأطيرا يسهم في توجيهه، وتخلق المختلفين بآداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة ليصبح الاختلاف وسيلة نافعة بناءة وسبيلا للتنوع والتكامل، فإنه لابد من عرض مجموعة من القواعد المنهجية والعلمية والسلوكية، تسهم بشكل فعال في تطوير البناء الحضاري والعمران البشري للأمة، وفي مقدمة ذلك البناء والتعمير تطوير أدوات التدبير لمؤسسات العلم والعلماء، ومؤسسات الدعوة والدعاة وغيرها من مؤسسات الدولة والمجتمع المسلم، وتسهم أيضا في تجاوز معيقات الاختلاف وآثاره في الأنفس والعقول والسلوك، وعلى رأسها معيقات وآثار الاختلاف الضار بمسيرة الاختلاف المقبول النافع الباني.

ومن تلك القواعد والضوابط ما يلي:

١- اعتبار القرآن والسنة المرجعية العليا التي يحتكم إليها عند أي اختلاف، إذ بالرجوع إليهما يهتدي المختلفون في الرأي بنورهما ومقاصدهما وأحكامهما، التي جاءت

لدرء الفساد عن الناس وجلب الصلاح لهم في المعاش والمعاد.

والمقصود بالعودة إلى الكتاب والسنة، إزالة جميع الوسائط التي قد تعكر سبل الوصول إلى الرأي الصائب القويم السديد، ومن ذلك الرجوع إلى الأشخاص واعتبار آرائهم صوابا لا تناقش، في حين أن المطلوب الاستئناس بأقوال العلماء وآراء الدعاة، والعمل بما وافق الصواب منها واعتبارها آراء تقبل الصواب والخطأ كما عند أئمة المذاهب الفقهية، وفي مقدمتهم الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه، حيث صار مشهورا بينهم قول: «كل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر» أي كلام الرسول ﷺ، فكلامه وحي، قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم: ٣، ٤).

والأصل في قاعدة اعتبار القرآن والسنة المرجعية العليا الحاكمة بين المختلفين، واعتبار هذا الرجوع سبيلا للوصول إلى رؤى وتصورات ناضجة سديدة، قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ (النحل: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ (الشورى: ١٠)، وقوله سبحانه: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء: ٥٩)، فمن مقتضيات الإيمان الحق بالله وباليوم الآخر، رد المتنازع فيه إلى أصلي التشريع في الإسلام: القرآن والسنة البيان، إذ بهذا الرد يهتدي المختلفون في الرأي إلى الحق والرشد، ويبتعدون عن كل ضلال وهوى، مصداقا لقوله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» (٤).

٢- العلم: والشرط فيه أن يكون مسددا بالوحي وهداياته، فيقرأ صاحبه كل المقروءات بمنهج القراءة القرآني في قراءة آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور، هذه القراءة التي تتأسس على قاعدة: «قراءة كل مقروء باسم الله» لقوله تعالى في أول ما نزل: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ (العلق:١ الى ٥).

فالعلم بهذا المعنى من أولى القواعد في هذا المجال، إذ به يتم الإدراك والفهم والاستيعاب، والتحقق الصحيح بالأمور، وهو يسبق كل شيء في الإسلام، ففي حديث معاذ: «العلم إمام والعمل تابعه» (٥)، وفي صحيح البخاري من كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى:﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾ (محمد: ١٩)، ولهذا وجب على المختلفين التسلح بسلاح العلم ليكون إماما لهم ودليلا ومرشدا، فالعلم يورث صاحبه الخشية الدافعة إلى العمل والبحث عن الصواب حيث كان، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر:٢٨)، والعلم نور وبصيرة يبصر المختلفين بالحق ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، ويفتح أمامهم آفاق التفاهم والتقارب والتكامل والتوحد.

والمراد بالعلم هنا الحد الأدنى من فقه الدين، وفقه الدعوة، وفقه الواقع، وفقه التنزيل، إذ بهذه الأفقاه الأربعة يتسع الإدراك ويستقيم الفكر، ويقوى العقل على التفكير السليم، ويكون المسلم المعاصر قادرا على حسن التفكير وحسن التعبير وحسن التدبير لقضايا العصر ومستجدات الحياة، وعلى التواصل الإيجابي مع مختلف مكونات مجتمعه وأمته خاصة، ومع الناس على اختلاف معتقداتهم ومشاربهم عامة، ولهذا كان العلم نورًا ينير السبيل لصاحبه، ويفتح له الآفاق، وكان الجهل ظلامًا يضل صاحبه ويعمي بصيرته عن الصواب، وحيثما وجد وجد معه الخلاف الضار المذموم شرعا وعقلا، قال أحد السلف الصالح: «لو سكت الجاهل لقل الخلاف»، وما أصدق ما قاله الخليفة عمر بن عبدالعزيز: «من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» (٦)، والمخالف بدون علم هذا شأنه، فقد ينتهي به الأمر إلى حمل السلاح على أخيه، وهذا ما حدث لبعض الفرق الضالة كالخوارج (حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا) (٧).

ومن مقتضيات العلم المراد: العلم بالقضية المختلف فيها، وبحيثياتها، وكل ما يتعلق أو يتصل بها، إذ بهذا يحصل السداد والتقارب والتوافق والنضج في الرأي.

وخلاصة القول في هذا العنصر، أنه بتفاوت الناس في العلم والإدراك والتجربة والخبرة والتذكر والنسيان وغير ذلك، تتفاوت اختلافاتهم في تقديراتهم، وتتباين تحليلاتهم وتوقعاتهم، ومن ثم اختلافهم في تدبير أمور الدين والدنيا وقضايا العصر ومستجدات الحياة وشؤون الدولة والمجتمع، وهذا ما لخصه العلامة ابن المرتضي في كلمة جامعة قال فيها: «علة الاختلاف التفاضل في العلم» (٨). فالعلم سلاح نافذ وقوة لا تهزم أبدا، لأن العالم من صفاته خشية الله تعالى ومراقبته في السر والعلن وابتغاء مرضاته بالسير

على هدايات الوحي المنهجية وبصائره التي تبصر بصيرة العالم المتفقه في الدين وتنور عقله وفكره وتعبيره وتدبيره، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أمرنا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٤٩)، وقال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ من رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام: ١٠٥)، فالتسلح بالوحي ومعارفه وثقافته خير سبيل لمعرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ، وهو السبيل لتوحيد الأفكار والفهوم المختلفة.

قواعد العلم

ويدخل في قاعدة العلم قواعد أساسية عدة منها:

أ - قاعدة فقه المقاصد والمصالح والمفاسد والموازنة بينهما، إذ بفقهها تتم معرفة ضروريات الدين وحاجياته ومكملاته، وهي المعيار الذي توزن به الأمور، والمسلك الدقيق إلى معرفة المصلحة الراجحة من المرجوحة، والمفسدة الصغيرة من الكبيرة، والجاهل بهذا الفقه لا يعرف هذه الأمور فيخبط خبط عشواء، وبذلك يكون سببا في الخلاف الضار الناتج عن رواسب الجهل ومخلفاته.

ب - فقه الأولويات: وهو من ثمار فقه المقاصد ونتائجه، والمراد به: وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى، بناء على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها نور الوحي وهداياته، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل، بل يقدم ما حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير، ولا يكبر الصغير ولا يهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه (٩)، وأساس هذا: أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتا بليغا، وليست كلها في رتبة واحدة، فمنها الكبير ومنها الصغير، ومنها الأصلي ومنها الفرعي وهكذا، ولهذا فإن غياب هذا النوع من العلم يفضي إلى الجهل بقاعدة عظيمة مفيدة، فلا يعرف الجاهل بها أولويات الأحكام ولا أولويات الدعوة ولا غيرها. وعلى هذا الأساس وجب على المتحاورين والمتشاورين الاهتداء بنور فقه الأولويات حتى يتأدبوا بآداب الخلاف ويتجاوزوا الضار منه إلى النافع المتكامل المتنوع، وربما إلى الرأي الواحد الراسخ.

ج - فقه الاختلاف: ولا يتم إلا بفقه أسبابه ومجالاته، والمراد به الاختلاف الذي عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف في أمور عدة شيئا، ومن فقه الاختلاف معرفة ما يجوز فيه الخلاف وما لا يجوز فيه، وأن منطقة ما يجوز فيه تعدد الرأي أوسع بكثير مما لا يجوز، ومنها حقل الدعوة الإسلامية ومجالاتها، وحقل السياسة الشرعية وغيرها.

والمهم من هذا كله أن نتعلم «فن الاختلاف» ونفقه آدابه الشرعية وقواعده الخلقية التي قعدها أئمة الهدى وعلماء الشريعة الأعلام، وأن نتعلم منهم كذلك كيف تتسع صدورنا لمن يخالفنا الرأي، في فقه الدين وفي قضايا الدعوة، من حيث ترتيب أولوياتها، وتحديد وسائلها، وأهدافها ومراحلها، وفي تربية الفرد وبنائه، وكذا في صياغة الرأي العام الإسلامي، وإقامة التحالفات والمشاركة السياسية وغير ذلك. وهذه كلها مجالات في حاجة إلى رؤى مستنيرة بنور العلم والمقاصد والأولويات الشرعية، فهي مجالات قائمة على الاجتهاد المشروع المسدد بقواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد والموازنة بينها.

٣- الانطلاق من القاعدة التي تواضع عليها السلف الصالح واعتمدوها في قضية الاختلاف لإنضاج الأمر المختلف فيه، والوصول في النهاية إلى رأي سديد وعميق، ومفاد هذه القاعدة: «رأيي صحيح يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» فهي قاعدة تجعل المختلفين على قدم المساواة في عدم التشبث بالرأي الوحيد والتعصب له، واعتباره الصواب الذي لا يقبل النقاش والحوار، إنها قاعدة التفكير السليم، والمنطلق السديد، والمنطق الصحيح، إذ بإمكان المختلفين في الرأي باعتمادهم على هذه القاعدة التوصل إلى الاتفاق، حيث إن هدف الجميع هو الحق والصواب، حيثما وجد، ومن أي طرف صدر، ثم تبنيه والعمل به.

٤- اعتماد المختلفين في جميع قضايا الخلاف على قاعدة: «الحوار بالتي

من المهم أن نتعلم فقه الاختلاف وفقه آدابه الشرعية وقواعده الخلقية

الإختلاف المشروع هو الذي يكون القصد منه المصلحة العامة والبناء لا الهدم

هي أحسن أساس التواصل والتفاهم والتقارب»، ومنها قضايا الاجتهاد في مستجدات العصر المختلفة، وقضايا الدعوة الإسلامية، من حيث منهجها وأولوياتها ووسائلها وغير ذلك، وكذا في قضايا الأمة التربوية والتعليمية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، وفي أسلوب العمل السياسي، وقواعد المشاركة السياسية والتحالف مع المخالفين، وغيرها من أمور تبني هموم الناس وكيفية التعامل معها، وتحديد أولوياتها.

فاعتماد المختلفين في هذه القضايا وغيرها قاعدة: «الحوار بالتي هي أحسن أساس التواصل والتفاهم والتقارب»، هو السبيل لحلها بالتي هي أحسن.

والمقصود بالحوار هنا، الحوار الهادئ الهادف البناء، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان قصد جميع المتحاورين سليما، إذ لا مجال لاتباع الهوى، أو التعصب للرأي دون دليل قاطع، أو تغليب العقلية الحزبية الضيقة، أو تقديس الرأي والمكابرة، إذ كل ذلك فتح لثغرة الشيطان جاثم عليها يتولى رعايتها، فليحذر العلماء والفقهاء الدعاة الحكماء الوقوع في حبائلها، قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (فاطر: ٦)، إن قاعدة الحوار لا تثمر ولا تفضي إلى رأي سديد إلا باعتماد المتحاورين أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، هذا الأسلوب المتحضر الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل: ١٢٥)، فالجدال والحوار بهذا الأسلوب القرآني الهادف، دعوة بالحكمة وسبيل إلى رأي سديد ناضج قد يفضي إلى الاتفاق أو التقارب والتكامل.

٥- اعتماد المختلفين على القاعدة التي تواضع عليها أحد الدعاة: «لنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»، يقول الداعية محمد الغزالي- رحمه الله- في هذا المعنى «وكان من الممكن أن يتعاون الأتباع فيما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، وهذا ما آثره أولو الألباب، ولكن المرضى بالشقاق عكروا الصفو ومزقوا الشمل» (١٠).

إن هذه القاعدة تفتح باب التواصل باستمرار، ومن ثم التعاون والتآزر، وهذا من شأنه أن يشرح القلوب ويفتح البصائر وينير الطريق أمام المختلفين، للوصول في الأخير إلى رأي سديد موحد في قضايا كثيرة اختلفوا فيها سابقا.

٦- قاعدة الاتحاد والترابط فريضة إسلامية وضرورة واقعية، إن أهم ما ينبغي أن يهتم به أهل العلم والفقه في الدين والدعوة والواقع وقادة الأمة، ويجعلوه من أهداف الدين ومقاصد دعوته الاتحاد والألفة واجتماع القلوب، والتئام الصفوف، والبعد عن الخلاف المفرق، وكل ما يمزق الجماعة المؤمنة ويفرق الأمة المسلمة، مما يوهن دين الأمة ودنياها، ومن توجيهات القرآن هاهنا: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم...﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣)، وقوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى: ١٣)، ومن السنة قوله ﷺ: «إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» (١١)، وقوله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم» (١٢)، فالوحدة والترابط والتماسك قوة ونصرة تعصم الصف المرصوص الموحد من الهلكة والهزيمة، قال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ (الصف:٤).

٧- سلامة القصد: فسلامة القصد سلوك قلبي باطني يعبر عنه سلوك خارجي يتمثل في القول والعمل، وهذا ما تقتضيه القاعدة الشرعية: «الأمور بمقاصدها» بدليل قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (١٣)، ومن هنا فإخلاص النية وسلامة القصد دعامتان أساسيتان من أهم الدعائم السلوكية والأخلاقية في إنجاح الحوار والتشاور.

وعلى هذا الأساس يجب أن يكون هدف الإنسان المسلم هو الوصول إلى الحق والصواب لا الغلبة وإظهار الفضل والعلم، والمباهاة واستمالة

الناس، ففي الحديث الصحيح: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم» (١٤).

علامات سلامة القصد

ومن علامات سلامة القصد عند العلماء:

أ - أن يكون هم المحاور هو معرفة الحقيقة سواء ظهرت على لسانه أو لسان محاوره.

ب - أن يرى في محاوره ومخالفه معينا يعينه على التعرف على الحقيقة والصواب، لا خصما ينافسه.

ج - أن يعترف بفضل الآخر ويشكره على ما أعانه عليه، وخصوصا إذا ظهر بعض الحق في كلامه.

٨ - قاعدة الشورى الملزمة: لقوله تعالى:﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)، فالشورى قاعدة إسلامية لتدبير أمور المسلمين وحل قضاياهم، وخضوع المختلفين إلى التشاور والتزامهم بنتائجه من العواصم التي تعصم المسلمين من الزلل والتعصب للرأي، والشورى مبدأ وخلق إسلامي يستوعب كل نواحي الحياة كما دلت على ذلك سنة الرسول العملية، فقد كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه، ولعل الآفة الخطيرة التي يعاني منها المختلفون هي الاستبداد في الرأي وهو سبب الاستبداد في الحكم وفي غيره من مجالات حياة المسلمين اليوم.

٩- التخلق بخلق التقوى: فالتقوى خلق كريم يجعل المختلفين من العلماء والدعاة حريصين كل الحرص على الحق والصواب بدافع التقوى التي تخلق فيهم ضمير المراقبة الدائمة لله تعالى والخوف منه في السر والعلن، فهي سبيل الخروج من العسر إلى اليسر ومنه الخروج من عسر الخلاف الضار إلى يسر الاتفاق والتكامل والتعاون، قال تعالى:﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ (الطلاق: ٢)، وقوله:﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ (الطلاق: ٤).

وخلاصة الأمر مما تقدم فإن المشروعية العليا في حياة المسلمين، يجب أن تكون دائما للكتاب والسنة، كما كان الأمر في عصر الرسالة والخلافة الراشدة، فهما المعيار الدقيق الذي توزن به الأمور، والمقياس المنضبط الذي يجب أن يحكم الأمور، ومنها حرية التعبير وحدوده وضوابطه، وأسس الحوار وقواعده، وحق الاختلاف ومجالاته وآدابه، وهاهنا فإن وزن هذه الأمور ينبغي أن يكون بهذا المعيار فتعار به وتقاس بقياسه، لتكون وسيلة إشعاع للفكر والعقل يهتديان بها إلى سبيل الرشاد، حينئذ يصبح الاختلاف المشروع-باعتباره حقا- وسيلة للتفكير السليم، والرأي السديد، والحوار الهادئ الهادف والتشاور النافع.

ومن هذا المنطلق فإن أي اختلاف لا ينضبط بمعيارية القرآن والسنة يكون اختلافا شاذا وضارا غير مقبول في ميزان الشرع والعقل معا، فيندرج حينئذ تحت قوله ﷺ في الحديث الذي روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (١٥).

إذن فالاختلاف المشروع هو الذي يكون القصد منه المصلحة العامة والبناء لا الهدم، ويعمل أصحابه على الجمع لا التفريق، وعلى التواصل لا التقاطع، وعلى التآزر والتعاون لا التآكل والتصادم، وعلى التحاب والموالاة لا العداوة وموالاة الأعداء، وبهذا التصور الإسلامي المتحضر لحرية التعبير والرأي في قضايا الدين والدعوة وشؤون تدبير قضايا الناس ومصالح الأمة، تكون دائرة الخلاف مضبوطة بميزان الشرع الحكيم، والضمير الحي المراقب لله تعالى، والعقلية المستنيرة بنور الوحي وبصائره، المراعية لمصلحة الإسلام ودعوته، المعتبرة ذلك كله هو المصلحة العليا التي بالحفاظ عليها تحفظ مصالح الناس في المعاش والمعاد، وهذا هو مقصود الشرع من الشريعة.

الهوامش

١- (انظر سورة الأعراف آية ١٤٢ إلى ١٥٣)
٢ - صحيح البخاري - كتاب الجمعة أبواب صلاة الخوف - باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، حديث:٩١٨.
٣ - الغزالي المستصفى: ٢/٢٥٠.
٤ - مالك، الموطأ في كتاب الجامع برقم: ١٣٩٥.
٥ - رواه ابن عبد البر في كتابه: جامع بيان العلم وفضله، عن معاذ بن جبل.
٦ - جامع بيان العلم: ١/٢٧.
٧ - قولة للحسن البصري/ مفتاح دار السعادة لابن القيم: ٨٢.
٨ - ابن المرتضي: إيثار الحق على الخلق: ٨٩.
٩ - يوسف القرضاوي: في فقه الأولويات:٩.
١٠ - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٢٥.
١١ - الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة برقم: ٢٤٣٣، وقال حديث صحيح.
١٢ - أبوداود في الجهاد برقم:٢٣٧١. وابن ماجة في الديات برقم: ٢٦٧٣. وأحمد في مسند المكثرين برقم: ٦٤٠٥.
١٣ - البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي برقم: ١، وأبوداود في الطلاق برقم: ١٨٨٢، وابن ماجة في الزهد برقم: ٤٢١٧.
١٤ - ابن ماجة في سننه في المقدمة برقم: ٢٥٦.
١٥ - البخاري في البيوع باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع. ومسلم في الأقضية برقم: ٣٢٤٣.

دعنا نستكشف من خلال هذا البعد التاريخي ومحاولة تعقب وسرد الأزمات الكبرى التي لازمت النظام الرأسمالي للاقتصاد منذ ما يزيد على قرنين من الزمان حتى الأزمة الكارثية الكبرى الحالية (سبتمبر- أكتوبر سنة ٢٠٠٨م) حيث تجلت آثارها وظهر دمارها.. نستكشف: هل هي أزمة نظام اقتصادي تشكل فيه الأزمة المالية العالمية الكارثية عرضًا لمرض عضال وخللًا فنيًا هيكليًا وفكريًا؟ أم هي أزمة طارئة وتسونامي مالي جديد كما يقول ألن جريس بان رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي الأميركي السابق؟ وللإجابة على هذا التساؤل ندع أمورا ثلاثة تدلي بوقائعها، التاريخ الاقتصادي، والتقارير الاقتصادية، وأقوال المتخصصين من العلماء والباحثين.

البعد التاريخي للأزمة المالية العالمية

د. عبدالحميد البعلي

بات العالم يعيش الأزمات المالية المتلاحقة والمتناقضات الاقتصادية الفادحة، أما الأزمات المالية أو «الانهيارات المالية» المفزعة فباتت متكررة ومدمرة ومستشرية، ففي النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي منذ ديسمبر سنة ١٩٩٤ حتى يناير سنة ١٩٩٩م فقط شهد العالم أربع أزمات أو انهيارات، بدءًا بالمكسيك سنة ١٩٩٥م، ثم جنوب شرق آسيا، ولنقرأ التصريح الشهير لرئيس وزراء ماليزيا في مقابلة مع مجلة «بيزنس ويك» حين سئل:

■ «هناك من يحاجج بأنه بعد فترة من المعاناة على المدى القصير، فإن بلادكم ستصبح أقدر على المنافسة؟ فأجاب:

- إنني لا أؤمن بهذه الفكرة، فبعد أن قتلتم كمًا هائلا من الشعب، وأطحتم بعدد كبير من الشركات، وتسببتم في انهيار البنوك، وقلصتم الثقة في النظام بأكمله تقول لي: إننا أقوياء مرة أخرى: لا، إن الأمور لا تسير على هذا النحو، لقد احتجنا الى ٤٠ عاما من العمل الشاق حتى بلغنا ما كنا عليه قبل الأزمة، أما اليوم فقد أعدنا إلى الوراء بما يزيد على ٢٥ سنة».

ثم أزمة روسيا عام ١٩٩٨، والبرازيل عام ١٩٩٩.

ولا ننسى الأزمة الطاحنة في الثلاثينيات من هذا القرن والتي استمرت عشر سنوات، ونشأ في أحضانها النظام الرأسمالي الكيتري الحديث، ولا الأزمات السابقة في أعوام ١٨٧٢، ١٨٨٤، ١٨٩٣، ١٩٠٤، ١٩٠٧، وكساد الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤، وكساد فترة ما بعد الحرب عام ١٩٢١، والكساد العظيم في ١٩٢٩- ١٩٣٢ وقيل ١٩٣٩م.. هذا ما يقوله التاريخ.

ماذا تقول التقارير

١- تشير التقارير الى أن مقابل كل دولار يستثمر في الاقتصاد الحقيقي المنتج، فإنه يجري استثمار ما يتراوح بين (٢٠-٥٠) دولارًا في الأسواق العالمية غير الحقيقية القائمة على المضاربات والمجازفة والتي تسهم في توليد المزيد من الأموال لا في إنتاج السلع والخدمات التي تعتبر وثيقة الاتصال والارتباط بالاقتصاد الإنتاجي. ومع ذلك فلا أحد يعلم على وجه التأكيد والدقة مقادير وحجم الأموال التي يجري استغلالها في عمليات المضاربة.

وقد ذكر جويل كيرتزمان kurtizman محرر مجلة «هارفارد بزنس ريفيو» HARVARDBUSINESS REVIEW في كتابه «موت الأموال» THE DEATH OF MONEY تقدير البعض أن ما معدله ٣٪ فقط من المعاملات المالية اليومية والتي تزيد عن ١٢٠٠ مليار دولار في اليوم تستثمر في تجارة السلع والخدمات في الاقتصاد المنتج، بينما يتم تسخير حوالي ٩٧ في المائة من حجم تلك المبادلات المالية اليومية في أعمال المضاربة وتدار من خلال الوسائل الالكترونية وبرامج الحاسوب لهدف واحد فقط هو الحصول على المزيد من الأموال من الاقتصاد الانتاجي وامتصاص طاقات الشعوب وقدراتها.

٢- أكد تقرير منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (أنكتاد) لعام ١٩٩٩ أن النظام الاقتصادي العالمي ما يزال يتسم باختلالات وعدم توازن يضر بمصالح الدول الفقيرة مما يؤكد أن هذا القرن سيختم بأزمة تنمية حقيقية، حيث إن معدل النمو العالمي المتوقع العام الحالي ٢٪ فقط وهي نتيجة مخيبة للآمال وتخفي حقيقة أن الفجوة بين الدول النامية والمتقدمة مازالت تتسع في أكثر من مجال، وأن السبيل الوحيد لتفادي ركود اقتصادي عالمي يكمن في تحمل الدول الصناعية لمسؤولياتها في تنشيط النمو الاقتصادي العالمي، وتناول التقرير آثار العولمة على التنمية التي منها أن الأزمات المالية المتعاقبة في الأسواق الناشئة أصبحت تشكل ظاهرة ثابتة ومزمنة في النظام المالي العالمي.

أستاذ الفقه المقارن - الكويت

٣- جاء في تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة أن أغنى ٢٠٪ يمتلكون ٨٢,٧٪ من دخل العالم، و٢٠٪ يمتلكون ١١,٧٪ من دخل العالم، و١٠٪ يمتلكون ٢,٣٪ من دخل العالم، و١٠٪ يمتلكون ١,٩٪ من دخل العالم، و٢٠٪ يمتلكون ١,٤٪ من دخل العالم.

الرأسمالية «المعلوماتية» وطبقة الواحد بالمائة (١٪)

يُعَدُّ ذلك نتيجة طبيعية وحتمية لما أنجبته الرأسمالية الأنجلو أميركية والرأسمالية «المعلوماتية» من تفاوت بشع في توزيع الثروات حتى بين أبناء الشعب الواحد.

فطبقا لتقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة (مطبعة جامعة أكسفورد U.K) فإن:

طبقة الواحد بالمائة من الأميركيين تمتلك النسب المئوية التالية من إجمالي الموجودات في الولايات المتحدة في عام ١٩٩٢:

- الأسهم ٤٩,٦٪ من إجمالي الأسهم الأميركية.
- السندات ٦٢,٤٪ من إجمالي السندات الأميركية.
- الائتمان ٥٢,٩٪ من إجمالي عمليات الائتمان.
- حقوق في النشاطات التجارية ٦١,٦٪ من إجمالي حقوق النشاطات التجارية الأميركية.
- العقارات غير المخصصة للسكن ٤٥,٩٪ من إجمالي العقارات، ففي عام ١٩٩٢ كانت طبقة الواحد بالمائة الأميركية تمتلك ٤٥,٦٪ من إجمالي الثروة المالية فيما يمتلك أفقر ٨٠٪ من الشعب ٧,٨٪ من الثروة المالية، وعلى الصعيد العالمي فإن (٣٥٨) ملياردير يمتلكون ثروة مجمعة تعادل الثروة التي يمتلكها أفقر (٢,٥) مليار شخص في العالم مجتمعين (١).

هل الأزمة المالية العالمية طارئة أم أنها عرض لمرض عضال؟

لقد أفرزت الرأسمالية المعلوماتية الحديثة طبقة الـ ١٪ في الكثير من الدول، وأصبحت مصالحها متطابقة ومتشابكة وطغت على المصالح الوطنية.. هنا أتساءل: أين الآن ما زعمه أبوالاقتصاد آدم سميث في أوائل القرن الـ ١٨ من فكرة «اليد الخفية» التي تستطيع أن توفق بين المصلحة الخاصة والعامة وبين المصلحة الشخصية والمجتمعية في توازن دقيق؟!

ولهذا قال كيتز مؤسس المدرسة الاقتصادية الحديثة في الأربعينيات من القرن العشرين: «يجب أن نتظاهر أمام أنفسنا وأمام الجميع أن العدل خطأ وأن الخطأ عدل» فالعدالة «عرضية» في الرأسمالية الأنجلوأميركية.

٤- أطلق البرنامج الانمائي بالأمم المتحدة تقرير التنمية البشرية السنوي العاشر وجاء فيه:

- «متوسط الدخل في أغنى خمس دول في العالم يبلغ (٧٤) ضعف متوسط الدخل في أفقر خمس دول في العالم.

- ويذكر التقرير أن ثروات أكبر ثلاثة أغنياء في العالم تفوق قيمتها إجمالي الناتج المحلي لمجموعة الدول الأقل تقدما والتي يناهز عدد سكانها (٦٠٠) مليون نسمة.

- ويشير التقرير الى أن الرعاية الاجتماعية التي تعد المحور الخفي للتنمية البشرية تواجه تهديدا في ظل اقتصاد السوق المنافسة، ويشير في هذا الصدد إلى افتقار حياة البشر بشكل متزايد إلى الأمان، وتزايد معدلات التفكك الأسري والجريمة في حين يبلغ إجمالي الأرباح العالمية ١,٥ تريليون دولار في العام (٢).

وعلى هذا النحو بات التفاوت الصارخ بين الأغنياء والفقراء خصيصة من خصائص النظام الاقتصادي، وأصبح الفقر وتوابعه من انعدام الرعاية الاجتماعية ومشتقاتها هو الغالب، مما يتعين معه على العلماء أصحاب الفكر أن يهبوا للغوث وكشف الغمة (انظر إلى الاهتمامات الآن في وسائل الإعلام المختلفة)، فمما لا يعقل في عصر الفضاء أن يوجد أكثر من ١٠٠ مليون شخص تحت خط الفقر في أغنى دول العالم إضافة إلى ٣٧ مليونا عاطلين عن العمل و١٠٠ مليون بلا مأوى، ويؤكد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن تلك الأعداد مرتفعة بدرجة مذهلة وسط الوفرة (٣).

أقوال المتخصصين من العلماء والباحثين:

١- يقول عالم الاقتصاد السويدي ميردال الحائز على جائزة نوبل: إن آليات السوق الحرة تجعل التقدم يؤدي إلى

المزيد من التقدم، كما تجعل التخلف يؤدي إلى المزيد من التخلف.

مما يؤدي إلى القول بضرورة الدور المتوازن للدولة في قيادة العملية الاقتصادية إنتاجا وتوزيعا واستهلاكا، والملكية بأشكالها المختلفة والتوليفة المناسبة منها والاستثمار والأسواق ووسائل الرقابة الفعالة عليها.

٢- دعا آلان بلانيدروا (٤) إلى إصلاح النظام المالي العالمي الحالي لحماية المواطنين الأبرياء في شتى أنحاء العالم من مخاطر الأزمات المالية التي تخلقها الممارسات الحالية.

وأكد أن الوضع قد تغير الآن ولم يعد الاهتمام بالأزمات المالية مقصورا على نخبة اقتصادية حيث توالت الانهيارات المالية المفزعة.

وقال بلانيدروا في دراسة نشرتها مجلة «فورين أفيرز»: «إن الانهيارات المالية قد باتت متكررة ومدمرة ومستشرية حتى لم يعد بمقدور أحد أن يتجاهلها أو يغض الطرف عنها. وأكد بلانيدروا أن النظام المالي العالمي الراهن قد فشل فشلا ذريعا في حماية البشر البسطاء الفقراء من مخاطره الضارية.

٣- على مستوى الدول يدعو خبير دولي آخر إلى تأسيس نظام مالي جديد في العالم (٥) حيث أكد مدير مجموعة الـ٢٤ في واشنطن د. وليام لارالدي على ضرورة صياغة نظام مالي عالمي جديد يحافظ على مصالح الدول النامية ويقلل من هيمنة الدول الصناعية الكبرى ويحول دون حدوث أزمات أو هزات تزعزع الاستقرار المالي والنقدي في العالم. وما ترتب عليها من ضرورة وضع هيكل جديد للنظام المالي العالمي الذي يعاني مما وصفه بسوء أداء المؤسسات والهياكل المالية القائمة ضمن هذا النظام.

والآن أختتم الجواب على هذا السؤال بتداعي النظم الاقتصادية وسقوط النظام الاشتراكي «النظرية الماركسية/ الشيوعية» في بداية التسعينيات للأسباب الآتية:

١- عزل الطموح الإنساني عن آلية الانتاج «تمثل ذلك في شكل الملكية العامة الوحيد».

٢- حرمان الإنسان من الحوافز في توزيع الثروة لمن يحتاج إليها بغض النظر عن الإنتاج.

٣- تحت شعار «لكلٍّ ما يحتاجه والكل يعمل» عزلت عن الإنسان القدرة في الإبداع، فتساوى في ذلك من يعمل ومن لا يعمل.

ومع تراجع العمل في طموحات العامل وعدم تحقيق إيراد محفز للإنتاج مقابل العمل الفعلي وبسقوط خصوصية العامل في الإبداع والإنتاج سقطت النظرية.

■ وفي المقابل قام نظام «نظرية اقتصاد السوق وميكانيكية الحوافز» حيث:

١- يعطي الحوافز دون حدود تاركا العنان للجشع والسعي وراء الثروة والمال دون قيود، وكان للحوافز دور بارز في الأزمة الحالية.

٢- سيطرة الشركات متعددة الجنسيات والقارات على القرار السياسي وتحولها إلى احتكارات جشعة هدفها المال والثروة.

٣- حماية الحوافز تحت غطاء حماية الحرية.

ومع سقوط الاشتراكية برزت الأزمات الاقتصادية الرأسمالية والتي نجد أهم جذورها في عام ١٩٧١م عندما قامت أميركا بفك الارتباط بين الدولار والذهب، وكان ذلك بمنزلة إعلان مرحلة جديدة للنظام الرأسمالي «الليبرالية الاقتصادية» وتراجع دور الدولة في الحياة الاقتصادية وتحرير أسعار الفائدة وأسعار الصرف.

إذن نستطيع القول، بالنسبة للرأسمالية، إنه مطلوب إنقاذ الرأسمالية مما يأتي:

١- عدم الاستقرار: فالدولار هو العملة المعتمدة في ثلثي احتياطي الحكومات بالعملات الأجنبية البالغ مجموعه ٦,٧ تريليون دولار.

٢- عدم المساواة «اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء»، ٥٥ مليون شخص يعيشون في فقر مدقع سنة ٢٠٠٩م، ٤٠ مليونًا منهم في أميركا.

٣- البطالة التي تخطت في أميركا ١٠٪ للمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية، وقد تبقى عند حدود ٨,١٧٪ حتى عام ٢٠١٤م مما يعني أن عملية النهوض ستكون أبطأ.

وفي تحقيق صحافي في «نيوزويك انترناشيونال» قال وزير الخزانة الأميركي غايتنر في جوابه على سؤال: ما أكبر مفاجأة غير سارة؟

قال: نسبة البطالة العالية بما يجري في الاقتصاد عموما، كل التوقعات أغفلت ذلك ولهذا تأثير كبير، لأنه العدسة التي ينظر الناس من خلالها إلى سلامة الاقتصاد ككل.

الهوامش

١- كما اقتبسته مجلة الأمة ١٩٩٤/١٢/١٩، Richard Baraet، كتاب «مؤسسات بلا دولة» للمؤلف.

٢- تقرير مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية- الاقتصاد في أسبوع- العدد ١٤٣ - ٩٩/٧/٢٠ ص٣ وما بعدها.

٣- انظر تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ الصادر عن البرنامج الإنمائي بالأمم المتحدة المنشور في مجلة اقتصاديات الإمارات- العدد ٤١ لسنة ٤- ديسمبر ١٩٩٨ ص٣٨ وما بعدها.

٤- استاذ الاقتصاد بجامعة برينستون ونائب رئيس مجلس محافظي بنك الاحتياط الفيدرالي في الفترة من ١٩٩٤م إلى ١٩٩٦م، في دراسة نشرتها مجلة «فورين أفيرز» أن الانهيارات المالية قد باتت متكررة ومدمرة ومستشرية حتى لم يعد بمقدور أحد أن يتجاهلها أو يغض الطرف عنها وأكد بلانيدروا أن النظام المالي العالمي الراهن قد فشل فشلا ذريعا في حماية البشر البسطاء الفقراء من مخاطره الضارية.

٥- الاقتصاد في أسبوع العدد رقم ١٥٨ من ٢٧ أكتوبر- ٢ نوفمبر ١٩٩٩م.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

ويكي صحافة

تعيش الساحة الصحافية في العالم المعاصر حالة من التخبط واللامسؤولية تجاه قداسة مهنة الصحافة. ولعل الواقع المهني يعكس هذه الصورة القاتمة التي تفرض ضرورة البحث عن وسائل لتنمية المسؤولية الاجتماعية لدى الصحفيين، والتزامهم بأخلاقيات المهنة ومواثيق الشرف المهني.

ولكن ما أحدثه مؤسس موقع ويكيليكس الصحفي الأسترالي جوليان أسانج يعطي مؤشرا واضحا على وجود بعض الصحفيين الذين يعملون وفق ضميرهم الحي وليس وفق أهوائهم الغريزية، ويحترمون أصول المهنة، ويقدرون حجم القضية التي يعملون من أجلها، وبرغم تطور الصحافة الحديثة، واتساع نطاق أثرها، وسرعة تدفق الأنباء في العالم المعاصر، فإنه مازال هناك أصحاب رسالة في بلاط السلطة الرابعة.

ويعد موقع ويكيليكس الذي غير أصول المعادلة الصحافية اليوم أحد الأدوات الإعلامية للخدمة العامة، وبات مخصصا لحماية الأشخاص الذين يكشفون الفضائح والأسرار التي تنال من المؤسسات أو الحكومات الفاسدة، وتكشف كل الانتهاكات التي تمس حقوق الإنسان أينما وكيفما كانت.

ويعتمد الموقع – كما يقول أسانج – في مصادره على أشخاص يوفرون له المعلومات اللازمة من خلال الوثائق التي يكشفونها، ويتبع إجراءات معينة من أجل حماية مصادر المعلومات من وسائل متطورة في التشفير تمنع أي طرف من الحصول على معلومات تكشف المصدر الذي وفر تلك التسريبات.

هذا الحدث العالمي في مجتمع الصحافة يكشف حقيقة نوايا أرباب الصحف العالمية، فأغلبها أصبح يعمل وفق أهداف خفية ومصالح مستترة، في الوقت الذي تكون فيه الأخلاق المهنية في آخر سلم الأولويات، الأمر الذي يفرض سؤالا مهما.. هل هؤلاء الصحفيون يتقمصون المهنية لتحقيق مآربهم الخاصة؟

إن هذه السلوكات شائنة ولا تخلو من الخداع والتضليل والاستخفاف بعقول القراء، لذا ينبغي الوعي بأهمية السعي الحثيث وراء الحقيقة عن طريق التحري الدقيق والتسلح بشجاعة اقتحام مصادر الخبر علانية سواء كانت أشخاصا أو أماكن.

إن حق الجمهور على وسائل الإعلام أن يعرف حقيقة الأحداث التي لها أهمية عامة، خاصة أن هدف النشر الصحفي في الأول والأخير هو تنوير الرأي العام بما وراء الأحداث. فما فعله أسانج يثبت أن الصحفي لابد أن يبحث دائما عما يخدم مصالح الجمهور، وهو ما نجح فيه بالفعل برغم المعوقات، لاسيما أنه بذل مجهودا خارقا لضمان وصول الحقائق والأحداث إلى الجمهور علنا من خلال نشرها في فضاء واسع بلا قيود أو حدود.

إن المسؤولية المهنية والأخلاقية للصحفي تقتضي ألا تكون أخباره متأثرة بالمصالح الشخصية أو السياسية وغير متحيزة إلى أي مصلحة اقتصادية أو تجارية، كذلك لابد من تفادي تضارب المصالح والانحياز لقضية على حساب أخرى.

ويمكن أن نقتبس جزءًا من مقولة للفيزيائي الأميركي «ريتشارد فاينمان» الذي كتب مُتحدثا عن الاكتشافات المبهرة بالكون في الوقت الذي نرى ما يحدثه وسيحدثه ويكيليكس في خريطة العالم الإعلامية والسياسية: «إننا نحُس دومًا بنفس الرجفة، وبنفس الدهشة، ونقف مبهورين أمام أسرار وألغاز جديدة كلما تطرقنا إلى مسألة ما بتعمق، ومع تكاثر المعلومات تأتي تساؤلات أعمق، تطرح مسائل أكثر غرابة، وإننا لا نفكر أبدا أن الأجوبة قد تأتي مخيبة لظننا، بل نمضي بثقة ونبحث تحت الأحجار وخلف الأشجار عن غرائب أخرى لم يتصورها أحد من قبل، تؤدي دومًا إلى تساؤلات جديدة مثيرة وإلى أسرار مذهلة.. إنها مغامرة كبرى».

درس بعض الباحثين تاريخ حضارتنا، وقسّموه إلى عصور عدة، هي: عصر نشأة، وعصر ترجمة، وعصر إبداع فكري، ثم عصر جمود وانحطاط، ثم عصر نهضة، وهم اعتبروا العصرين المملوكي والعثماني من عصور الانحطاط، كما اعتبروا أن عصر النهضة يبدأ باحتلال نابليون لمصر عام ١٧٩٨، وتجسدت تلك النهضة في إصلاحات محمد علي باشا الذي حكم مصر بين عامي ١٨٠٥ و١٨٤٨ وأولاده من بعده، فهل هذا التحقيب والتصنيف صحيح وسليم؟ وما المقصود بالانحطاط والنهضة؟ وما تقييمنا لهذين المصطلحين؟

قراءة في مقولتي «عصر الانحطاط وعصر النهضة»

د.غازي التوبة

أطلق بعض الدارسين على الفترة العثمانية عصر انحطاط، ومدّ بعضهم عصر الانحطاط ليشمل الفترة المملوكية وجانباً من العصور العباسية المتأخرة، فما أبرز مظاهر الانحطاط في رأيهم؟ إن أبرز مظاهر الانحطاط في رأيهم: جمود العقول، وقلة الإبداع العلمي، والتكرار والاجترار في الإنتاج العلمي...إلخ، ومن أبرز الذين شرحوا هذه الحالة ونظروا لها، اثنان هما: مالك بن نبي ومحمد عابد الجابري، الأول، في كتبه عن مشكلات الحضارة، والثاني، في كتبه عن العقل العربي.

لقد اعتبر مالك بن نبي أن عوامل التعارض الداخلية في المجتمع الإسلامي بلغت قمتها في نهاية دولة الموحدين، ولم يعد الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة، بل أضحت عناصر خامدة ليس بينها صلة مبدعة، لقد طرح مالك بن نبي آراءه عن مشكلات الحضارة في الخمسينيات من القرن المنصرم، ثم جاء محمد عابد الجابر في الثمانينيات ليطرح دراسته عن العقل العربي في كتابين: الأول عن تكوين العقل العربي، والثاني عن بنية العقل العربي، فماذا جاء فيهما مما له علاقة بموضوع مقالنا وهو انحطاط الأمة وجمودها العقلي والعلمي؟

لقد اعتبر الجابري أن أهم عامل ساهم في تكوين العقل العربي هو عصر التدوين، لأنه الإطار المرجعي الذي يشد إليه جميع فروع الثقافة وينظم مختلف تموجاتها اللاحقة إلى يومنا هذا، فصورة العصر الجاهلي وصورة صدر الإسلام والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبثقة من عصر التدوين الذي ابتدأ في العام ١٤٣ للهجرة، ثم درس الجابري الأنظمة المعرفية التي شكلت بنية العقل العربي، وأشار إلى أزمته التي نتجت عن تصادم وتداخل الأنظمة المعرفية الثلاثة وهي: البيان والعرفان والبرهان، واعتبر أن شخصية أبي حامد الغزالي تجسد هذا التصادم والتداخل، وتجلى ذلك في أزمته الروحية التي أفقدته توازنه مرتين، والتي تحدث عنها في كتابه «المنقذ من الضلال».

نهضة اليابان.. محاولة حثيثة للحاق بالغرب

ثم أشار الجابري إلى لحظتين متمايزتين في العقل العربي: الأولى، تمتد من بدايات عصر التدوين إلى لحظة الغزالي وقد كان العقل العربي فيها فاعلاً منتجًا، والثانية، ما بعد لحظة الغزالي حيث ابتدأ ما أسماه بالتداخل التلفيقي بين النظم المعرفية الثلاثة وأصبح العقل العربي فيها جامدا.

لكن د.جورج صليبا توصل في كتاب جديد تحت عنوان «الفكر العلمي العربي: نشأته وتطوره» إلى

نجحت نهضة اليابان بعد الحرب العالمية الثانية لأنها حققت شروط النهضة

نتائج مخالفة لما توصل إليه الكاتبان السابقان، لأنه اتبع منهجية جديدة في دراسة العلوم العربية، وتقوم هذه المنهجية على رصد التطورات العلمية للعلوم العربية وعلى عدم الانطلاق من نظريات مسبقة، وطبق ذلك على علم الفلك فتوصل إلى أن العصر الذهبي لعلم الفلك هو العصر الذي يطلقون عليه عصر الانحطاط بالنسبة للعلوم العربية بشكل عام، ويشير في هذا الصدد إلى نظريات ابتدعها نصير الدين الطوسي في كتابه «تحرير المجسطي» الذي ألفه عام ١٢٤٧م، «والتذكرة في الهيئة» الذي ألفه بعد الكتاب السابق بنحو ثلاث عشرة سنة.

وقد أفرد الطوسي فصلًا كاملًا للرد على علم الفلك اليوناني، ولإقامة هيئته البديلة، وفي أثناء هذا العرض يستخدم الطوسي مرة ثانية النظرية الجديدة التي كان قد اقترحها بشكل مبدئي في كتاب «تحرير المجسطي»، وإذا بهذه النظرية تظهر هي الأخرى بعد نحو ثلاثة قرون في أعمال كوبرنيك بالذات وبالشكل الذي ظهرت فيه في «تذكرة » الطوسي.

ولم يتوقف الأمر عند الطوسي وحده بل شمل الإبداع في علم الفلك عشرات من الآخرين في القرون التالية وكان من أبرزهم شمس الدين الخفري الذي كان معاصرا لكوبرنيك والذي كان يتحلى بمقدرة رياضية وبدراية في دور الرياضيات في صياغة العلوم، ندر أن يوجد مثلها في أعمال الذين أتوا قبل القرن السابع عشر الذي تم فيه فعلًا تكوين العلم الحديث.

وعند التدقيق نجد أن تقسيم تاريخ حضارتنا إلى فترات: عصر نشأة، وعصر ترجمة، وعصر إبداع فكري، ثم عصر جمود وانحطاط، ثم عصر نهضة، هو تقسيم استشراقي يستلهم دورة الحضارة الغربية، وينطلق من تأكيد مركزيتها، ويعمم حالة العصور الوسطى في الحضارة الغربية التي كانت عصور جمود وانحطاط على العصور الوسطى عندنا التي يجب أن تكون أيضا عصور جمود وانحطاط حسب زعمهم، ولكن النظرة الفاحصة المدققة المتبصرة تلغي مثل هذا الحكم وتبين أن علم الفلك- على الأقل- لا ينطبق عليه مثل هذا الحكم حسب الدراسة المتبحرة التي قام بها د .صليبا وحسب النتائج الأكيدة التي توصل إليها ودعا في نهايتها إلى تقصي واقع العلوم العربية الأخرى من أجل الوصول إلى نتائج مشابهة في عدم جمود العقل العربي.

أما فيما يتعلق بعصر النهضة فقد اعتبر بعض الدارسين أن نهضة بدأت في مصر في عهد محمد علي باشا (١٨٠٥ -١٨٤٨)، ودللوا على تلك النهضة بالتحديثات التي قام بها في المجالات العسكرية والتعليمية والاقتصادية، ولعب محمد علي باشا دورًا أساسيًا بارزًا في المنطقة سواء مع الخلافة العثمانية أم ضدها، لكن مصر انتهت إلى أن ارتهن اقتصادها للدول الغربية وشركاتها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، مما ترك المجال لأوسع التدخلات في الشؤون المصرية، وأدى ذلك إلى استعمار مصر في العام ١٨٨٢م من قبل الإنجليز إلى حين توقيع اتفاقية الجلاء في العام ١٩٥٤م، وهي تعاني الآن ضعفًا في الاقتصاد والسياسة والزراعة والصناعة... إلخ.

وهنا يأتي السؤال: لماذا لم تتحقق النهضة في مصر؟ لم تتحقق النهضة لأنها تتولد بعمليتين مترافقتين، هما: تكنولوجيا غربية، ورؤية فكرية، وبمقدار ما تكون الرؤية الفكرية معمقة في توصيف الحاضر وتشريح الماضي واستشراف المستقبل بمقدار ما تكون النهضة ناجحة وذات أثر مستمر.

وقد غابت النهضة عن تجربة محمد علي باشا بسبب غياب الرؤية الفكرية عنده، مع أنه نقل كثيرًا من التكنولوجيا الغربية، وقام بكثير من الإصلاحات الإدارية والزراعية والصناعية والاقتصادية... إلخ، فلم يكن له أي موقف فكري من الواقع، مع أنه كان مليئا بالإيجابيات والسلبيات التي تحتاج إلى المعالجة على مستويين: الأخذ بالإيجابيات ومعالجة السلبيات، وقد أدى انعدام الرؤية الفكرية عنده إلى انزلاق تجربته إلى التغريب عند حفيده الخديوي إسماعيل الذي اعتبر مصر قطعة من أوروبا، وأخذ بكل مظاهر التغريب، وأدى هذا التوجه إلى إضعاف مصر وخسارة الاستقلال السياسي عندما احتلها الإنجليز عام ١٨٨٢.

ونحن من أجل توضيح وتأكيد وجهة نظرنا لعملية توليد النهضة يمكن أن نأخذ مثالا على ذلك مما جرى في اليابان، وهو البلد الذي تطلع إلى النهضة كما تطلعت مصر لها وفي وقت متقارب، لكن اليابان استطاعت أن تحقق النهضة في حين أن مصر عجزت عن ذلك، والسبب في ذلك أن اليابان حققت الشرطين المطلوبين للنهضة في حين أن مصر حققت واحداً منهما، فلنر كيف سارت الأمور في اليابان.

انطلقت اليابان في منتصف القرن

التاسع عشر وحاولت اللحاق بالغرب، وقد جاءت هذه الانطلاقة بعد إنذار وجهته القوات الأميركية بقيادة بيري يوم ١٤ يوليو ١٨٥٣ إلى فتح الموانئ اليابانية أمام الملاحة الدولية، وتم لاحقا توقيع اتفاقيات مذلة ومجحفة بحق اليابانيين أجبرتهم فيها الولايات المتحدة الأميركية يوم ٣١ مارس ١٨٥٤ على فتح موانئهم لأساطيل الدول الغربية، وجاء رد الفعل الشعبي بإزالة الأسرة الحاكمة آنذاك وهي أسرة توكوغاوا لصالح صعود الحكم الإمبراطوري، ثم طرح الشعب الياباني شعار «المجد للإمبراطور وليطرد البرابرة» ثم اعتلى الحكم إمبراطور صغير السن تمسى باسم الإمبراطور مايجي أي «الإمبراطور المصلح» (١٨٦٨ -١٩١٢)، وطرحت القيادة اليابانية آنذاك شعارين يعبران عن المرحلة القادمة خير تعبير، الأول: «جيش قوي ليابان غنية» والثاني: «تقنية غربية وروح يابانية»، وقد جمع الإمبراطور مايجي في حاشيته نخبة متميزة من كبار قادة الرأي في اليابان، بلغت ٤٠٠ شخصية من ذوي الاتجاهات المتنوعة والمبادئ المتنورة، وقد بدأ حكمه بإعلان مبادئ الإصلاح الخمسة يوم ١٤ مارس ١٨٦٨، وتناولت التأكيد على أولوية المصلحة العامة، وعلى المساواة بين اليابانيين، وعلى ضرورة توحد السلطتين العسكرية والمدنية، وعلى البحث لاكتساب الثقافة والتعليم العصريين في أي مكان في العالم واستخدامهما في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

ثم أصبحت اليابان دولة صناعية متقدمة طوال القرن العشرين، ولعبت دورًا أساسيًا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومع أنها دمرت في الحرب العالمية الثانية بشكل كامل، فإنها استطاعت في نهاية القرن العشرين أن تصبح من أكثر الدول تقدما في الابتكارات التكنولوجية والأمور العلمية، وأن تصبح ذات اقتصاد قوي راسخ، وذات مجتمع حيوي فعال...إلخ.

غابت النهضة عن تجربة محمد علي باشا في مصر بسبب غياب الرؤية الفكرية عنده

رأينا- فيما سبق- أن بعض الدارسين أخطأوا في إطلاق عصر الانحطاط على فترات من تاريخنا، لأن العقل العربي لم يكن في موات كامل كما تصوروا، ولأن دراسة الدكتور صليبا أكدت ذلك وما أحب أن أنبه إليه وأستدركه أننا عندما نقول: إن الباحثين أخطأوا عندما أطلقوا عصر الانحطاط على الفترتين المملوكية والعثمانية لا نقصد أن هاتين الفترتين كانتا خاليتين من الضعف والأمراض والقصور والفجوات والهنات...إلخ.

محمد علي باشا.. دور بارز في المنطقة

بل هناك ضعف وقصور وأمراض .. تحتاج إلى معالجة، وهذا يقتضي منا أن نعالج تلك الأمراض والأخطاء من خلال المنظومة الثقافية للأمة.

وكذلك رأينا - فيما سبق- أن إطلاق اسم «عصر النهضة» على الفترة التي حكم فيها محمد علي باشا وأسرته من بعده مصر في القرن التاسع عشر تسمية غير صحيحة، وذلك لأنها لم تمتلك عناصر استحداث النهضة، فاستجلاب التكنولوجيا، وإقامة المصانع، وإجراء بعض الإصلاحات في المجالات الزراعية والاقتصادية... إلخ، لا تكفي لإقامة نهضة، بل لابد من عنصر آخر، هو عنصر الرؤية الفكرية للواقع.

وهذه الرؤية هي التي تشرح الواقع على ضوء المنظومة الثقافية للأمة، وتعيد النظر والترتيب والتصنيف والفرز في كل معطيات هذا الواقع من أجل الخلوص إلى إبقاء ما هو نافع وسليم وإبعاد ماهو غير نافع وسليم، على ضوء معايير مرتبطة بالمنظومة الثقافية للأمة، وهو ما لم يقم به محمد علي باشا وأسرته على مدى قرن مما أدى إلى انزلاق تجربته في هوة التغريب على يد إسماعيل باشا الذي اعتبر مصر قطعة من أوروبا، وأدى إلى ارتهان مصر لأوروبا في المرحلة الأولى، ثم إلى استعمارها عام ١٨٨٢ في المرحلة الثانية، في حين أن النهضة نجحت في بلد آخر هو اليابان بسبب أن قيادتها حققت الشرطين اللذين تحتاجهما النهضة وهما: التكنولوجيا الغربية، والرؤية الفكرية.

لغة وأدب

ماضٍ تليدٌ ولكن...!

في الوقت الذي تتطلع فيه أنظار ثلة من مثقفينا إلى احتذاء السير الغربي في دروب الحياة المتباينة، مصوبين إليه نظرات الإعجاب والرضا، غير عابئين بملاءمة ذلك لشريعتنا أو طبيعة حياتنا المختلفة المغايرة لما سواها أو لا، تحدثنا المصادر الموثوقة أن الثقافة العربية كانت قبلة لأرباب النهضة الأوروبية وأولي الفكر الغربي في العصور الوسطى، وكانت العربية لغة العالم العلمية والثقافية الأولى، وحرص على تعلمها ملوك الغرب أنفسهم، بل ألَّف بعضهم بها، واقتفى جل أعلامهم أثر الأفذاذ المسلمين الذين أرسوا مبادئ كثير من العلوم الإنسانية والكونية، وحسبنا دليلًا على ذلك، وما أكثر الأدلة، أن عثر على نسخة من كتاب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي «المنقذ من الضلال» في مكتبة رينيه ديكارت، وغني عن البيان مدى التشابه بين منهجيهما.

غير أنه لا جدوى من البكاء على الأطلال، وصمِّ الآذان عما ينشده العلم الحديث، والتقوقع حول الذات، ومجرد الفخر بالماضي التليد، وقد أحسن شوقي أمير الشعراء حين قال:

قد آن لنا أن نقول نحن
ولا نسمع أبناءنا يقولون كنا

فالنهضة النهضة بالعربية مرة أخرى، وتعريب العلوم والألسن، وإحياء العربية في القلوب حتى تحيا في الدروب، والفكاك من الولع بكل ما هو أجنبي، وإن انفصم عن طبائعنا وشريعتنا.. فعزة القوم من عزة لغتهم.. و«السلام».

التحرير

العواطف البشرية في أدب د. نجيب الكيلاني

محمد الشحات أبوعيد

تحية طيبة إلى كل روح طاهرة تركت بصمة ظاهرة في حياتنا البشرية المعاصرة، فقد يعيش المرء عمرًا مديدًا ولا يترك أثرًا، اللهم إلا ذكر الاسم فحسب، وهذا غالب حال الناس، وقليل من البشر من صنع تميزًا نادرًا في مجال عمله وحرفته فأفاد واستفاد وترك للأجيال رصيدًا طيبًا تحيا بكلماته ومواقفه الناس فترة من الزمن، وهكذا تتواصل البشرية عبر الماضي والحاضر والمستقبل، وخلود الروح أبقى من خلود الجسد، فالجسد يفنى بسرعة، أما الروح فتحلق في ملكوت الحق تسبح حيث يشاء، وحديثي معكم عن شخصية كتب عنها الكثير من أوجه متعددة، هذه الشخصية تعد من النوادر الذكية التي حملت في حياتها الإصرار والتحدي والعمل المستمر والرغبة في التميز ومحاولة الوصول للقمة، إنه الأديب الطبيب الدكتور نجيب الكيلاني الروائي الإسلامي الشهير ابن قرية شرشابة بمحافظة الغربية، لقد بدأ حياته بكفاح مرير حتى من الله عليه بالالتحاق بكلية الطب، وهذه أمنية عزيزة، ثم سرعان ما تبددت الأحلام وانطفأت الشموع فتم اعتقاله وإيداعه السجن، وفي ظلمة السجن أضاء شمعة في حياته وتفتحت قريحته الأدبية، فكتب كتابًا عن «إقبال» الشاعر الإسلامي وأصر على مواصلة النجاح، فشارك بأولى أعماله الروائية في مسابقة تابعة لوزارة التربية والتعليم، وفاز فيها بالمركز الأول وخرج لتسلم الجائزة بعزة واقتدار، ونجح

د. نجيب الكيلاني

الرجل في وسط الظلام وأضاء لنفسه شمس الأمل وصنع واقعًا فرض نفسه فيه على الآخرين، وبدأ التقعيد لفكرة الأدب الإسلامي فكتب كتابه الشهير في هذا المضمار، وتوالت النجاحات الواحدة تلو الأخرى وكأن كل نجاح ينادي على أخيه، وانطلق الرجل وتوالت الإصدارات الروائية لتقعد لفكرة الحرية في الأدب الإسلامي، ومقالي هذا هو تسليط للضوء على العواطف البشرية في أدب نجيب الكيلاني، فغالب كتاب الرواية وكذلك قراؤها يعمدون للبحث عن مخاطبة الغرائز الحسية غير المتعففة اعتقادًا منهم أن هذا هو الطريق الأمثل للترويج والنشر وركوب سفينة الشهرة أو أن هذا مطلب القراء، ولكن أديبنا الطبيب- رحمه الله- عف قلمه ولسانه وروايته وأعماله القصصية عن هذا المنحدر، وربى جيلًا من النقاد يحترمون أعماله وقطاعًا عريضًا من القراء يتهافتون على قراءة قصصه ورواياته، والسبب في ظني هو أن أديبنا لم يجمد ولم يبعد عن العواطف البشرية والغرائز الحسية بصورة كلية، ولم يفرط في الوصف والتحليل فيها وإنما وقف عندها بما يبرز الجانب الأصيل فيها والطبيعي الذي لا يتنافى مع أصول الذوق القويم والفطرة السوية، فكل إنسان عنده مشاعر وأحاسيس يجب أن يراها فيما يقرأ وفيما يسمع وفيما يرى، لكن الإنسان المتزن في عواطفه تأبى نفسه الانحراف عن أصول الذوق في وصف المشاعر والأحاسيس التي تجنح بالعاقل إلى هاوية الرذيلة، فكان أدب الكيلاني صوراً حية تبرز إشراقات النفس بصورة طيبة.

وتعال معي قارئي العزيز لنعيش محللين لهذا الجانب الأصيل في أدب الرجل لنلمس وجوده وحيويته وأثره ثم عفته واحترامه لمشاعر القارئ واحترامه لدينه وقيمه الأصيلة، فمن الروايات والأعمال التي تناول فيها أديبنا هذا الجانب رواية «ليالي تركستان» والتي ركز فيها على الحرية كمطلب حيوي وهام للكائن البشري، إذ لا قيمة لحياته بدونها، من أجل ذلك نلمس في الرواية وقوف أديبنا مع الشخصيات التحررية المجاهدة، ويظهر هذا جليًا في حوار الأمير مع أحد رجاله وهو مصطفى فيقول: يا مصطفى ما معنى أن تكون أميرًا؟ فرد عليه، أن تطاع وأن تكون حولك هذه الأبهة كلها، قهقه في مرارة ثم قال الأمير: هو الحر الذي يرضى عن نفسه، ثم استأنف قائلًا: وأين الحرية إذن؟ ثم كيف أرضى عن نفسي وأنا أرى العدو يعبث في الأرض فسادًا؟

كاتب صحافي

إذن يتضح من خلال هذا الحوار القيمة العليا في أدب الكيلاني، وهي بحث الشعوب عن حريتها ووجودها الحقيقي، وفي الفصل الرابع سلط الأديب الضوء على جانب من مشاعر الحب الممزوج بالقيم، فالبطل مصطفى حضرت أحد رجال الأمير قد أحب فتاة في القصر تُدعى «نجمة الليل»، وفي البداية كانت تتدلل عليه، ولما توالت الأحداث وأظهر مصطفى حضرت بطولة نادرة في الحفاظ على الأمير وابنته هو والشرفاء من العلماء المجاهدين كبر في عين محبوبته المتدللة عليه، ففي إحدى الحوارات قالت «نجمة الليل»: ها أنا قادمة إليك، فيرد ما الذي جاء بك يا نجمة الليل؟ فتقول أنت روحي وحياتي رأيتك تضرب بسيفك يمينًا ويسارًا وتجندل الأبطال فعظمت في عيني، هنا السمو في الرغبة والتطلع لقيم الروح قبل رغبات الجسد فهي تشتاق إليه لأنه بطل، فيتولى عنها وهو المشتاق إليها في الماضي، يا «نجمة الليل» ابحثي لك عن رجل آخر، فترد أنت الذي أبحث عنه يا مصطفى، ثم يتوالى الحديث ويقول: أفراح الروح معلقة بالسماء، بالجهاد الأعظم، فتقول له: هذا لا يمنع أن تضمني إليك، تستطيع أن تحارب وأنت تنجب الأطفال، فيرد يا «نجمة الليل» ليس الليلة موعدنا، متى إذن؟ شيء يعلمه الله، ويغوص مصطفى حضرت في أعماق المجهول بحثًا عن الحقيقة والحرية عبر الجهاد الأعظم مع رجال الجبل، وتستمر الأحداث وتراق الدماء وتهدم البيوت ويعلو صوت الباطل بعض الأوقات، ولكن عزائم الأبطال لا تلين، وفي خضم الدماء تتقابل نجمة الليل مع مصطفى حضرت ويتزوجان ويستمران في القتال، وفي أتون الحدث الرهيب والبرد الشديد العتيد تلد الزوجة الوفية الصابرة المجاهدة ابنا لمصطفى حضرت الذي انتظره منذ زمن كي يرى فيه الأمل القادم، وبطريقة السرد

تميز أدب الكيلاني باحترامه لمشاعر القارئ واحترامه لدينه وقيمه الأصيلة

تستطيع أن تعيش الحديث بكل مشاعرك النقية الطاهرة التي وضعها د.الكيلاني في روايته العظيمة، ومن «ليالي تركستان» إلى «عذراء جاكرتا» التي سلط فيها الضوء أيضًا على الحرية المنشودة للشعوب الأبية، فأظهر سلطة الباطل في رجال الأحزاب المستبدة التي لا تعرف إلا الظلم كمنهج لحياة الطغاة الذين يمارسون أبشع صور التعذيب والإيلام للأحرار العاشقين للحرية الموعودة، ومن باب حرص أديبنا على إعلاء شأن العنصر الإنساني ودوره كانت «فاطمة» عذراء جاكرتا الشخصية المحورية الأساسية، فهي فتاة جامعية واجهت الظلم بالعلم والحكمة والأدب والعفة والحفاظ على الشرف فلم تلن لها قناة، ولم تضعف حتى بعد أن أخذوا والدها ذلك الشيخ المُسن وأودعوه في غياهب السجن ظلمًا وعدوانًا، وهناك ذاق العذاب ألوانا، فلم تبع الفتاة شرفها ولم تتنازل قيد أنملة عنه، بل قاومت في كل المنتديات وكشفت كل المؤامرات، وكان يعاونها أبوالحسن الراغب في الزواج منها، لكن أمله في الزواج لن يتم إلا على أنغام السيوف وأتون المعركة المخلصة للأمة من شراذم الباطل.

وأبوالحسن يتابع الموقف في السجن.. يتابع حركة الثوار وحاجي محمد والد فاطمة في محبسه على وشك الخروج، وتتوالى الأحداث لتعلن الثورة المقدسة عن نفسها ويهدم السجن ويخرج أبوالحسن ويتحرك المجاهدون ويعدم الزعيم- زعيم الحزب السلطوي المستبد- ويعود أبوالحسن مع صهره حاجي محمد ليحقق أمنية ملأت قلبه حبًا وأحاسيس طيبة طالما تمناها وهي الزواج من فاطمة، فيعلق الأديب د. الكيلاني قائلًا: فمع النصر الكبير كانت الفرحة تعمر القلوب، وعيون كثيرة تذرف الدموع، وعاد أبوالحسن وحاجي محمد إدريس لكن فاطمة لا تعود إلا في صندوق خشب، وملابسها البيضاء الطاهرة مخضبة بالدماء الزكية، لقد انطلقت في الظلام رصاصة آثمة أودت بحياتها، وسقطت «عذراء جاكرتا» شهيدة وفي يدها وردة حمراء ذات أشواك، فالحصول على الحرية لا يكون إلا عبر اللون الأحمر والتضحيات الغالية، هذا هو طريق الشرفاء الأعزاء، وانظر لروعة السرد لمشهد النهاية، ففيه رسالة تقول: هناك في دار الخلود الزواج الأبدي للمحبين حبًا طاهرًا، ولن يكون ذلك إلا برسم الطريق الواضحة عبر أشلاء ودماء طاهرة.

لقد حرص الدكتور على إبراز الجانب القيمي في أدبه من الحرية وسمو الهدف وطهارة الوسيلة بأسلوب أدبي تلمس فيه العفة والبعد عن الابتذال وإعلاء شأن قيم السماء وقيم الإسلام.

كذلك حرص الرجل- رحمه الله- على التقعيد لفكرة أسلمة الأدب وإثبات أن الإسلام لم يكن يومًا ما وسيلة كبت للمشاعر الفياضة، فلقد سمح لها د.الكيلاني في الانطلاق لكن وفق أطر من الاحترام والعفة وعدم الابتذال، حتى اللغة كانت لغة عفيفة سامية تعلمنا أن نرتقي بأذواقنا ومشاعرنا وكلامنا عن الحضيض، فالإسلام جاء ليفجر المشاعر حتى تكون شعلة في السعي نحو الحرية والحب والخير والجمال، هكذا كان أدب الكيلاني، فرحمة الله على أديب عاش عفيف اللسان كريم الآصال، فلله دره، رحمه الله رحمة واسعة يلقاها عند رب لا يضيع عنده الأجر.

في كتاب «سر الفصاحة» لابن سنان الخفاجي

نظرات في بلاغة القرآن وبلاغة العرب (٢/٢)

د. محمد بن محمد الحجوي
أكاديمي مغربي

يعيد ابن سنان الخفاجي في هذا المبحث بعض ما ذكره في الألفاظ المفردة، لأن المبحثين مرتبطان من حيث الدلالة على مواطن الفصاحة والبيان، إلا أنه يوسع البحث في علاقة اللفظة بالدلالة، والقرينة الدالة على السياق، ومناسبة اللفظة لما يجاورها، وبحث الخفاجي في هذه الأوجه، أي في العلاقة بين التركيب والدلالة، ينطلق من كون اللغة تحتوي على ثروة هائلة من المفردات تشترك في المعاني، وكل معنى يحدده السياق والقرينة الدالة عليه، وهذه الخصائص هي التي جعلت الشعراء والأدباء يعبرون عن المعاني بطرق وأشكال متعددة الأوجه حيث يمكنهم تغيير لفظة، أو صياغة، أو تركيب للبحث عن المعنى الجيد والبديع الذي يروق في موضعه، ويؤدي غرضه على وجه السلامة.

من هنا وجدنا الخفاجي ينقد رأي بعض العلماء الذين احتفلوا بالمعاني من دون الاهتمام بالتركيب والصياغة والديباجة والنسج والتحبير، وكأن المعاني- في رأيهم- هي دار البلاغة، وقاعدة الفصاحة، ومن العلماء الذين رد عليهم في هذه القضية قدامة بن جعفر الكاتب الذي أولى عناية للمعاني دون الألفاظ، قال الخفاجي: «ويجب أن يقال له، إذا ذهب إلى أن المعاني هي الموضوع: خبرنا عن الألفاظ التي أخذها هذا الصانع المؤلف فألفها إذا لم تكن عندك موضوعًا لصياغة فما منزلتها من الأقسام التي اعتبرها الحكماء في كل صناعة؟ والتأمل قاض بصحتها، ونحن نرى الألفاظ تأثيرها في هذه الصناعة التي كلامنا عليها تأثير بيِّن في الحسن والقبح، ولا يجوز أن تكون مع هذه العلقة الوكيدة غريبة عنها» (١).

هذه الفكرة هي التي دعا إليها الجاحظ من قبل حين كان يرد على الشعوبيين الذين هونوا من شأن البيان العربي، وبيان القرآن خاصة وإن لم يشيروا إليه صراحة خوفا من هيبة السلطان، وهذا ما جعل الجاحظ أيضا يورد في كتابه «البيان والتبيين» آيات بينات، وأحاديث شريفة، وأشعارا بليغة، وخطبا محكمة، بين من خلالها أن البيان لا يقتصر على المعنى، وإنما هو معنى شريف، ولفظ محكم، سهل في مخرجه، جيد في سبكه، حسن في ديباجته، بارع في تصويره، وهي مزايا لا تتحقق إلا للقلة، بينما المعاني مادة مشتركة بين جميع الناس، كل واحد يتناولها من الجانب الذي يرغب فيه.

يرى الخفاجي أن بعض كلام العرب قريب من المرتبة العليا للقرآن بيانا وفصاحة وتركيبا

كما نقد الخفاجي في هذا الموضوع رأي الرماني في تقسيمه تأليف الكلام إلى ثلاثة أضرب: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا.

ورأى الخفاجي أن تأليف الكلام ينبغي أن يحصر في ضربين فقط، متنافر ومتلائم (٢).

وما يلفت انتباه الباحث في نقد الخفاجي للرماني أن هذا الأخير جعل أسلوب القرآن في الضرب الثالث أي متلائم في الطبقة العليا، وكلام العرب لا يتعدى ضربي المتنافر، والمتلائم في الطبقة الوسطى، ولكون نقد الخفاجي للرماني ربما يحدث التباسا عند الذين لا يحققون في الرؤية النقدية والبلاغية عند هؤلاء الأعلام، فيتوهمون أن الخفاجي يجعل أسلوب القرآن مثل أسلوب العرب تأليفًا وتركيبًا، ولهذا نرى أن نثبت قول الخفاجي هنا لكي نبحث في حقيقته ومضامينه.

قال الخفاجي: «وأما قوله: إن القرآن من المتلائم في الطبقة العليا، وغيره في الطبقة الوسطى، وهو يعني بذلك جميع كلام العرب، فليس الأمر على ذلك ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية، ومتى رجع الإنسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه» (٣).

ينبغي النظر في هذا النص من سياقه العام، ومن رؤية الخفاجي الشمولية لبلاغة القرآن، وبلاغة العرب. ويمكن أن نحدد رؤيته في الآتي:

أولا: إن الخفاجي يرد في هذا النص رأي الرماني في بيان القرآن وبيان العرب، ولكي يميز الرماني بين النوعين جعل كلام العرب - الجيد منه فقط- متلائما في الطبقة الوسطى، وبذلك أخرجه من الدائرة التي وضع فيها بيان القرآن- وإن كان من صنف كلام العرب- وبهذا المفهوم لا يمكن وضع كلام في الطبقة العليا إلا القرآن الكريم، والخفاجي حينما رد على الرماني، وجعل بعض كلام العرب في الطبقة العليا فإنه يقصد بذلك اشتماله على الجيد البليغ مثل القرآن، وهذا الرأي لا ينفي المرتبة العليا للقرآن، وإنما القصد منه وجود بلاغة جيدة في كلام العرب مثل ما يوجد فيها المتوسط والرديء، أما القرآن فيبقى في المرتبة العالية، ومن هنا لا نرى في رده على الرماني ما يجعل مرتبة كلام العرب تساوي المرتبة العليا للقرآن، وإنما الذي نراه هو اعتباره بعض كلام العرب قريبًا من هذه المرتبة العليا بيانًا وفصاحة وتركيبا، وهذه الخصائص البيانية لا ينكرها أحد، وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى شعر العرب ويستحسنه، وهو القائل: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمًا»، كما كان الصحابة

انتقد الخفاجي بعض العلماء الذين احتفلوا بالمعاني من دون الاهتمام بالتركيب والصياغة والديباجة

رضوان الله عليهم يحفظون الأشعار، ويروونها، ويستشهدون بها لتفسير كلام الله، أو للتمثل بها في مواطن الجود والشجاعة ومكارم الأخلاق.

ثانيًا: إن الخفاجي يقول في هذا النص: «ولا فرق بين القرآن وبين فصيح الكلام المختار في هذه القضية»، قوله: في هذه القضية، تنصيص واضح على أن المقارنة في التراكيب والصياغة وسلامة المعاني حقيقة كانت أو مجازًا، إذ من كلام العرب المختار ما هو سليم في تركيبه ومعناه مثل القرآن الكريم، وإذا كانت قاعدة الجودة والإحسان والمرتبة العليا تنطبق على النص القرآني كله، فهذه الخاصية لا تنطبق على جميع شعر العرب ونثرهم، إذ نجد فيه الجيد والمتوسط والرديء، ولذلك وجدنا الخفاجي يورد في كتابه أشعارًا رديئة في صياغتها ومعانيها لفحول الشعراء ليبين أن شعرهم لم يخل من هنات، بينما القرآن ينفرد بالإحسان والجودة التي لاتوجد في كلام آخر.

ثالثًا: إن الخفاجي حينما يورد آيات القرآن للاستشهاد على صحة المعنى وسلامة التركيب في فن من فنون البلاغة يعتبر تلك الآيات قد بلغت الغاية المثلى في البيان والفصاحة، وإذا أراد الحديث عن التنافر والإحالة وغموض المعاني وفسادها فإنه يورد الشواهد من شعر العرب، وهذا المنهج كاف للدلالة على أنه لا يجعل كلام العرب يضاهي الآيات البينات في سمو معانيها، وصحة مبانيها مما جعلها تكتسب خاصية الإعجاز والتفوق، ولكي نبرهن على هذا الرأي نورد بعض ملحوظاته في وضع الألفاظ موضعها، حيث اعتبر ذلك شرطًا في الفصاحة والبيان، من ذلك حديثه عن القلب الذي يهجن المعنى، ويصرفه عن وجهه الصحيح، قال: «ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون الكلام مقلوباً فيفسد المعنى، ويصرفه عن وجهه» (٤).

وبعدما أورد عيوب القلب في الشعر خاصة، لأن العرب كانوا يعتبرون هذا الفن النموذج الأمثل في البيان، ذكر الآيات التي يعدها بعض البلاغيين من باب القلب، وهي ليست منه، لأن كلام الله منزه عن كل ما يمكن أن يصرف معناه عن وجهه الصحيح، ومن الآيات التي استشهد بها لتأكيد هذه الحقيقة في البيان القرآني قوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾ (القصص: ٧٦).

أظهر المعنى الذي يبين أن الآية ليست من باب القلب، فقال: «وإنما المراد- والله أعلم- أن المفاتح تنوء العصبة أي تميلها من ثقلها، وقد ذكر هذا الفراء وغيره» (٥).

وقوله تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ (العاديات: ٨)، معناه، «أنه لحب المال لبخيل، والشدة: البخل، أي من حبه للمال يبخل» (٦).

كذلك نجد هذه الملحوظات في دراسته للاستعارة فقد استشهد بأبيات من الشعر تفاوتت استعارتها بين الجودة والرداءة، وما أكثر ما وقع الشعراء في المعيب المرذول لعدم التزامهم الشروط المطلوبة في العلاقة بين المستعار منه والمستعار له، مما يجعل الألفاظ تبدو متنافرة، وغير مستقرة في موضعها، أما استعارات القرآن فقد بلغت مرتبة

عالية في سلامتها من كل عيب في اللفظ والمعنى، فألفاظها متلائمة على نحو ما تقتضيه الفصاحة والبيان من حيث العلاقة المتناسبة بين المستعار منه والمستعار له، كقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

اللفظ الذي يجعل المعنى يأتي على وجه الحقيقة هو «عمدنا» لكن ﴿قدمنا﴾ أبلغ لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم يقدم من سفر، لأنه من أجل إمهاله لهم عاملهم كما يفعل الغائب عنهم إذا قدم فرآهم على خلاف ما أمرهم به، وفي هذا تحذير من الاغترار بالإمهال (٧).

وقوله تعالى: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾ (الحاقة : ١١).

المعنى بلفظ الحقيقة هو «علا»، ولكن الاستعارة بلفظة «طغا» أبدع وأجود للدلالة على علو الماء بقوة وشدة، لاسيما في هذا الموضوع حيث الهول والفزع من طغيان الماء وتلاطم أمواجه، وترامية إلى جميع الأطراف، وكذلك تجد هذه الدقة في لفظة الاستعارة في قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ (التكوير: ١٨).

إن التنفس هنا بمعنى الانتشار، ولفظة الانتشار لا تبلغ مبلغ التنفس التي استعملها القرآن، لأن التنفس يحمل في دلالته معنى الترويح والطمأنينة والهدوء، إنه «أبلغ لما فيه من الترويح عن النفس» (٨)، هذه البلاغة الرفيعة لا تجدها في لفظة الحقيقة، ولذلك نرى في استعارة القرآن خصائص الحياة والتشخيص والتلوين والدفء الذي يجعل الصورة مفعمة بالإشراق والأنس والحياة، فالصبح هنا كائن حي تنفس ويشعر بالاطمئنان بعدما أخذ قسطا من الهواء النقي الذي يجدد به الحياة، ويجعله قادرًا على الاستمرار كباقي الكائنات الحية.

اعتبر الخفاجي أن السجع الوارد في القرآن سجع محمود لأنه جاء طوعًا سهلًا وتابعًا للمعاني

وإذا تحدث الخفاجي عن السجع، وهو من الفنون التي يصحبها التكلف غالبًا كما جاء في سجع الكهان، فإنه يميز سجع القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الأعراف الفصحاء التي جاءت سهلة مطبوعة، ودالة على البلاغة، لقد وجد الخفاجي في هذه الأساليب نماذج مثالية للسجع المطبوع الذي يحتذيه البلغاء، ويتمثل به الفصحاء، قال: «وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي ﷺ، والفصيح من كلام العرب» (٩).

والقرآن حينما نزل بلغة العرب فإنه اختار أجودها تركيبًا، وأبلغها معنى، وأسماها فنًا ونظمًا، ولذلك كان أسلوبه مراعيًا للعرف اللغوي السائد عند بلغائهم، فإذا كانوا قد أعجبوا بالسجع السهل في كلام بعض البلغاء، فإن هذه السمة وجدوها بلغت درجة عالية في أسجاع القرآن، وفي أساليب اخرى مما جعلهم يعجبون أيما إعجاب بأسلوبه المتنوع تركيبًا ودلالة وفنونا، ومن أسجاع القرآن التي تحققت فيها هذه البلاغة العالية قوله تعالى: ﴿في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود﴾ (الواقعة: ١٨-٢٠)، وقوله تعالى: ﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفًا﴾ (المرسلات: ١-٢).

لقد استوت الجمل، وعتدلت اعتدالًا منتظمًا مثلما تتوجه قافية الشعر لإيجاد موسيقى في نهاية الكلمات متلائمة مع المعنى والسياق.

وبعض الباحثين يسمي هذا اللون من التعبير «فواصل» لكون مصطلح السجع ارتبط بالتكلف عند الكهان في الجاهلية، فلذلك تجنبوا تسميته في التعبير القرآني سجعًا، وقالوا إن الفواصل تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها، أما السجع فتكون الألفاظ أظهر فيه، لكن الخفاجي يرد في هذا الرأي ويعتبر المحمود منه ما جاء طوعًا سهلًا، وتابعاً للمعاني فواصل كان أو أسجاعًا (١٠).

وفي حديث الخفاجي عن دلالة الألفاظ على المعاني، وهو باب تتفاوت فيه مراتب الفصحاء والبلغاء، حيث تتوزع التعابير بين ضروب الإطناب والمساواة والإيجاز والتذييل والإشارة واللمحة الدالة، فإنه حدد سمات البلاغة الرفيعة بمراعاة تلاؤم الكلام لفظا ومعنى في هذه الضروب من البيان فقال: «والذي عندي في هذا ما ذكرته، وهو أن المختار في الفصاحة، والدال على البلاغة هو أن يكون اللفظ القليل يدل على المعنى الكثير دلالة واضحة ظاهرة، لا أن تكون الألفاظ لفرط ايجازها قد ألبست المعنى وأغمضته حتى يحتاج في استنباطه إلى طرف من التأمل، ودقيق الفكر، فإن هذا عندي عيب في الكلام ونقص» (١١).

هذا الكلام الذي حدد فيه الخفاجي سمات الأسلوب الفصيح البليغ لفظا ومعنى هو النموذج المثالي الذي جاء في القرآن الكريم، ولننظر في الحد الذي وضعه لبلاغة الايجاز حيث قال: «هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ» (١٢).

هذا الحد اعتبر جامعا لتعريف

البلاغة، ولذلك قالوا: البلاغة هي الايجاز، ومن هنا وجدنا الخفاجي يقدم نموذجًا بتعبيرين، أحدهما من كتاب الله، والآخر من أقوال الأعراب الفصحاء، والتعبيران يلتقيان في معنى واحد ويختلفان في طريقة التركيب، وهذا الاختلاف هو الذي يحدد وجوه البلاغة في كل واحد منهما.

فالنموذج القرآني في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٩)، هذا المعنى عبر عنه الأعراب بقولهم: «القتل أنفى للقتل».

والملاحظ أن ما يجمع بين الآية الكريمة وقولة الأعراب هو «الإيجاز البليغ»، والدلالة على معنى واحد له تأثير على حياة الفرد والجماعة، وهو إيجاد الأمن والاستقرار في المجتمع من دون خوف من قوي جبار، أو ظالم متسلط أو حاكم مستبد، وهذا ما نستخلصه من قانون القصاص الذي أقره الإسلام، وجعله مبدأ أساسيًا في العلاقات الفردية والاجتماعية، قال الخفاجي: «وذلك أن المراد بها أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ كان داعيًا له قويا إلى ألا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل إلى هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم» (١٣).

وتجد هذا المعني في قولة الأعراب حيث قصدوا بها القصاص أيضًا، لكن الاختلاف بين التعبيرين يبدو في أوجه الفصاحة والبلاغة التي يصاغ بها الكلام، يدرك هذا كل من نظر في التعبيرين بتأمل، وكان قادرًا على التمييز بين الجيد والأجود، والحسن والأحسن، أما من لا يحقق في خصائص الأساليب بالكيفية التي أشار إليها العلماء فيبدو له أنه لا توجد فروق كبيرة بين التعبيرين مادام كل واحد منهما قد عبر عن المعنى المقصود وأدى الغرض المطلوب، لكن علماء البيان وذوي الاختصاص في علوم اللغة العربية يعرفون وجوه التفاوت بينهما، ولماذا اختصت الآية الكريمة بمزايا بلاغية لا توجد في قولة الأعراب، ويمكن بيان الفرق بين التعبيرين في الآتي:

أولا: في الآية الكريمة تنصيص واضح ومحدد على الوجه الذي يتم فيه القتل، وهو القصاص لكون المجتمع في حاجة إلى هذا القانون الذي ينظم به نفسه، ويوفر شروط السلم والأمن الدائمين لأفراده «وإنما القتل الذي ينفيه ما كان على وجه القصاص والعدل، ففي ذكر القصاص بيان للمعنى وكشف للغرض»(١٤).

أما قولة الأعراب «القتل أنفى للقتل» فإنها تعم القتل دون تحديد الهدف والغاية التي يشعر بها المجتمع، وتنعكس على حياة الفرد.

ثانيًا: إن الآية الكريمة تدعو للشيء المرغوب فيه، وهو الحياة الآمنة المطمئنة التي ينعم الناس فيها بوئام ومحبة وسلام، وهذه الزيادة في الإيضاح لا توجد في قولة الأعراب، لأن لفظة «أنفى» اختصت بالقتل الذي ينفي القتل عمومًا.

ثالثا: إن في قولة الأعراب خاصية مذمومة في البلاغة، يعرفها أصحاب البيان، وهي التكرار الذي لا يزيد في المعنى، ولا يوسع أفق التأويل والاستنباط والاستنتاج عند المتلقي، لأن لفظة القتل الثانية جاءت بمعنى الأولى «وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة للمخارج، فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع» (١٥).

والتكرار في البيان العربي قد يكون محمودًا إذا اختص بشروط نص عليها النقاد، وهي لا توجد في هذه القولة (١٦).

لهذه المزايا، وهي كثيرة في كتاب الله، كانت بلاغة القرآن متميزة عن بلاغة الأعراب، ولذلك اعتبر العلماء كلام الله أسمى كلام وأرقه وألطفه وأبدعه وأجدر أن تبحث فيه خصائص البيان (١٧).

ومما عني به الخفاجي في بلاغة القرآن الإيجاز بالحذف، وهو من الخصائص المتميزة في اللغة العربية، وقد جاءت فيها تراكيب كثيرة وقع فيها حذف مع استيفاء المعنى المطلوب بدون إخلال أو نقص أو غموض، كقوله تعالى: ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ (الرعد:٣١).

إن الحذف في الآية لم يُخِلّ بالمعنى فيبدو غامضا أو مبهمًا، والسامع لهذا البيان وخاصة المتمرسين بكلام الأعراب يدرك بلاغة الحذف والمحذوف، وهو «لكان هذا القرآن»، ولم يقل ذلك» (١٨).

وهذه خاصية فريدة في عبقرية تراكيب اللغة العربية تجعل الأدباء والمترسلين يتفنون في أنواع الأساليب لبيان قدرتهم، ومهارتهم في الكتابة الأدبية، وقوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (الزمر: ٧٣).

إن الحذف في الآية دال على شرف المعنى، وتأويله من طرف البلاغيين يظهر هذا الشرف، إذ أريد به، «لما كان هذا كله حاصلا حصلوا على النعيم الذي لا يشوبه كدر» (١٩).

إن الزيادة في مثل هذه التعابير تطويل معيب بخلاف المعنى الذي يراد

به الإطناب، حيث يحتاج للتفصيل والتفريع، إنه مذهب مستحسن ومحمود لكونه يخرج المعنى مستوفيًا، ولذلك جاءت بعض آيات القرآن الكريم في هذا الضرب من البلاغة دالة على الإحسان مثلما جاء الإيجاز بليغًا بأقل الألفاظ، وهذه هي البلاغة التي عبر عنها الأعراب بقولهم: «الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل»، لقد اعتبروا البليغ هو من كان قادرًا على الجمع بين الإيجاز والإطناب، مراعيًا في أساليب خطابه ذهنية ونفسية المتلقى، وذلك أن الذكي الفطن يخاطب بعبارات لا يخاطب بها البطيء الفهم، إذ الأول يكتفي بالإشارة واللمحة الدالة، بينما الثاني يحتاج إلى التكرير والتفصيل والتفريع والزيادة.

ومذهب الخفاجي في ترجيحه بلاغة القرآن على بلاغة العرب يظهر أيضًا في اعتماده أسلوب القرآن حجة في تصحيح قوانين البلاغة، فهذا قدامة بن جعفر من النقدة المهرة الذين كان لهم رأي نافذ في البيان، وقد شهد له بذلك المتقدمون والمتأخرون، ينقده الخفاجي، ويصحح ما وقع فيه من أخطاء في الفصاحة والبيان باعتماد أسلوب القرآن حجة في سلامة التراكيب وروعة البيان، لقد عد قدامة قول ابن هرمة:

تراه إذا ما أبصر الضيف مقبلًا

يكلمه من حبه وهو أعجم

من الكلام المتناقض، لكون الشاعر أقنى الكلب الكلام في قوله: يكلمه، ثم أعدمه إياه عند قوله: إنه أعجم (٢٠).

هذا التخريج من قدامة يرده الخفاجي، ويعتبره غلطا في تقدير المعاني، وحجته في ذلك من كتاب الله الذي جاء فصيحًا بليغًا بلسان عربي مبين، قال الخفاجي: «وهذا غلط من أبي الفرج طريف، لأن الأعجم ليس هو الذي قد عدم الكلام جملة كالأخرس، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة ولا يفصح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ (النحل: ١٠٣)، وإذا قيل: فلان يتكلم، وهو أعجم، لم يكن ذلك متناقضًا (٢١).

اعتماد الخفاجي على بيان القرآن في تصحيح المعاني يدل دلالة قوية على أن كتاب الله حجة في سلامة المعاني والتراكيب.

رأي الخفاجي في تفاوت الآيات في الفصاحة والبيان

إذا كانت آيات القرآن الكريم قد نزلت من لدن خبير حكيم لتكون حجة لرسالة نبينا ﷺ، يتحدى بها الجهابذة في عصر البيان حتى بلغ التحدي مبلغا عظيما جعل العرب عاجزين عن الإتيان بآية واحدة تشبه آيات كتاب الله، فإنه لا يمكن لأي باحث في البيان والأساليب الاعتقاد بتفاوت الآيات البينات في البلاغة والفصاحة، فيكون منها ما يبلغ المرتبة العليا، ومنها ما ينزل عن هذه المرتبة، والله سبحانه وتعالى وصف كتابه العزيز جملة وتفصيلًا بحكمة الإبلاغ والإبانة، ونفى عنه العوج والاضطراب في التراكيب والمعاني دون أن يميز بين سورة وآيات.

وإذا كان العلماء قد عنوا ببعض الآيات لاشتمالها على أحكام وشرائع وقوانين فإن هذه العناية ليست دالة على التفاوت بين آيات القرآن، وإنما القصد تخصيصها لبيان أحكامها وفضائلها ومزاياها، وما حملته للمسلمين من فضائل تدعو إلى تأملها وتدبرها، وما يوجد في كتاب الله من شرائع وقوانين لا يمكن حصره والإحاطة به، ولذلك تجد العلماء في كل عصر يكتشفون جوانب عديدة منها تعين الناس على إسعادهم في حياتهم الدنيا والآخرة.

وإذا كان التفاوت البلاغي منعدما بين آيات القرآن الكريم فإن ما يميزه جملة وتفصيلًا هو سمو معانيه، وضبط أحكامه، وقوة شرائعه وقوانينه، لا فرق بين السور الطوال والقصار، والعرب الذين نزل إليهم الكتاب العزيز، وخاصة الذين أمعنوا في الكفر، لو كان في مقدورهم أن يأتوا بسورة أو آية واحدة تشبهه لفعلوا، لكنهم- لعجزهم- لجأوا إلى المكر والخداع والمواجهة بأشكال متعددة، وقد أدركوا في نهاية الأمر أنهم أخطأوا بصدهم عن هذا النور، وأنهم عطلوا قواهم العقلية ووجدانهم وإحساسهم عن التفكير في أسراره وبدائعه، وكان من نتائج إقبالهم على تدبر آياته البينات بإيمان وصدق أن أصبحوا في فترة وجيزة سادة الناس في العلم والحكم والسياسة والإدارة بعدما كانوا مستضعفين ومتفرقين تفتك بهم الحروب، وتمزقهم الأحقاد والضغائن، وقد وصف الله سبحانه وتعالى حالهم قبل الإسلام، فقال عز من قائل: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران: ١٠٣).

ولكن الخفاجي في هذه القضية خاصة يذهب مذهبًا يخالف فيه إجماع العلماء، إذ يرى آيات القرآن غير متساوية في الفصاحة، وحجته في ذلك أنه وجد الناس منذ بدأوا يبحثون في بيان القرآن وإعجازه كانوا يدرسون آيات معينة، تتردد في مباحثهم لكونها اختصت بمزايا بيانية. قال: «أما زيادة بعض القرآن على بعض في الفصاحة فالأمر فيه ظاهر لا يخفى على من علق بطرف من هذه الصناعة، وشدا شيئًا يسيرًا، ومازال الناس يفردون مواضع

من القرآن يعجبون منها في البلاغة، وحسن التأليف، كقوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ (هود: ٤٤)، وقوله: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقوله: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة: ١٧٨)، فلو كانوا يذهبون إلى تساويه في الفصاحة لم يكن لإفرادهم هذه المواضع المعينة المخصوصة دون غيرها معنى» (٢١).

الظاهر من هذا النص أن الحجة التي اعتمدها الخفاجي لتدعيم رأيه هي إفراد آيات معينة بالدرس والتحليل عند الباحثين، مما يظهر إعجابهم بحسن تأليفها، وسر فصاحتها، والحق أن هذه الآيات التي أشار إليها مع آيات كثيرة ترددت في مؤلفات البلاغيين، والدارسين لاعجاز القرآن، لكن هذا الاختيار والإعجاب والانبهار لم يكن نابعًا من تفضيل الآيات من جانب الفصاحة، وإنما جاء نتيجة الحديث عن فنون بلاغية معينة أو أحكام وقوانين ينبغي ذكرها في موضعها، والقرآن الكريم لم ينزل ليكون قواعد للفنون وللأحكام والقوانين فقط، مما يجعل البلاغيين يذكرون جميع آياته البينات في علوم البلاغة شرحا وتحليلا وتبيانا، فهذا مجال المفسرين، وإنما هو كتاب عقيدة يدعو الناس إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح بآيات بينات، وفي نفس الآن يشرع لهم الأحكام والقوانين التي تسعدهم في حياتهم الدنيا، وتجعل أعمالهم مقبولة عند الله، وكل كلام كيفما بلغت درجة بلاغته لا يمكن أن يكون قواعد للفنون البلاغية، وكتاب الله لم يخرج عن القاعدة التي كان العرب يفرغون فيها كلامهم البياني على وجه الصحة، إن كلامهم المختار هو الذي جاء سهلًا مطبوعًا، ومنقحًا بدون تكلف وتمحل، قد تجد في القصيدة كلها فنًا من فنون البلاغة أو تخلو منها، لأنهم كانوا أحرص الناس على أن يكون بيانهم بعيدًا عن التكلف، والبلاغيون حين اختاروا آيات بينات من كتاب الله للاستشهاد بها على فنون البلاغة فإنهم كانوا يدرسون تلك الوجوه من البيان في آيات معينة للبحث عن استعارة نادرة، أو تشبيه طريف، أو تمثيل بارع، أو تطبيق خفي، وغيرها من الفنون التي جاء كتاب الله أنموذجًا مثاليًا لها، ومن هنا فإننا لا نتفق مع الخفاجي في كون آيات كتاب الله تختلف في وجوه البيان والفصاحة، ولا ندري السبب الذي جعله يذكر ذلك، وهو في كل موضع من كتابه يردد عبارات تنم عن علو بلاغة القرآن الكريم على سائر بلاغات العرب، كما كان يقف طويلًا عند حسن كلامه، وصحة نسقه، وقوة نظمه، وجمال انسجامه مع الأغراض والمضامين الروحية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية، ولم يجد فيه مطعنًا واحدًا في الاستحالة والتناقض والاضطراب والتفكك الذي وجده في أشعار العرب، ورغم وجود هذا النص في كتابه فإن كتابه يعد مصدرًا من مصادر البيان القرآني، والبيان العربي عامة، لأنه لم يقلل من شأن هذا البيان، أو يشكك فيه.

الهوامش

١- سر الفصاحة: ١٠٤.
٢- المصدر نفسه ١١٠.
٣- المصدر نفسه.
٤- سر الفصاحة: ١٢٨.
٥- سر الفصاحة: ١٣١.
والفراء هو يحيى بن زياد إمام الكوفيين في النحو واللغة والأدب، توفي سنة ٢٠٧هـ.
٦- سر الفصاحة: ١٣١، وشرحه «الخير» بالمال من قوله تعالى: ﴿إن ترك خيرًا الوصية﴾ (البقرة: ١٨٠).
وأما شرحه «الشديد» بمعنى البخيل، فلأن العرب تقول: فلان شديد ومتشدد، أي بخيل.
٧- سر الفصاحة: ١٣٦.
٨- سر الفصاحة: ١٣٧.
٩- المصدر نفسه: ٢٠٢.
١٠- سر الفصاحة: ٢٠٣، وانظر كتابنا: «البديع في التراث النقدي والبلاغي» ص ٤٠٧.
١١- سر الفصاحة: ٢٤٤.
١٢- المصدر نفسه: ٢٤٨.
١٣-سر الفصاحة: ٢٤٥.
١٤- سر الفصاحة: ٢٤٦.
١٥- سر الفصاحة: ١١٣.
١٦- منها أن يكون التكرار للتأكيد، أو لاستحضار اسم محبوب يجد المرء في ذكره لذة.
١٧- من ذلك إشارة الجاحظ، وهو من البلاغيين الأوائل الذين بحثوا في خصائص الإيجاز بين القرآن وكلام الأعراب، فقال في كتاب «الحيوان»: «ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز، والجمع بين المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، فمنها قوله تعالى حين وصف خمر أهل الجنة ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ (الواقعة: ١٩)، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا، ومنها قوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة، فقال: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ (الواقعة: ٣٣)، جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. (الحيوان: ٢٧٨/٤).
١٨- سر الفصاحة: ٢٤٦.
١٩- سر الفصاحة: ٢٤٦.
وبعض البلاغيين يرى في مثل هذا الحذف مبالغة طريفة، القصد منها ترك السامع يقدر أشياء لا يحيط بها الوصف المذكور، ومنهم السجلماسي حيث قال: «وإنما يحذف الجواب في مثل هذه الأدوات المقتضية الجواب لقصد المبالغة، لأن السامع يترك مع أقصى تخيله بتقديره أشياء لا يحيط بها الوصف، وذلك حيث يسوق السياق الى معنى واحد يقع على أنحاء كثيرة، ووجوه متعددة وآخذة بالنوع، ولآخذ بعضها بدل بعض في زمن كأنها تقع فيه دفعة يحار الوهم ويعظم التخيل لها بذلك، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به المعين، فلا يكون له ذلك الوقع» (المنزع البديع: ١٩٠).
٢٠- تناقض الكلام واستحالته من عيوب المعاني، وذلك أن يكون التقابل من جهة واحدة، كقول أحد الشعراء:
أرى هجرها والقتل مثلين فاقتصروا
ملامكم فالقتل أعفى وأيسر
لقد جعل الهجر والقتل مثلين، ثم قال: إن القتل أعفى وأيسر.
٢١-سر الفصاحة: ٢٨٤.
٢٢-سر الفصاحة: ٢٦٣.

سطوة اللغة العربية وتأثيرها في الشعوب الأخرى

صلاح الشهاوي

اللغة العربية منذ أقدم عصورها لغة علم وحضارة حتى في العصر الجاهلي، لذا نرى بعض المؤرخين المحدثين يقولون إن المجتمع العربي الجاهلي كان مجتمعًا آخذًا ببعض أسباب الحضارة، ويستدلون على ذلك بكثرة ألفاظ اللغة الدالة على القلم والورق، اليراع والأنبوبة والقرطاس والطرس والرق والصحيفة، ومن الألفاظ الدالة على الكتب: الصك - الزّبور - الرقيم - السّفر- الوصيرة (الصك للسجلات) وهكذا.

كما أن هناك فريقًا من المؤرخين يرون أن الشعر الجاهلي لم يحفظ عن طريق الرواية والسماع فقط وإنما كانت الوسيلة الأولى لحفظه هو القلم والكتابة، ويستدلون على ذلك بكثرة ورود كلمتي الكتابة والقلم في ألفاظ الشعر الجاهلي أو في بعض تشبيهاته وصوره، فالمرقش الأكبر مثلا يقول مشبهًا بقايا أطلال منزل الحبيبة ببقايا آثار سطور خطها قلم:

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ويستهل لبيد معلقته بأبيات يصور فيها أيضا بقايا أطلال الحبيبة تصويرًا أقرب إلى تصوير المرقش ونجد هذه الصورة لدى شعراء آخرين.

وكان بعض الشعراء الجاهليين يكتبون أشعارهم بل كتب بعضهم- كلقيط بن يعمر الإيادي- رسائل شعرية مكتوبة إلى قومه، وكان بعضهم يعرفون لغات أجنبية كعدي بن يزيد الذي كان يعمل في بلاط ملك الحيرة.

وليس أدل على معرفة الجاهليين الكتابة والقراءة من أن معلقاتهم الطوال كانت تذاع وتشتهر بين الناس بسبب تعليقها مكتوبة على جدار الكعبة المشرفة، وبعد ظهور الإسلام أصبحت اللغة العربية لغة عقيدة قدم

الملك الإسباني «ألفونسو العاشر» كان عالما بالعربية ومتقنا لآدابها وألف عددا من الكتب بالعربية

أبناؤها للعالم أرقى الحضارات وأسماها، ويكفي أن نعرف أن هذه اللغة تربط العلم والثقافة بالعقيدة رباطا لا فكاك منه، فالقرآن الكريم يرفع العلم والعلماء إلى أسمى منزلة ويقسم الله في محكم آياته بالكتاب الكريم ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١) كما حض القرآن الكريم على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على الرسول الأمين محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها حضارة كتب ومكتبات؛ فلقد أعطى الإسلام دفعة قوية للاتجاه الحضاري في اللغة العربية، ولذلك رأينا شعوب البلاد المفتوحة تسرع إلى تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي، ولم يمض نحو قرن من الزمن حتى أخذت العربية تسود في كل أنحاء العالم الإسلامي لا بين المسلمين وحدهم بل بين غيرهم أيضا ممن بقي على دينه القديم، وقد وصل أثرها إلى البيئات التي كانت نائية أيضا في إيران ومصر وبلاد المغرب وهي بيئات لم يكن لها بالعربية عهد من قبل فإذا هي تتعرب وتتعرب معها الأطراف الغربية للقارة الأوروبية في الأندلس ولا نكاد نتقدم في هذه البيئات بعد فتحها بنحو قرن حتى نجد العربية قد ملكت ألسنة الناس وقلوبهم في جميع أنحائها القريبة والبعيدة.

وقادت اللغة العربية العالم حضاريا وأدبيا وعلميا وفلسفيا طوال تسعة قرون منذ القرن الثامن الميلادي حين كان نشر المعارف والعلوم يكاد يقتصر عليها طيلة المرحلة التاريخية التي ساد فيها العرب العالم، وهي مستعدة بطبيعتها للعموم والشيوع والنهوض بالأمانة الإنسانية، والتاريخ شاهد صادق على هذا عندما يحدثنا «أنه كان التراث العلمي لعلماء العرب والمسلمين باللغة العربية لذا انكب الأوروبيون على تعلم العربية وكان الذي يتقنها يعتبر مثقفا» من ذلك، ملك صقلية، وليام الثاني، الذي كان عالما بالعربية ومتقنا لها وكان فريدريك الثاني متمكنا من اللغة العربية وآدابها، ووليام الثاني كان لا يتكلم بغير اللغة العربية إلا لضرورة قصوى، في حين أن فريدريك الثاني، قرر أن تكون اللغة العربية إجبارية في المدارس الحكومية في طول البلاد وعرضها في عهده، وقامت الراهبتان الشقيقتان الألمانيتان: هالديغراد ويراس هيتاغراد، بفتح العديد من المدارس في أنحاء ألمانيا لتعليم اللغة العربية وآدابها واشتهرت من بينها مدرسة «فهماس»، في

بون ومدرسة «ناربون» في برلين

ولما دخل وليام إنجلترا فاتحا اصطحب معه العشرات من يهود فرنسا الذين كانوا متمكنين من العربية وقاموا بفتح مدارس لتعليم اللغة العربية في بريطانيا وكان من أشهرها صيتا وسمعة مدرسة «أكسفورد»، التي تحولت فيما بعد إلى جامعة متكاملة والتحق بها بعد مائتي سنة المثقف والمفكر الأوروبي الشهير «روجر بيكون» الذي كان يحث طلابه في الجامعة على تعلم اللغة العربية ويعتبرها الطريقة المثلى للثقافة.. على صعيد آخر وصل إبراهيم بن عزرا، وكان عالما بالتوراة ويهوديا قحا من مسقط رأسه طليطلة، إلى لندن عام ١١٥٨م ودرس العربية في جامعتها عشرات السنين، كما تنص كتب التاريخ على أن الفيلسوف الألماني «ألبرتوس ميكنوس» والفيلسوف الإيطالي الأسقف النصراني الشهير «طاموس إيكوناس» كانا ماهرين في اللغة العربية وألفا عددًا من الكتب الفلسفية باللغة العربية.. وفي القرن الحادي عشر الميلادي أنشئت في مدينة «سالرنو» في إيطاليا مدرسة طبية كانت تقدم خدماتها التدريسية والتدريبية باللغة العربية.. وعين في عهد ملوك الأرمن الأسقف الأفريقي الأصل «قسطنطين» مديرًا لها وهو الذي قام بترجمة ثمانين كتابا في الطب لابن سينا والرازي وغيرهما إلى اللاتينية وكان يتقن العربية إتقانا تاما.. وفي عام ١٤٧٣م أصدر ملك فرنسا «لويس الحادي عشر» مرسومه الملكي القاضي باعتماد كتب ابن رشد في الفلسفة وفي اللغة العربية مقررا دراسيا في جامعات فرنسا.. وكانت كتب ابن رشد في الفلسفة تدرس في جامعات «بدوا» في إيطاليا حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن ابن ميسرة الصوفي الأندلسي الشهير الذي ألف كتبا عدة في التصوف لخصها بالعربية العالم اليهودي الأندلسي «اوس بروان» في كتاب واحد وترجم هذا الكتاب في القرن الثاني عشر الميلادي بعنوان fonsvitca، ترجمه «اتن ديث».

وفي إسبانيا كان هناك عالمان بارزان أحدهما «رميندلال» الذي فتح مدرسة للعلوم الإسلامية والشرقية وكان يتقن العربية ويتحدث بها بطلاقة لدرجة أن زائره يحسبه عربيا، وقد صنف في العربية كتابا في الأسماء الإلهية وأسرارها وخواصها.

وثانيهما «رميند مارتين» الذي تخرج من مدرسة طليطلة للعلوم الشرقية وكان متبحرا في علوم القرآن والحديث والفقه والفلسفة، وقد لخص كتاب «تهافت الفلاسفة» للإمام الغزالي بعنوانpugio fidei وكتب كتابا ضخما في الإلهيات يحتوي علي موضوعات: ذات الإله، والروح، نظام الكون والآخرة، وهو ما يمثل نسخة طبق الأصل لنظريات الغزالي حول هذه القضايا..كما قام الأسقف «هيراب» بترجمة التقويم العربي إلى الإسبانية.

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الملك الإسباني «ألفونسو العاشر» كان عالما بالعربية ومتقنا لآدابها وألف عددا من الكتب بالعربية وسعى إلى ترويج العربية إبان فترة حكمه، ولعل مما يتعجب له البعض أنه ألف كتابا ضخما في سيرة النبي محمد ﷺ، اطلع عليه المفكر الألماني «مراد هوفمان» في متحف «لائيدن» للتراث في هولندا، كما ألف «ألفونسو» كتابا آخر بالعربية في خواص الأحجار الكريمة ويوجد هذا الكتاب في مكتبة «الإسكوريال»، وفي عام ١١٣٠م قام الأسقف الإسباني «ريمند» بإنشاء جامعة في طليطلة، استقطب للتدريس فيها علماء متخصصين في علوم العربية واللاتينية كانوا يقومون جنبا إلى جنب مع التدريس- وظيفتهم الأساسية- بمهمة ترجمة التراث العربي إلى اللاتينية والإسبانية، وظلت هذه الجامعة تقدم خدماتها للمجتمع على مدار ثلاثة قرون وقدرت الكتب التي ترجمت طوال هذه الفترة من العربية إلى اللاتينية بأكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة كتاب.

وفي عام ١٢٢٤م أنشأ «فريدريك الثاني» جامعة ضخمة في «نيبلز» وكان من ضمن المقررات الإجبارية والمتطلبات الجامعية الأساسية كتب ابن رشد في الفلسفة التي كانت تدرس باللغة العربية وكانت مكتبة الجامعة زاخرة بآلاف المجلدات في اللغة العربية.

وأنشأ ملك البرتغال «هنري الرابع» أكاديمية بحرية وظف للتدريس فيها عالمين بالعربية متقنين لفنونها وتخرج عنها الرحالة والمغامر البحري «فاسكو دي غاما» الذي خرج من بلده البرتغال حتى وصل إلى الهند. وهو أول ملاح بحري أوروبي خرج من قارته إلى بلد آخر.

صور من الماضي تثبت عالمية اللغة العربية

اللغة العربية ليست قاصرة عن مسايرة الحياة وتطوراتها منذ دفع بها الإسلام إلى ارتياد آفاق العلم التجريبي حتى صارت لغة العلم كما هي لغة الدين والأدب ولم يطرأ عليها شيء يخلع عنها هذا الثوب الذي كساها به الإسلام.

إن علماء العرب لم يكتبوا أعمالهم التي نهل منها الغرب وكانت سبب رقيه ونهضته إلا باللغة العربية.. عندها صارت وعاء للعلوم وأصبح لها اليد الطولى والسيطرة على سائر لغات العالم أجمع. وقد رأينا كثيرا من رواد ومشاهير الأدب العالمي هرولوا إلى تعلم اللغة العربية بعدما استهوتهم جماليات الثقافة العربية الإسلامية أمثال بوشكين وتوليستوي وغيرهما ويكفي لإجمال الأثر الذي تركه الأدب الإسلامي باللغة العربية في آداب الأوروبيين أننا لا نجد أديبا واحدا من نوابغ الأدباء عندهم خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة إسلامية ومنهم شكسبير وأديسون وبيرون وسوزي وكولردج وشلي، بين أدباء الإنجليز، ومنهم جوته وهردر ولسنغ وهيني بين أدباء الألمان، وفولتير ومنتسيكو وهيجو بين أدباء الفرنسيين، ولافونتين الفرنسي الذي صرح باقتدائه في الأساطير بكتاب كليلة ودمنة الذي عرفه الأوروبيون عن طريق المسلمين ولغتهم العربية.

في ذكرى مولد سيد الأكوان ﷺ

رسول الله عذرًا

الشيخ/ وليد عبدالباري الخطيب

ربيع نوَّر الدنيا ببدرهْ
كذا ملأ الوجود بطيب عطرهْ
وأيقظنا وقد كنا رقودًا
على خير هدانا نُورُ فَجْرِه
وعلَّمَنا وقد عشنا زمانًا
بلا ذكر فأحيانا بذكره
سلكنا دربه سُدنا قرونًا
نصرنا دينهُ فزنا بنصره
نحب محمدًا ونذودُ عنه
ونبذلُ كُل غالٍ دون حصره
عشقناهُ ومن يعتب علينا
إذا ما العشق أغرقنا ببحره
فقدرُ المصطفى فينا عظيم
كريم كلُ من يعلو بقدره
ومن جهل النبي أتى بوزرٍ
وما وزر ثقيل مثل وزره
وما بعث الإله رسول قوم
كأحمد رحمة بعظيم أمره
به ختمت رسالات توالت
وأقسم ربنا بفريد عصره
به مُحيت ضلالات وتمحى
على مر العصور بنور بدره
بمولد سيد الأكوان قامت
حضارتنا على ساقٍ وجذره
ويات الكفر ينفثُ سُم قهرٍ
فآذانا وشوكتنا بنحره
ومكرُ الكفر معهود لدينا
نعوذ بربنا من سوء مكره
ولكنّا على ضعف نصرنا
فمات بغيظه ومضى لقبره
رسول الله عذرًا إن قعدنا
فما كان القعود بغير عذره
تمالأ جمعهم وبغوا علينا
وآل الأمر ما قاموا بأمره
ندبناهم فما ردوا علينا
كتبنا شعرنا قمنا بنشره
وعظنا في مساجدنا برفقٍ
لعل الرفق ينفعنا بيسره
وأدلى كل ذي رأي برأي
جهاراً ثم أودعه بسره
وكتّاب الصحافة ما توانوا
وكاتبنا سما أدبًا بنثره
أبوا سلما يجرُ إلى خسار
إلى ذل يلفلفنا بمره
تنادي من تنادي يا أخانا؟
ضميرًا ميتًا في جوف قصره
فرادى ما تخاذلنا ولكن
قمعنا شرهم فزوى بوكره
بعون الله أمتنا ستبقى
وإن الله بشرها بنصره

أديب سوري

تاريخ الديانة اليهودية

د.محمد بن المختار الشنقيطي

قلة هم العلماء المسلمون المتخصصون في الديانة اليهودية، رغم أهمية هذا الموضوع من الناحيتين العلمية والعملية. والدكتور محمد خليفة حسن من هؤلاء القلة الذين تضلعوا بالديانة اليهودية من منابعها الأصلية من خلال تخصصه في اللغة العبرية القديمة وغيرها من اللغات السامية كالحبشية والآرامية، ثم في تاريخ الأديان الذي حصل على شهادة الدكتوراه فيه من جامعة تمبل الأميركية.

بدأ الدكتور محمد خليفة كتابه «تاريخ الديانة اليهودية» بمقدمة بيّن فيها أهمية دراسة اليهودية بالنسبة للباحث في تاريخ الأديان والقارئ العربي عموما. فدراسة اليهودية معينة على معرفة تاريخ فكرة التوحيد، وتميز لغة الفكر التوحيدي العقلية الصريحة عن لغة الشرك الأسطورية الرمزية، كما أنها معينة على فهم التاريخ اليهودي الذي حوّله أهله دينا، وفهم الصهيونية المعاصرة التي حولت الخلاص الديني إلى خلاص سياسي. ثم إن اليهودية تمثّل خلفية دينية وتاريخية للمسيحية -بما فيها الأصولية الإنجيلية المعاصرة- بحيث يستحيل الفهم العميق للمسيحية ومشتقاتها دون إلمام بهذه الخلفية. كما أن دراسة اليهودية مُعينة على فهم بعض قصص القرآن الكريم، وعلى تجريد كتب التفسير من الإسرائيليات بردها إلى أصولها التوراتية.

بعد هذه المقدمة التمهيدية، قسم المؤلف الكتاب إلى أربعة أبواب، اشتمل كل منها على عدة فصول. فتناول في الباب الأول منها الدلالة الدينية والتاريخية للمصطلحات: «عبري» و«إسرائيلي» و«يهوذي» في التراث اليهودي، ثم في التراثين المسيحي والإسلامي. فأوضح أن لكل من هذه الألفاظ معنى خاص في التراث اليهودي، وقد عبرت كل منها عن مرحلة تاريخية مخصوصة. فـ«عبري» في معناها الاشتقاقي تعني «متنقل»، «مترحل»، «غريب»، وقد كساها اليهود فيما بعد معنى «العبور» من مصر. و«إسرائيلي» لها دلالة عرقية عامة مأخوذة من قصة يعقوب في التوراة، ولها أيضا دلالة سياسية-جغرافية خاصة، وهي الانتساب إلى مملكة إسرائيل الشمالية، مقابل مملكة يهودا الجنوبية، بعد انشطار مملكة داود وسليمان إلى شطرين. أما مصطلح «يهودي» (بالدال وبالذال) فله مدلول ديني عام، إذ هو وصف لكل من اعتنق هذه الديانة، وله مدلول سياسي خاص هو الانتماء إلى مملكة يهوذا الجنوبية. ثم عمّت هذه التسمية فيما بعد كل الإسرائيليين، واكتست طابعا دينيا محضا بعد هدم الآشوريين لمملكة إسرائيل، وبقاء مملكة يهودا بعدها قرنا وربع القرن حتى قضى عليها البابليون.

أما في التراث المسيحي والإسلامي، فقد وردت مسميات «يهودي» و«عبراني» بمعناهما القديم متكررتين في العهد الجديد (الإنجيل)، كما استخدم الإنجيل مصطلح «إسرائيلي» أحيانا بمعنى «مسيحي»، وذلك باعتبار الكنيسة هي إسرائيل الجديدة، وإن كان اليهود يرفضون هذا الاستخدام. ولم يستخدم القرآن لفظ «عبري» أو «عبراني» أبدا، لكنه توسّع في استخدام مسمى «بني إسرائيل» إشارة إلى انفصال ذرية إبراهيم إلى شعبين منذ أيام يعقوب. كما استخدم القرآن «قوم موسى» و«ذرية إبراهيم وإسرائيل». ووصف القرآن أنبياء بني إسرائيل بأنهم مسلمون، ودينهم الإسلام لا اليهودية أو المسيحية، لأن لفظ «الإسلام» تعبير عن جوهر الدين، مجردا عن الأشخاص والأماكن. ويرى بعض المفسرين المسلمين أن لفظ «يهود» مشتق من فعل «هاد»

أكاديمي موريتاني

أي تاب، لكن د.خليفة يرجح أن «هاد» تعني دان باليهودية، وأنه مشتق من لفظ «اليهودية».

وفي الباب الثاني من الكتاب بعنوان «الديانة الموسوية»، تناول د.خليفة الخصائص العامة للديانة الموسوية، مقارنا لها بالديانات السامية القديمة. وأهم هذه الخصائص كما عرضها هي: ثورتها على الفكر الديني الطبيعي، والاعتماد على العقل. وبالتأكيد على سلطان العقل يضعف سلطان الطبيعة على الفكر الديني، فينتقل من الإيمان بالآلهة المتعددة، إلى الإيمان بالإله الواحد داخل الطبيعة (وحدة الوجود) إلى الإيمان بالإله الواحد خارج الطبيعة (التوحيد الخالص). ومن خصائص الديانة الموسوية كذلك نهاية الرابطة الدموية الأسطورية بين الخلق والخالق التي كان يؤمن بها العبرانيون وغيرهم من شعوب المنطقة قبل موسى عليه السلام (وقد انتكست اليهودية بعد موسى في هذا المجال فتحولت ديانة قومية عرقية). ومن خصائصها أيضا ربط الخلق بإرادة الخالق، وأزلية الحياة الإلهية، وتحول لغة الدين إلى لغة عقلية مفهومة، ونهاية فكرة الصراع بين الآلهة، وترسيخ فكرة الإله الواحد العادل المسيطر على حركة التاريخ.

وقد أفرد المؤلف في هذا الباب مناقشة ضافية لنظرية العالم النفساني الإنكليزي من أصل يهودي «فرويد»، الذي زعم أن موسى عليه السلام مصري وديانته مصرية. واستدل على ذلك بأن موسى تربى في مدارس الحكمة المصرية -طبقا للتوراة- وأن اسمه مصري الاشتقاق وليس اسما عبريا، وأن رسالته مرتبطة بديانة الفرعون إخناتون، خصوصا في فكرة التوحيد، والتنزيه، ومنع الكهنوت، والختان...الخ وقد بين د.خليفة أن نظرية فرويد متهافتة المنطق، بناء على

بعض المفسرين يرى أن لفظ «يهود» مشتق من فعل «هاد» أي «تاب» ولكن د. خليفة يرى أنه مشتق من «هاد» وتعني دان باليهودية

أدلة كثيرة منها: أن التوحيد الذي جاء به موسى امتداد لتوحيد الأنبياء قبله، وهو مبنيٌّ على فكرتيّ الوحي والنبوة، خلافا للفكر المصري الوثني، الطبيعي حتى في توحيده. كما أن القول بتأثر مصر بالتوحيد القادم من فلسطين من خلال الفتوحات المصرية هناك، ومن خلال الوجود الإسرائيلي بمصر منذ أيام يوسف عليه السلام، أولى من القول بنظرية فرويد التي تفيد العكس. أما الدليل اللغوي الذي تقدم به فرويد فهو لا يستقيم، لأن الأقلية المستضعَفة تتبنّى لغة الأكثرية أحيانا، مداراة وخوفا من الاضطهاد أو اندماجا وانبهارا. فالتسليم بأن اسم موسى مصري الاشتقاق لا يدل على مصريته. وهناك احتمال أقوى بأن يكون اسم موسى عبري لا مصري، ويكون أصله «موشيّع» أي المخلِّص، ثم حُرِّف اللفظ تخفيفًا للنطق. وقد ختم المؤلف هذا الباب بشرح مكانة موسى في تاريخ الديانة اليهودية، فهو نموذج النبي المخلِّص عند الإسرائيليين، وقد تحول خروجه بهم من مصر نموذجا للخلاص عندهم، ثم هو نموذج النبي- الملك في التراث اليهودي المتأخر.

وفي الباب الرابع عن «طبيعة النبوة الإسرائيلية ووظائفها» بيّن المؤلف ظاهرة الانتكاس إلى الوثنية في تاريخ بني إسرائيل، وكثرة الأنبياء الذي جاءوا لردهم إلى التوحيد الخالص، والفراغ السياسي الذي جعل بعض أنبياء بني إسرائيل ساسةً وقادة عسكريين إلى جانب مهمتهم النبوية. ومن الغريب على العقل المسلم في هذا الباب ما أوضحه المؤلف من أن النبوة عند اليهود لم تبدأ من آدم، بل من آباء بني إسرائيل (إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام) وأن داود وسليمان عليهما السلام ليسا نبيّين عند اليهود، بل كان لكل منهم نبي يستشيره في أمر مملكته!! وأن اليهود يصنّفون أنبياءهم إلى أوائل وأواخر، وإلى كبار وصغار!! ثم يظهر عند اليهود غبش في التوحيد والنبوة حينما ينص سفر الخروج على أن موسى إله هارون: «وهو يكون لك فمًا، وأنت تكون له إلها»!! ولم يخلُ فهم اليهود للوحي من أثر أفلاطوني غنوصي، تجده في قول موسى بن ميمون مثلا: إن «النبوة فيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعّال على القوة الناطقة...». وقد بيّن د.خليفة ما اتسمت به النبوءات الإسرائيلية -مقارنة مع ديانات المنطقة السابقة عليها- من الصفة التاريخية، والتجرد النسبي من الأسطورة، واندماج الأنبياء في حياة عصرهم مؤثرين ومتأثرين.

ومن أثمن ما ورد في الكتاب التحليل الوافي في هذا الباب لطبيعة النبوة وصفاتها، ولوسائل التمييز بين النبي الصادق والمتنبئ الكاذب. فالنبي الصادق مدفوع لا إراديا لأداء رسالة ثقيلة إلى الناس. وهذا «الدافع القهري» -كما يدعوه المؤلف- يؤدي إلى التردد والخوف من مسؤولية الدعوة ابتداء، قبل التسليم والقبول بها انتهاء. ويعرض المؤلف لما دعاه «الأعراض السيكولوجية» للنبوة الحقّة، ومن هذه الأعراض ما نجده من المفاجأة والرهبة والتردد عند موسى، ومن اليأس عند أرميا، ومن الخوف عند يونان (يونس). ويُجمِل المؤلف القول في علامات صدق النبوة بأنها: «حرية النبي، واستقلاله عن مستمعيه ومتلقّي دعوته، وبعده عن سيطرتهم عليه، ومقاومته

لهذه السيطرة، إلى جانب كونه محكوما في دعوته بإرادة (يهوه) لا برغباته وأمانيه، بالإضافة إلى عنصر الشقاء والمعاناة في نشاطه...» (ص ١٤٨). وهذه المعاناة منها ما يتعلق بالصلة بالله (امحاء الإرادة الشخصية أمام الوحي، والوصول إلى حافة اليأس من النصر أحيانا) ومنها ما يتعلق بالصلة بالناس (التكذيب والاستهزاء والاضطهاد). وقد عانى أنبياء بني إسرائيل في علاقتهم بالمؤسسات الدينية والسياسية: توترا مع طبقة الكهنة، وتشكيكا من الأنبياء الكذبة، واضطهادا من الحكام.

ومن الواضح أن ما عرضه المؤلف هنا في تاريخ أنبياء بني إسرائيل يؤيده القرآن الكريم في العديد من الآيات، من مثل قوله عز وجل: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن...﴾ (القصص: ٨٥) ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ (المزمل: ٥)، ﴿حتى إذا استيأس الرسل...﴾ (يوسف: ١١٠) أما تركيز المؤلف على مثال النبي أرميا في الحديث عن معايير صدق النبوة، فهو في انسجام مع ما ذهب إليه مالك بن نبي في كتابه «الظاهرة القرآنية» حيث اتخذ مالك من حياة أرميا مثالا لهذه المعايير. وهذا توارد جميل للخواطر من هذين العالِمين الجليلين.

وقد ختم المؤلف هذا الباب بالحديث عن طبيعة ديانة الأنبياء الإسرائيليين من بعد موسى، فذكر تركيزهم على العودة إلى الأصل الموسوي، وإحياء ذكرى الخروج من مصر، والتذكير بالبعث والجزاء الأخروي، والتبشير بالمسيح المخلص، والتأكيد على المسؤولية الفردية، وبعث الحس الأخلاقي بعد هيمنة الجمود التشريعي واليبوسة الشعائرية على التدين اليهودي. فخلاصة فكر الأنبياء الإسرائيليين من بعد موسى هي العودة إلى النموذج الديني لموسى، وإلى النموذج السياسي لداود. ثم عرض المؤلف للوظيفة السياسية والاجتماعية للنبوة، فلخص الوظيفة السياسية في تقديم المشورة، وتقويم سلوك الملوك، والتعويض عن تقصيرهم، والتفسير الديني للأحداث السياسية. ثم أجمل الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية في التنديد بالأثرياء الجشعين، والدعوة إلى العدل والرحمة بالمحرومين. كما أشار إلى دور أنبياء بني إسرائيل في تدوين التاريخ الإسرائيلي وتفسيره تفسيرا لاهوتيا غائيا.

وفي الفصل الرابع والأخير من الكتاب عن تطور الديانة اليهودية عبر التاريخ يبدأ المؤلف بتوضيح مهم، وهو أن اليهودية -على خلاف الإسلام- لم تولد ديانة كاملة، بل تطورت مع الزمن، فهي ديانة تاريخية بامتياز. فقد تم تدوين العهد القديم على مدى ألف عام، وتأثرت اليهودية بثقافة الأمم التي أخضعت اليهود لسلطانها عبر التاريخ من آشوريين وبابليين ومصريين وفرس ويونان ورومان ومسلمين... فتكيفت اليهودية مع الشتات والسبي والمنفى تكيفا أثر تأثيرا عميقا في تكوينها وبنيتها.

ويقدم د. خليفة تحقيبا لتاريخ اليهودية من مراحل تاريخية ستّ. أولها مرحلة ديانة الآباء (شخصيات ما قبل موسى، وأهمها إبراهيم) وقد كانت في هذه الحقبة ديانة بسيطة بدوية، أهم مبادئها التوحيد والعهد بين الرب وإبراهيم عليه السلام. وثانيها مرحلة موسى عليه السلام، وقد صاحبتْها تطورات مهمة، منها الاعتماد على المصدر المكتوب، والوصايا العشر ببعدها الاعتقادي والشعائري والأخلاقي، ثم تبلوُرُ فكرة العهد بين الرب وشعبه بشكل أوضح، وبعض التشريعات الشرطية والأمْرية المختلفة. وفي المرحلة الثالثة الممتدة من بعد عصر موسى حتى انقسام المملكة كان أهم تطور هو تأثر اليهودية بالوثنية الكنعانية ثم البابلية، وقيام مملكة داود وسليمان. وفي المرحلة الرابعة كان السبي، وكان ما يدعى «عصر النبوة الكلاسيكية». أما المرحلة الخامسة فهي تعكس اليهودية في العصر اليوناني والمرحلة التلمودية. ومن مظاهر هذه المرحلة الهزيمة الفكرية اليهودية أمام الفكر اليوناني العقلاني -بخلاف صمودها النسبي أمام الوثنيات الغازية- وما استتبع تلك الهزيمة من انقسام اليهود حول العلاقة بين العقل والنقل ما بين سلفي وعقلاني، وتوصل بعضهم -مثل فيلون- إلى رؤية توفيقية بين موسى وأفلاطون، مثل توفيقية ابن رشد واكتشافه لـ«ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال». ويعكس التطور التلمودي في هذه المرحلة ثباتا تشريعيا وعباديا، مع إهمال لأي جهد نظري من أجل صياغة العقيدة اليهودية صياغة لاهوتية. وأخيرا يتحدث المؤلف عن المرحلة السادسة وهي عن الديانة اليهودية في العصرين الإسلامي والمسيحي. ففي العصر المسيحي كانت العلاقة قلقة بين الديانتين منذ البداية بسبب الخلاف حول طبيعة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وإن كانت اليهودية استفادت من النقد المسيحي لجمودها وجفافها، فغيرت بعض مساراتها تحت مطارق هذا النقد. وفي العصر الإسلامي كانت العلاقة طيبة في الغالب، ولم يكن استهداف المسلمين لليهود في العهد النبوي بدافع اعتقادي أو لتمسك اليهود بعقيدتهم الموروثة، بل بدافع سياسي هو غدرهم بالمسلمين ومساعدة عدوهم. وقد ازدهر اليهود ثقافيا في ظل الإسلام، وساهموا في الحضارة الإسلامية، وتأثروا بها كثيرا، واستفادوا من نقد المسلمين، فبنوا نظاما اعتقاديا محدّد الملامح لأول مرة في تاريخهم الطويل. وكما لاحظ المؤلف بعمق، فقد «ساعد الإسلام اليهوديّ على

فهم يهوديته، ووضْعِها في نظام عقائدي وتشريعي منسق» (ص ٢١٧)، وذلك على يديّ سعديا بن يوسف الفيومي في القرن العاشر الميلادي، وموسى بن ميمون في القرن الثاني عشر الميلادي.

ولعل أكثر الفرق اليهودية القديمة إثارة لاهتمام القارئ العربي قد تكون طائفة القرائين، فهم يعترفون بالعهد القديم دون المصادر الشفوية، ويرفضون التلمود والمصادر الشفوية. تهتم هذه الطائفة بنهاية العالم وقدوم المخلص، وقد تفرعت عنها فرق متأثرة بالإسلام، منها فرقة الموشكانية التي اعترفت بنبوة محمد ﷺ، لكنها حصرت رسالته في العرب دون اليهود. وقد تأثروا بالمعتزلة في هجومهم على الاتجاهات التشبيهية في تفسير العقيدة اليهودية. حقد عليهم اليهود الحاخاميون وكفروهم وعزلوهم... وأخيرا طائفة الحسيديم: وتأسست في القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا الشرقية، وهي ذات منزع صوفي غنوصي. يقول أتباعها بوحدة الوجود، ويعتقدون بالتطهر من العلائق الجسدية، ويمارسون الغناء الديني مع الوجد والرقص، ولديهم قائد يدعونه «الصديق» هو بمثابة شيخ الطريقة.

أما الحركات اليهودية الحديثة والمعاصرة، فيحصي منها د.خليفة الحركة الأوثودوكسية، وهي تتركز في يهود أوربا الشرقية، وتتمسك بالنمط التقليدي لليهودية، خصوصا حرمة السبت واستخدام اللغة العبرية، والتمييز بين الرجل والمرأة... والحركة المحافظة، وهي حاصل الجهد الساعي

إلى التوفيق بين الأورثودوكسية والتجديدية، فهي محافظة على التقاليد في إطار حديث، تؤكد على احترام السبت، واستخدام اللغة العبرية في العبادة، وصيانة الأسرة اليهودية، وبناء المدارس الدينية، ورفض البدع، مع التشجيع الخجول للصهيونية، مصحوبا بالتحفظ على علمانيتها المفرطة. لكنها تسوي بين الرجل والمرأة في المعبد على عكس الأورثودوكس... وحركة إعادة بناء اليهودية، وهي مدرسة فكرية تنظر إلى اليهودية على أنها «حضارة دينية»، وتسعى إلى التوفيق بين الثقافة الأميركية والهوية اليهودية، وتؤكد على وحدة اليهود بمختلف مدارسهم الفكرية، وتتبنى مقولة الصهيونية الروحية...

لكن أهم هذه الحركات وأعمقها أثرا على اليهودية المعاصرة هي الحركة الإصلاحية، وقد ولدت هذه الحركة استجابة للثورة الفرنسية، وما وعدت به من مساواة بين المواطنين في أوروبا بغض النظر عن المعتقد.

ويختم د.خليفة كتابه بتلخيص خصائص الديانة اليهودية في أربع، هي: أولا: الطبيعة التوحيدية، وإن لم يخل ذلك التوحيد من غبش ولبس. ثانيا: الطبيعة التاريخية، فقد تطورت هذه الديانة تحت ضغط الخروج والسبي والنفي، فـ«اليهودية من صنع الأزمات التاريخية» (ص ٢٥٥) كما لاحظ د.خليفة بحق. ثالثا: الصفة القومية الخصوصية، فهي تتأسس على عهد خاص، وخلاص خاص، وحتى إله خاص، مما أدى إلى ازدواجية أخلاقية عميقة في العقل اليهودي. رابعا: أنها ديانة غير تبليغية، فقد حرّمت على غير اليهود نسبًا الدخول فيها، وفرّطت في نشر التوحيد في أمم وثنية كثيرة احتكت بها. خامسا: الصفة الأسطورية، فقد تأثرت اليهودية بالوثنيات الغازية، وأدى ذلك إلى تشوه التوحيد فيها، من خلال القول بتجسد الإله، والرفع من شأن المسيح المخلص، والغض من شأن الإله الخالق.

وفي الأخير أقول إن من الظلم لهذا السِّفر القيم أن يتم اختزاله في هذه الصَفحات. وإنما أردت أن يكون هذا العرض حافزا للقارئ الكريم على قراءة الكتاب كله، والاستفادة مما فيه من معلومات قيمة وتحليلات عميقة للديانة اليهودية. فنحن المسلمين في مسيس الحاجة اليوم إلى تأصيل رؤيتنا ومواجهتنا مع أتباع هذه الديانة على أساس من العلم والفعل، بعد أن أخذ منا الجهل والانفعال مأخذا عظيما حقبةً من الزمان.

أسرتي

الحوار الأسري

من أفضل أساليب التكوين في بناء الشخصية التي تمثل أحد أعمدة الأسرة وأركانها المترابطة هو المشاورة الدائمة، والمناقشة القائمة على الحوار الهادئ والأدب الرفيع.

وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١).

ولاستكمال الحوار الأسري في القرآن يعرض لنا السياق القرآني لوحة لمشهد يكشف فيه عن استسماح إخوة يوسف أباهم في حقه وحق أخيهم يوسف، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٧).

ثم يحكي لنا القرآن الكريم نتائج الحوار الأسري وتقارب المجتمع المسلم الصغير، وبروز الحنو والعاطفة الأبوية في تلافي المشاكل والقضاء على الخلاف، قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٨).

ثم يعرض لنا الحوار القرآني لوحة من مشهد الحوار الأسري الإيجابي الذي تجتمع فيه الأسرة يحدوها الحنان الأبوي والأخوي بين يوسف عليه السلام وهو يضم إليه أبويه وإخوته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٩٩-١٠٠).

التحرير

سيكولوجية تكوين الأسرة وإصلاح المجتمع في المنظور الإسلامي

حسين محيي الدين سباهي

من خلال التعاليم التي جاء بها الإسلام.. نجد أن على كل فرد منا أن يختار ذلك الطريق المستقيم الذي هدانا الله اليه بمحكم تنزيل كتابه الكريم، وسنة رسوله ﷺ، لما فيه من ايمان واطمئنان، وصدق الله العظيم اذ يقول: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾. هذا هو الطريق الذي التقينا عليه نحن المسلمين، وسرنا على هديه، فمن أين يبدأ؟ وما مراحله؟ وكيف ينتهي؟ والجدير بالذكر هنا أن الإسلام اعتبر نقطة البداية هي الفرد، إذ هو النواة الأولى للمجتمع، ففي صلاحه صلاح الأسرة، وفي صلاح الأسرة صلاح الأمة، وعند الحديث عن تكوين الأسرة في الإسلام لابد من الاجابة على هذين السؤالين: مم تنشأ الأسرة؟ ومم ينشأ المجتمع؟

الحياة الزوجية، هي الأساس في تكوين الأسرة والمجتمع، فمن هذه الحياة التي قوامها الزوج والزوجة ينشأ الأولاد، ومن الأولاد يكون الإخوة والأخوات ثم الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، ومن هولاء جميعا تتكون الأسرة الخاصة أو المجتمع الأصغر، ومن الأسرة الخاصة تنشأ الأسرة العامة، فالأسرة اذن هي الخلية الأساسية التي يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع الكبير، فإن كانت هذه الخلية سليمة قوية، سلم المجتمع وقوي، ولهذا شرع الله الزواج حفظا للنوع الانساني وصيانة للناس من الأمراض والآثام واحتراما للانسان بإلحاق الأولاد بآبائهم ومساعدة كلا الزوجين للآخر، ولهذا قال تعالى ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾. وقال ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

لهذا كان من أهم واجبات الفرد بالإسلام أن يحرص على تكوين الأسرة المسلمة، وذلك بأن يحمل أهله على اعتقاد فكرته وتبنيها والمحافظة على آداب الإسلام في كل مظاهر الحياة المنزلية.

وذلك لا يكون إلا بحسن اختيار الزوجة وتعليمها واجباتها وحقوقها وحسن تربية الأولاد والأسرة على مبادئ الإسلام، ونحب أن نشير هنا إلى أن كثيرا من الأفراد يفشلون في هذه التجربة الهينة فنجده بمجرد زواجه، يقل نشاطه في الدعوة، ويتعلل بقول الرسول ﷺ «إن لأهلك عليك حقا»، على هؤلاء أن يذكروا قول الله: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾. وليذكروا دائما قول الخنساء الخالد على مر الزمان حينما علمت بمقتل أولادها الأربعة في القادسية فقالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم»، ومازلنا، رغم أننا حملنا أمانة الدعوة أسرى عادات جاهلية، نغلي المهور، ونعقّد الاجراءات، واذا تقدم لنا من نرضى دينه وامانته بحثنا عن حسبه ونسبه وغناه وفقره، ونسينا أننا حملة رسالة وأصحاب عقيدة تعمل لاجتناب كل نظام فاسد لا يقوم على العبودية لله، والتحلي بآداب الإسلام.

إصلاح المجتمع بما يتفق والآداب الإسلامية

للبيئة أثر مهم في تربية الفرد، فالأفراد الذين ترعرعوا في المجتمع الإسلامي الأول لم يكونوا بحاجة الى من يربيهم على الإسلام ويصقلهم بالايمان، لأن مجتمعهم كان يقوم على أساس إسلامي، فكل من نشأ فيه واستنشق هذا العبير تخلق بعادات مجتمعه، ولهذا نجد ان المجتمعات الإسلامية تحرص على إيجاد الواحة الإسلامية لأفرادها حتى يهرعوا اليها ليتقوا بظلها مر الفساد ونار الفتنة، ولكن هل نكتفي بذلك المجتمع الصغير ونعتزل الناس في واحتنا هذه مخالفين بذلك الأمر الصريح من الله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

وأولئك هم المفلحون﴾، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا». ومعنى ذلك ان نأخذ على ايدي الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا وما هم كذلك.

واصلاح المجتمع لا يكون الا بنشر دعوة خيرية فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات وتشجيع الفضائل والأمر بالمعروف والمبادرة الى فعل الخير وكسب الرأي العام الى جانب الفكرة الإسلامية، ولا يكون هذا إلا بأن نجعل الدعوة مسألة مهمة يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم مع أصدقائهم وأهليهم.

علينا أن نهتم بالتربية الإسلامية وأن نقتحم بها كل مجلس وناد، ونتحين لها كل فرصة مناسبة، ولا نكف عن الكتابة والخطابة والحديث والسعي والعمل حتى يحيا الإسلام وتعاليمه في الضمائر ويشتغل به الناس جميعًا في حضورنا وغيابنا، وبهذا تكون الفكرة الإسلامية سيدة الأفكار في المجتمع.

ولا ننسى أنا ندعو الى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن ديننا دين القيمة، أي الوصاية على الدنيا القاصرة، فغايتنا لا تقف عند حد إسعاد المسلمين، ولكنها تمتد حتى تتم هداية الناس أجمعين: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

ريحانة الحياة

عبدالعزيز العسكر

بك يا بُنَيَّة أشرقت ألحاني
وبك ارتقى بين الورى ديواني
أوليتني بِرًّا يفوح عبيره
فزهوت في صدق على الأقران
البنت في بيتي سحائب رحمة
ومواطن للبر والإحسان
أصغي إليّ فقد وهبتك خافقي
وأفضت في سر وفي إعلاني
لا تعبئي بالحاسدين إذا دعوا
لتبرج في مرقص العصيان
لا تسمعي لمخرف يسعى إلى
حرية الفئران والجرذان
قالوا لنا: إنَّ النِّساء مواهبٌ
قد كبلت بالسور والحيطان
وهي السَّواعد في بناء بلادنا
إن خالطت جمعًا من الشبان
في مسرح أو قاعة أو مصنع
أو ملعب في دولة «اليابان»!!
قد حاربوا شرع الإله وحكمه
وتجرَّأوا بالزور والبهتان
قالوا الحضارة أن تقود نساؤنا
سيارة في حشمة وأمان!!
قالوا التَّحرر أن تكون نساؤنا
«كناسة» في فندق «العميان»!!
قالوا التقدُّم أن تبيع نساؤنا
في متجر للنَّعل والقمصان
قالوا التطور أن تنال بناتنا
كأس النجوم بملعب الرومان!!
تلك الحضارة في حظيرة شؤمهم
فيها تباع كرامة الإنسان
فيها الضَّياع لحرَّةٍ قد شُرِّفَتْ
بكرامة في مُنْزل القرآن
الله شرَّفها وأعلى قدرها
بالسِّتر والإحصان والإيمان
البنت فينا حصن كل فضيلة
وبدينها تحمي حمى الأوطان

شاعر سعودي

الدلال إكسير الحياة الزوجية

منى السعيد الشريف

الدلال مرتبة من مراتب الحب بين الزوجين، ولكنه غالبا صفة أخص بالزوجة، وبه تحلو الحياة الزوجية، وتبدو غضة طرية، وبدونه تكون العلاقة الزوجية جافة قاتمة، ويكون تعامل الزوجين فيها أشبه بتعامل الموظفين في القطاعات الإدارية، يتحدثون بصوت مرتفع، وبأوامر تنفيذية، لا تُشتَمُّ منها رائحة التواصل العاطفي، ولا يُتذوق فيها طعم المودة والرحمة.

يقال دائما: إن المرأة بطبعها طيبة وحنونة، ويقال أيضا: إن الرجل ما هو إلا طفل كبير، ولذلك فإن كلًا من الطرفين في حاجة ماسة إلى التدليل من الطرف الآخر، سواء عن طريق الكلمة أو اللمسة أو أي تصرف آخر يعبر به الزوج أو الزوجة عن حبه للطرف الآخر.

طبيعة المشكلة

أغلب الزوجات- إلا ما رحم ربي- تركْنَ رقة الدلال، وتحولن إلى الخشونة، ولبسن عباءات الرجال تحت مسميات المساواة وإثبات الذات.. أما الرجولة فحدث ولا حرج عن ذكورة سُرقت منها معاني الرجولة والبذل والعطاء، واكتفت بالمظاهر الخشنة، وأنماط السيطرة، ولغة الأوامر وكأننا في ثكنة عسكرية.

والقضية غريبة، فلا المرأة صارت ترضى بأنوثتها وتعتز بدلالها، ولا هي تريد أن تعرف كيف توظف دلالها ورقتها لإنجاح حياتها الزوجية، بل بعضهن يرون أنه لا جدوى من الدلال في ظل حياة مليئة بالمشاكل والضغوط، تفترض منا الأسلوب العملي الجاف في التعاطي.

كما يجهل الزوج بدوره الاعتراف بأن له دورًا إيجابيًّا في تدليل زوجته للاستمتاع بأنوثتها كاملة، وكي يصبح هو بدوره الزوج المدلل في البيت.. فلا

المرأة تصبح أنثى دون رجولة زوج يعرف معنى العطاء، ولا الرجل سينعم بمعاملة كريمة ترضي غروره إذا تعمد إهمال أنوثة زوجته.

الوعي المتهم الأول

يقول استشاري الطب النفسي د.طاهر شلتوت: إن عدم وجود وعي بمتطلبات ومهارات الزواج الناجح هو الذي يدفع الزوجين لإهمال سلوك التدليل والرقة بينهما، كما أن هناك اعتبارات أخرى تعوق إمكانية أن يتعاملا بدلال، خصوصا أن كثيرا من الزيجات يضطر فيها الزوجان أن يعيشا في بداية حياتهما الزوجية مع الأهل، مما يخلق نوعا من الحرج الشديد لدى الزوجين في إظهار عواطفهما بصراحة، لأنهما قد يتعرضان للّوم والتقريع من قبل الحماة مثلا، وقد تبدأ أطراف أخرى في اتهام الزوج الذي يدلل زوجته بأنه ضعيف الشخصية، مما يدفع بالزوج المخدوع إلى الشدة والجدية في تعاطيه مع زوجته ليثبت أمام الجميع أنه «سي السيد».

من هنا نبدأ

يقول أهل اللغة: الدلال والتدلل من المرأة: حسن حديثها ومزحها، وفي الدلال على الزوج تكسر وملاحة محببة تسعد النفس وتنعش الفؤاد، وفي الدلال جمال وأي جمال، ويقولون: امرأة دلّ، أي ذات شكل تُدلُّ به.

تختلف آراء الرجال حول المرأة التي يرغبونها زوجة، لكنهم يتفقون في شيء واحد هو أن تكون «أنثى» بمعنى الكلمة.. الأنوثة هي رأس جمال المرأة، وأهم ما يميزها، فإذا ما استهانت المرأة بأنوثتها فأخفتها عن زوجها، أو تجاهلت أهميتها ودورها فإنها سوف تفقد مكانتها عند الزوج.. الأنوثة هي السحر الحلال الذي يحرك مشاعر الزوج ليجعل منه محبًّا،

كاتبة في شؤون الأسرة

وليس شرطًا للأنوثة أن تكون المرأة فائقة الجمال، لكن الأنوثة تحمل معاني كبيرة، وأساسها أن تكون امرأة بمعنى الكلمة.. امرأة ظاهرًا وباطنًا.. بشكلها.. ونطقها.. ودقات قلبها.. بروحها التي تتوارى داخل جسدها.. امرأة تتقن فن الأنوثة.

إياكِ والحياء المزيف، وهو الحياء في غير موضعه بينك وبين زوجك؛ فرسولنا الكريم ﷺ رغّب في تنمية العواطف بين الزوجين، وحث على اختيار المرأة التي تمتلك صفة «تداعبك» و«تلاعبك» من النساء، ويدخل في ذلك كله طريقة اللبس، والعطور، والحركات، والكلمات، والإشارات، والإيماءات.. وكل وجوه الجاذبية والتفنن في إشباع الحواس والفؤاد.

تغيرت أشياء كثيرة على مدى العقود الماضية، ولكن بقي شيء واحد على حاله، وهو أن تقدير الزوج لذاته وثقته بنفسه مرتبطان بمدى إتقانه لوظيفة الرجل الكامل، فإذا لم تعبري لزوجك عن إعجابك به، لن يثق بنفسه حتى لو كان دخله ألوفًا مؤلفة، وسيظل في دوامة جلد الذات، لكن احرصي أن يكون ثناؤك عليه حقيقيًا وصادقًا ويشعره برجولته أيضا.

جددي في أسلوب الحديث مع زوجك.. انتقي عبارات عذبة وسريعة الوصول للقلب والعقل.

حاولي أن تكون طريقة تجميل وجهك وتصفيف شعرك بأسلوب متجدد، مع إضافة لمسات وابتكارات، فهذا يجعلك تتمتعين بمظهر جذاب علي الدوام.

الزوجة الناجحة

التدليل ليس ترفاً زوجياً إنما احتياج إنساني مهم جداً

يجب أن تعلم ما يرغبه زوجها، فتحرص على الالتزام به، وهذا له تأثير كبير في المزاج النفسي للزوج، وفي تحقيق الانجذاب بين الشريكين.

التفاني في الاهتمام بالآخر مفتاح سحري لقلبه وعقله.. حين تشترين لزوجكِ معجون الأسنان الذي يفضله قبل أن ينفد القديم سيطير فرحا.. وحين تأتين له بكوب الماء الدافئ الذي يشربه على الريق قبل أن يطلبه، سيقول فيك شعرا.. هذه الأفعال البسيطة تكشف له مدى مراعاتك لمشاعره واهتمامك الخاص به.

عندما تغادرين المنزل اتركي له ملحوظة بأسلوب جميل ومرح واختميها بعبارة «أنا احبك».. هذا الأمر من شأنه أن يزيد من محبة زوجك لك ويحافظ على دفء العلاقة الزوجية بينكما.

الابتسامة الصادقة تأسر القلوب وتسحر النفوس، ولها رونق وجمال وتعابير، وتضفي على وجه صاحبها ما لا يضفيه العبوس، فالابتسامة تعتبر بمنزلة الكنز الذي لا يكلفك درهمًا ولا دينارًا، فهي مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ولها أثر عجيب في نفوس الآخرين؛ ولهذا قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (سنن الترمذي)، وقال أيضًا: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (مسلم). ويقول الإمام ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين.

لا تلاحقيه بحبك حتى لا يهرب منك، فإن من الحب ما قتل.

يقول رئيس قسم الطب النفسي بجامعة الأزهر د.محمد مهدي: لا يفوتنا أن نؤكد أن التدليل لا يحدث إلا إذا كان الطرف الآخر يشعر أساسا بقيمة شريكه «المدلِّل»، فهذه العلاقة فيها رعاية وتضحية وعطاء بلا مقابل وبدرجة عالية، ومن المهم أيضا أن يستقبل الطرف «المدلَّل» هذا التدليل بفرح وانبساط وقبول، فبعض الناس لا يقوم بذلك مما يشكل صدمة للطرف الآخر الذي قام بعملية التدليل ولم يلق استجابة، فالتدليل يجب ألّا يُحسن استقباله فحسب، بل لابد من تبادله، ولا يبقى طرف على طول الخط مدللا بينما يظل الطرف الآخر متلقيًا فقط.. لذلك نشجع الأزواج والزوجات على الاهتمام بهذه العلاقة الجميلة وتبادلها لأنها ليست ترفا كما يتصور البعض وإنما احتياج إنساني مهم جدا.

خواطر أسرية

لا تخرجوهن.. ولا يخرجن

كمال عبدالمنعم خليل

«اذهبي إلى بيت أهلك».. «سوف أترك لك البيت وأذهب إلى بيت أبي» هاتان الجملتان ما أكثر تكرارهما في بيت الزوجية لأتفه الأسباب، ولأبسط الأمور، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم الفهم الصحيح لأحكام ديننا الإسلامي الحنيف الذي ارتضاه لنا رب العالمين، وبينه لنا هدي رسولنا الكريم محمد ﷺ، والإسلام هو الدين الوحيد بين الأديان والعقائد الذي يحفظ للأسرة هيبتها وكرامتها، فلا تجد تماسكا وتوحدا وتآلفا كما هو في الأسرة المسلمة، فكم من الآيات حثت على نشر الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، فالسكن والمودة والرحمة هي الأسس والركائز لكل أسرة مسلمة تريد حياة هادئة هانئة مستقرة.

وأي أسرة عرضة للخلاف في الرأي، فالعقول تتفاوت في تلقي الأحداث، وكل له رأيه وقوله، وهذه سنة الله في خلقه، إلا أن المحزن والمؤسف أن يترتب على أبسط خلاف في أبسط قضية خلاف حاد يصل إلى حد التشاجر، وربما إلى أبعد من ذلك، وعند ذلك تثور ثائرة الزوجين، فالزوج يهدد بطرد زوجته، ويرغمها على ترك بيت الزوجية والذهاب إلى بيت أبيها نكاية فيها، وقد تبادر الزوجة بترك البيت معاقبة لزوجها وأولادها، لأنه أغلظ لها في القول، أو أغضبها بسبب أو آخر.

وإن كان هذا أو ذاك فكلاهما مخطئ في تصرفه، لأن الأمور ليست بالهينة إلى هذه الدرجة، زوج يطرد زوجته، وزوجة تترك بيتها!

ولو فهم الاثنان كيف تدار الحياة الزوجية وكيف يدار الخلاف لما حدث هذا بينهما، إن الذي يتدبر آيات الله تعالى يجدها تشدد على هذه المسألة، حيث ينهى الله تعالى الأزواج عن طرد الزوجات وإخراجهم من بيت الزوجية، قال تعالى ﴿واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين فاحشة مبينة﴾ (الطلاق: ١)، فقد قدم الأمر بالتقوى حتى يذكر كل غافل ويحذره من الوقوع في هذه المخالفة، كما عبر عن بيت الزوجية بقوله «بيوتهن»، لأن المرأة أصبح لها ترتيب في الأولويات بعد زواجها، ليكون بيت زوجها في المقدمة، لذلك نسب بيت الزوجية إليها.

أما بيت أبيها فيأتي في المرتبة الثانية، كذلك أكد على الزوجة ونهاها عن الخروج وترك بيت الزوجية إلا في حال ارتكاب الفحشاء وهي جريمة الزنا، أما أي أمر آخر فلا تترك البيت حتى ولو كان الطلاق.

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله- في قوله تعالى ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾، أي في مدة العدة، لها حق السكنى على الزوج مادامت معتدة منه، فليس للرجل أن يخرجها، ولا يجوز لها الخروج أيضا لأنها معتقلة لحق الزوج. أ.هـ.

وإنك لتعجب من المرأة إذا طلقها زوجها طلاقا رجعيا جمعت ملابسها وحاجاتها وشدت الرحال إلى بيت أبيها، أوَما درت أنها بجلوسها في بيت زوجها تضيق الخناق على المشكلة فتجعلها في أضيق الحدود؟ وقد يفيق الزوج ويفيء إلى رشده ويراجعها- وذلك حقه- وتعود الأمور إلى ما كانت عليه.

إن الزوجين يريدان غير ذلك، فكل منهما يرغب في أن يعرف الرائح والغادي قصتهما، ولا ينفع الإصلاح عندئذ.

إن هذا النهي المتكرر في آية واحدة ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ مقصده الإبقاء على رباط الزوجية، والحفاظ على كيان هذه الأسرة، فديننا يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت. ألا فليعمل كل زوجين ذلك.

اختصاصي تربوي

الحياة.. وتحقيق السعادة

د. محمد عيسوي الفيومي

دعني أطرح عليك سؤالا.. اجلس أمام المرآة وانظر في وجهك نظرة عميقة، سترى قسمات وجهك وقد تجاوزت عقدك الثاني ببضع شهور، فلتسأل نفسك في خلال هذين العقدين.. هل قمت بفعل شيء تفخر به أمام أهلك وأصدقائك والأهم أمام نفسك؟ دعنا من هذا الحديث فكما يقال لا يفيد البكاء على اللبن المسكوب، ولكن وجه لنفسك هذه الأسئلة، متى ستعرف معنى السعادة الحقيقية؟ وما هو حلمك الذي سيحقق لك ذلك؟ وماذا تفعل لتحقيق هذا الحلم؟!

كثير من الناس لديهم هذا الحلم الذي يتمحور حول الحياة التقليدية السعيدة نظريا التي تبدأ بقصة حب طويلة، كتلك التي لم تعد تسمع عنها إلا في الأفلام، ثم زواج، ثم إنجاب الأطفال، ثم تربيتهم.. ثم..ثم.. إلى أن تأتي ساعته فيموت وهو مطمئن على التراث الذي تركه خلفه.

أنا لا أعاتب هؤلاء الأشخاص، فهذا حلم مشروع للجميع، ولكني حزين لافتقار هؤلاء الأشخاص إلى التخيل والإبداع والسعي إلى حلم جديد والبحث عن السعادة الحقيقية، فلا ينبغي أن تكون مهنتك في الحياة هي أن تصبح آله تعمل لضمان نجاح استمرار الجنس البشري.. إليك الواقع الذي ينتظرك!

نحن نقنع أنفسنا بأن حياتنا ستصبح أفضل بعد أن نتزوج ونستقبل طفلنا الأول، ثم طفلا آخر بعده، ثم نصاب بالإحباط لأن الأطفال ما زالوا صغارًا، ونؤمن بأن الأمور ستصبح على ما يرام بمجرد أن يكبروا، ثم يدق الإحباط بابك مرة آخرى حين يصل طفلك مرحلة المراهقة، فتبدأ بالاعتقاد أنك ستجد الراحة ما أن تنتهي هذه المرحلة.. وهكذا تستمر الحكاية كأننا ندور في حلقة لا نعرف من أين بدأت ولا أين ستنتهي! والآن في خضم هذه المعركة، هل تظن أنك وجدت السعادة؟!

الحقيقة أنه لا يوجد وقت أفضل من الآن لكي تشعر بالسعادة فإن لم يكن الآن فمتى إذن؟!

الحياة قصيرة جدا مهما طال العمر، فالفرص التي تأتيك لتغير مسار حياتك وتشعرك بالسعادة قليلة، فاستغل هذه الفرص فإنك إن أهملتها فستنسى هدفك في الحياة وسوف تخرج منها دون أن تترك بصمة في حياة من حولك. السعادة هي ما تجعلك قادرا على تغيير الواقع من حولك، لتجعل من نفسك قدوة للآخرين وتترك بصمة في حياتهم ويكون هذا الفعل هو ما تفخر به في حياتك.

قطعا لا أنفي أن بعض الأشخاص سعادتهم في الزواج، ولكن هناك البعض من يجدون سعادتهم في العلم.. المال.. العمل.. مساعدة الآخرين في حل مشاكلهم وإضفاء البهجة على حياتهم، لا أحد يعلم كيف تشعر بالسعادة أكثر منك، فاعثر على حلمك وتمسك به.

السعادة هي رحلة وليست محطة تصلها، لا وقت أفضل كي تكون سعيدا أكثر من الآن، فعش اللحظة وتمتع بها، وابحث عن السعادة مهما كلفك الأمر.. بما يرضي ربك!!

باحث أكاديمي

محاولة لرؤية الغد

محمد نشمي كلش

هي المرة الأولى التي ترتجف فيها يداي وأنا أقيس الملابس والتي أصبحت عريضة عليّ، يبدو أني نحفتُ أكثر من اللازم خلال الفترة الأخيرة ولكن سألتقيه غدًا، سأجلس معه ساعة كاملة، لقد اشتقتُ إلى صورة وجهه، أتراهُ نحف هو أيضًا؟!

البارحةَ قال لي وأنا أكلمهُ بالهاتف إنهُ قد سمن قليلًا ولكني أشك في كلامه، هو فقط يريد أن يريحني.. لقد عرفت ذلكَ من خلال صوته المخنوق، وأذكر أني سألته عن حالته، أجابني وكيف يكون حال السجين؟ الملابس بعضها قصرت وبعضها طالت وبعضها أصبح أكثر عرضًا عليّ. منذ ثمانية أشهر لم أجرب أيّ قطعة ملابس منها، فبغيابه عني افتقدتُ الجمال وروح الأناقة.. أريدهُ فقط أن يأتي، أن يفك أقفال السجن ويصبح قبالتي ويقف بجانبي.. ثمانية أشهر مرت عليّ كأنهن مقصلة تقص عنقي وتعدمني حياتي!

العيد الأول مرّ علي وكأنه واحة حزن تسقيني همًا وكآبة، وكلما حاولت أن سأكتبُ له رسالة.. هو دائمًا كان يطلب مني ذلك سابقًا حينما كنت أعجز عن الكلام أمامه، اكتبي لي ما تشعرين به وعندما أراكِ ابقي صامتة ودعيني أستوحي من عينيكِ جمال الحياة.. سأكتب له رسالة. أمور كثيرة تجعلني في حيرة من أمري، لم أعد أقوى على التركيز ولكن كلّ الذي أعرفه أن موعدي معه غدًا، أحاول ألا أتعثر بالأشياء، ألا تنزلق قدماي، ألا تنكسر يداي، شديدة الحرص أنا اليوم، على الأقل فقط كي أراه.. ارتديت أفضل لباس لدي وحملت الرسالة في جيبي واستنهضتُ الطفلين من نومهما باكرًا تحت قصف من عويل وبكاء دون أن يعرفا السبب، أكلمهم كما لو أني أكلم حائط جدار، أسير بهم في الشارع العريض وأنا أراقب بعيني سيارة أجرة وأرى وجوه أهل الحارة تحدق بي، الكل مستغرب، أسمع همساتهم وتعليقاتهم ولكنني غير مكترثة بهم، أعرفهم جيدًا، فنفوسهم مطبوعة على هذه الأمور.

المهم أني سأراه.. فرؤيته اليوم تعادل عمرًا بأكمله!

تنزلني السيارة عند باب السجن، حشدٌ كبير من الناس اجتمعوا أمام نافذة عليها بضع ورقات بأسماء السجناء. الشرطيّ الذي يسجل الأسماء انزلقت من يده كاسة الشاي فابتلت الأوراق وأثارت موجة غضبه فصبها على كل الموجودين حول النافذة، وربما منع أحدهم من الزيارة، وعندما جادله أحد الأشخاص بالكلام أضاف بأن الكل مسؤول هنا، لذلك تؤجل الزيارة ساعة أخرى، صوت بكاء ولديّ أزعج القريبين مني، أحدهم تمتم بكلام لم أسمعه أو أفهمهُ جيدًا.. إحدى العجائز نسيت هويتها فلم تكتب لها زيارة، توسلت إليه طويلًا ثم خرجت من عنده وهي تتمتمُ: دائمًا أصحاب السلطة لسانهم بذيء وتراهم معبئين بعقد نقص كثيرة، لذلك يلجأون إلى الكلام غير اللائق ليظهروا لنا أنهم ذوو شأن عال، أعجبني منطق المرأة المسنة التي بدأت تتحدث مع نساء كثيرات اجتمعن حولها. حاولتُ أن أجد لنفسي مكانًا بينهن إلا أنّ بكاء طفلي جعلني أتراجع عن قراري. قدماي لم تعودا تحملاني والجلوس هنا أمر غير ممكن. أحد الأطفال قدم لولدي بالونًا منفوخًا فتطاير فوق رؤوس الجميع، رفع ولدي يده ونسي بكاءَهُ، تحسستُ الرسالة في جيبي.. إنها بأمان، أخرجها لأراها وأطمئن بأن الكلمات لا تزال عالقة بين الأسطر. الهواجس والقلق يجدان مكانًا داخل عقلي، واضطراب بداخلي يعتريني.. يا الله ما هذه الفوضى؟ ما الذي يحدث؟ لا أدري، الكل من حولي يتراجعون مسرعين وهم يتخبطون ببعضهم.. أصوات تعلو وتهبط وأصواتٌ من شتائم وسباب تُسمع أيضًا على كل الموجودين!

ما الذي يحصل؟ أصرخُ بأعلى صوتي.. لا، أرجوكم ليس اليوم.. ولداي يبدآن ببكاء لا متناهي.. رأيتهم يقبضون على ثلاثة أو أربعة رجال، لا أدري، وبدأوا بضربهم، فخرج مدير السجن حانقًا غاضبًا وصرخ بالموجودين وصوتهُ بالكاد يخرج لأن كرشه الممتد إلى حلقه يكاد يبتلع حباله الصوتية.. نظرًا لسلوك بعض الزائرين غير الأخلاقية وعدم التزامهم بالقواعد والنظام تلغى جميع الزيارات حتى إشعار آخر!

بالله قولوا لي أن هذا الكلام مزاحًا وليس صحيحًا.. بالله قل لي أني لم أسمع شيئًا لا أريد الذهاب.. أريد رؤيته..

ومن بعيد أغلق باب السجن ومن أعلى حائطه ظهر شخصان وهما يسحبان خرطوم ماء إلى الأعلى وبدآ برشّ جميع الموجودين ليبعدوهم.

أمّا أنا فقد بقيتُ مع ولديّ جامدين كتمثال نُصب في وسط الساحة غير مبالين بالماء الذي بللنا.. عندها تراءت لي ريحٌ قادمة نحوي، أنزلتُ الطفلين إلى الأرض.. أخرجتُ الرسالة من جيبي وعندما اقتربت الرّيح طيرتها معها لتقذفها إلى داخل السجن آملةً أن توصلها إلى أعز إنسان لدي!

باحث اجتماعي

غيرة المرأة

علي إبراهيم كشك

الغيرة بين النساء تشتد في مختلف مجالات الحياة في الجمال، العمل، الاستقرار، الوصول إلى القمة، فلماذا تغار النساء من بعضهن البعض؟ ولماذا يلمن إلى النميمة على الصديقات من خلفهن؟ وهل كراهية النساء لبعضهن طبيعة أنثوية أم مرض؟.. كل هذه التساؤلات اجابت عنها كاتبة فرنسية تدعى إليزابيث الكسندر في مجلة ماري كلير فقالت: إن غيرة المرأة تمتد ايضا إلى نساء لا تعرفهن مثل فنانة جميلة أو عارضة أزياء مشهورة فتطلق عليها الشائعات أو تنتقد شكلها بعبارات مثل نحيفة للغاية أو العكس سمينة جدا، وغالبا ما يكون نقد النساء لبعضهن البعض غير موضوعي ومليئاً بالحقد والرغبة في التحقير، فإذا واجهت امرأة وسألتها لماذا تكرهين فلانة؟ تسارع بنفي هذا الأمر وتردد «انها ليست أفضل مني»!

أرجعت الكاتبة غيرة النساء إلى جينات أنثوية داخل كل امرأة تجعلها ترفض ان تكون امرأة غيرها على القمة سواء في العمل، في الجمال، في الزواج، في الثراء... الخ، كما ترجع الغيرة النسائية إلى شعور البعض بقلة الحيلة وضآلة الشأن مما ينتج عنه كراهية الذات.. وترى ان الحل الوحيد لدى المرأة الغيورة من نظيراتها هو ان تصب الغضب الموجود بداخلها على امرأة أخرى سواء بانتقادها والتقليل من شأنها أو محاربتها في مشوار نجاحها في عملها... الخ.

وإذا كان هذا هو التفسير الفرنسي لغيرة النساء من بعضهن البعض، فما التحليل الصحيح لها؟

تقول أستاذة الطب النفسي: إن الغيرة شعور بالضيق مرتبط بزيادة موجودة لدى شخص آخر وغالبا ما ترتبط الغيرة بين النساء بالحقد وتمني زوال النعمة عن الأخرى.

إن إحساس النساء بالغيرة بشكل يكون في بعض الأحيان مرضيًا إلى زيادة درجات التوتر المصاحبة للتغيرات البيولوجية الشهرية والتي تحدث في اثناء الحمل والولادة بالاضافة الى الضغوط النفسية والجسدية في العمل والمنزل.

والغيرة سمة بشرية بدأت منذ فجر التاريخ مع قابيل وهابيل وهي موجودة لدى الرجال والأطفال وهي أمر يمكن علاجه وترويضه باتباع النصائح التالية:

- البحث عن الجوانب الايجابية في حياتك وفي شخصيتك والعمل على تنميتها.
- تحويل المشاكل والتوترات التي تشتعل في ذهنك إلى طاقة مفيدة من خلال ممارسة رياضة ذهنية أو بدنية.
- الابتعاد عن الطمع والنظر إلى ما هو موجود في يد الآخرين.
- وأخيرا والأهم يجب الاهتمام بتنمية الوازع الديني لك ولأسرتك وأن نحمد الله على ما أعطانا.

باحث أسري

قواعد شرعية لتكامل شخصية المرأة المسلمة

يحيى السيد النجار

تناول الخطاب القرآني بعض معالم شخصية المرأة بما يعبر عن حقوقها وواجباتها.. كما أن المرأة في عصر الرسالة كانت تشارك في الحياة الاجتماعية وعنيت آيات القرآن الكريم بالتأكيد على شخصية المرأة وبيان استقلال شخصيتها واختيارها بين الإيمان والكفر، وبيان مكانتها في الأسرة، وأن المرأة سكن للرجل، وبيان التوازن بين حقوق المرأة أو الزوجة وواجباتها وحق المطلقة في العودة للزوج بعد الطلاق.

والإسلام دعم شخصية المرأة ورفع من قدرها وأكرمها وليدة وناشئة وزوجة وأمًا واعتبرها مساوية للرجل في التشريعات والعبادات والمعاملات والحلال والحرام، فكل ما خاطب الله عز وجل به الرجال هو خطاب في نفس الوقت للنساء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

والمرأة ناصرت الدعوة الإسلامية من أول يوم مع السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وكانت أول من آمن بالرسول ﷺ وآزرته وصدقته وواسته بمالها.

وكانت سمية رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام ولم تنطق بكلمة تجامل بها المشركين.. وماتت بروح الإيمان ولم تخف من التعذيب.

والإسلام رد للمرأة حريتها وكرامتها واحترم شخصيتها، والدين الإسلامي أعلى قيمة المرأة، والله عز وجل اصطفى آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة وفاطمة رضي الله عنهما.

وذكر القرآن الكريم قصة بلقيس ملكة سبأ في سورة النمل وعنايتها بالشورى مع رجال دولتها وحسن استقبالها لكتاب سليمان عليه السلام، وبارك القرآن الكريم الشورى وحث عليها.. فما أحوج المرأة المسلمة لوعي ملكة سبأ التي كانت على مستوى راق من الحضارة والفكر والاستجابة للحق وترك العقيدة الخاطئة وهداية قومها إلى الإسلام لله رب العالمين.. وآسية امرأة فرعون نموذج آخر، فقد شاهدت موسى عليه السلام وهو رضيع فوقع حبه في قلبها.. وقالت: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (القصص: ٩) فبقي الطفل حيا.. وكبر موسى عليه السلام في قصر فرعون وقامت أمه بمهمة إرضاعه ولا يدري أحد قصتها، وآمنت آسية بموسى عليه السلام وتعرضت لشتى ألوان العذاب.. لكنها طلبت من الله النجاة من القصر والملك وأعمال الظالمين، وجعلها الله عز وجل نموذجا ومثلا لكل مؤمن ومؤمنة.

ومع إبراهيم عليه السلام كان للمرأة دور في قصة هاجر وهجرة إبراهيم عليه السلام بهاجر وطفله إسماعيل عليه السلام وتركها بواد غير ذي زرع ودعا ربه.. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وفي قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام رؤى تأملية لإعداد الأمة الإسلامية.

والأسرة هي المجتمع الصغير، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١). وقال الرسول ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» (رواه أبو داود)، والمرأة قبل الإسلام كانت مهدرة الحقوق والشخصية فجاء الإسلام ليأمر الرجل بحسن العشرة قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩).

وجاءت القواعد الشرعية في الإسلام لتنعش من شخصية المرأة المسلمة.. لأن الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن والمودة والرحمة والتعاون والصبر والتودد، كما أن في أحكام الطلاق نقاطا تأملية منها:

١- أن ينتظر الرجل فترة طويلة قبل طلاق زوجته لعل الله عز وجل أن يزيل التنافر والتباغض وأن يتحول الكره إلى مودة ورحمة.

٢- الإشهاد على الطلاق والرجعة.

٣- أن يتم الطلاق في جو من المكارمة والإحسان.

كاتب وباحث إسلامي

مشيّدة من العهد المملوكي و تحتضن بدائع التراث العربي

دار القرآن الهلالية في دمشق

محمد مروان مراد

اهتم العرب قبل الإسلام بالكتابة، واستخدموها في شؤون حياتهم كتسجيل العقود والمواثيق التجارية والسياسية، وكذلك في أمور الأدب والشعر ومجالات الحياة الأخرى، ويمدنا الشعر الجاهلي برصيد وافر من الألفاظ التي تدل على أن الكتابة كانت موجودة عند عرب الحجاز، بل ومتطورة، فهناك القلم والقرطاس والدواة، والمداد واللوح، والصحف والرق، والنمنمة والكتاب، وغير ذلك مما له صلة بهذا الشأن.

حمل أهل الحجاز حرفهم خلال رحلة الشتاء والصيف من بلاد الشام، ونقلوه من أبناء عمومتهم الأنباط الذين كانوا قد استعادوه ممن سبقهم من الآراميين، الذين سطروه في جدران معابدهم، وتعلموه وطوروه في دمشق الشام، وبالذات في معبد «حدد» الآرامي الجامع الأموي الكبير اليوم.

نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ في البدء بكلمة: اقرأ، والقراءة تحتاج إلى كتابة، استمدت رفعتها من قسم الله سبحانه وتعالى بالعديد من أدواتها في آيات كريمة عديدة: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، ﴿والطور. وكتاب مسطور. في رق منشور﴾ (الطور: ٢)، ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ (الإسراء: ٥٨) وغيرها.

الفنان المسلم.. ابتكار وإبداع

ساد الإسلام في الأرض، يخرج الناس من ظلام العبودية والتخلف إلى ضياء العز والسؤدد، فارتفعت الكتابة العربية إلى الدرجة السمية، وهي تخط كلمات القرآن المجيد بخطوط جميلة شامخة، وصار الخط العربي معلما بارزا من معالم الإبداع الفني عند العرب المسلمين، لأنه بجانب تعبيره الفني الراقي، يسجل الكلمة المقدسية ذات المعنى، فتتحد فيه الثقافة بالفن، ويصبح من أبلغ وسائل المعرفة للإنسان.

تطور الخط العربي على يد المبدعين المسلمين ليغدو فنا جميلا يحتل مكان الصدارة بين الفنون العربية، وساعد على ذلك ما تتميز به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية، بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة والوصل، وهو ما هيأ لها فرص التنوع والزخرفة بطرق وأساليب مختلفة، وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار والتنوع من أن هذه الحروف كتبت بآلاف الصور والهيئات.. وما من فنان أضفى على حروف الكتابة حياة نابضة بالألق والجمال كالفنان الخطاط العربي، سواء كان ذلك باستلهام الأشكال أو في تحوير الحروف، وكانت الخطوط العربية مجالا لتفنن المبدعين، حفظت هذا التراث، وقدمت شواهد على تطوره، وظلت لوحات تأخذ مكانها في الدور والقصور، كأنيس للروح، ومتعة للوجدان، بما تحمله من معان، وما يضفي عليها الفنان من صياغة وتشكيل يتفق وأصول هذا الفن.

لقد أصبح للخط شأن مهم في التطور والإبداع بظهور ابن مقلة ٣٢٨هـ، إذ استطاع أن يقدم منهجا في الخط وهو النسبة، طول الحرف وانحنائه وانخفاضه، وارتقى بالخط إلى المستوى الفني الجميل، فقيل: الخط المنسوب، كما كتب مصحفين حفظ أحدهما في إشبيلية والثاني في مكتبة بهاء الدين البويهي في شيراز ٣٧٩هـ، وتلاه «ابن البواب» ٤١٣هـ، فاستمر على نهجه، وكتب مصاحف عديدة لم يصلنا منها غير واحد موجود في مكتبة «تشستربيتي» بدبلن، ويقدم لنا فكرة واضحة عما كان عليه الخط حتى ذلك التاريخ.

ولقد تركت لنا حضارتنا الراقية تراثا خالدا من الخطوط نفتخر به، لأن تلك الخطوط تحكي تاريخنا المجيد عبر الأجيال، فمن خطوط العصر الإسلامي الأول، إلى عصر الأمويين، فالعباسيين فالسلاجقة والأيوبيين والمماليك ثم العثمانيين، وكان كل عهد يضيف إلى من سبقه، لتكون المحصلة كنزًا غاليًا لا يقدر بثمن.

كاتب صحفي

مشيدة تاريخية لبدائع التراث

يستطيع زائر دمشق عند طوافه بأحياء المدينة القديمة أن يتتبع الإبداع الفني للخطاط المسلم، والذي لا يزال ماثلا للأنظار في المشيدات التاريخية الباقية، وحرصًا من سلطات الآثار والمتاحف على حماية ذلك الإبداع، وإتاحته للجمهور المهتم وللباحثين، فقد اختيرت واحدة من مشيدات العهد المملوكي، وهي «المدرسة الجقمقية» في حي الكلاسة بجوار الجامع الأموي الكبير، لتكون مقرا لمتحف الخط العربي، وذلك بعد ترميمها، وإحياء معالمها الفنية الجميلة.

تراثنا الأصيل يعود للحياة

خطط المُعلم «سنجر الهلالي» لبناء مدرسة للتعليم الديني، وبدأ بإنشائها في عام ٧٦٠هـ فسميت «دار القرآن الهلالية»، وقد أتم بناءها السلطان الناصر حسن عام ١٣٦٠م لترتفع جدرانها المبنية بالحجارة البلقاء (السوداء والبيضاء) وتغدو ميتما للأطفال و«خانقاه» وحين اقتحم تيمورلنك دمشق عام ٨٠٣هـ أصاب الدمار المدرسة، فقام الأمير سيف الدين جقمق نائب دمشق في عهد المماليك ٨٢٤ هـ بإعادة تشييدها من جديد لتصبح من أهم المدارس الدينية في ذلك العهد، وحين توفيت أمه ووريت فيها، أغدق على فرشها بالبسط الثمينة والقناديل المكفتة بالذهب، وكان ينفق عليها من طاحون في سوق وادي بردى، ولقي الأمير جقمق مصيرا أسود حين أعلن تمرده على سلاطين مصر، فاعتقل وأعدم

تطور الخط العربي على يد المبدعين المسلمين ليغدو فنا جميلا يحتل مكان الصدارة بين الفنون العربية

عام ٨٢٤هـ ليدفن بجوار أمه.

ظلت المدرسة تقوم بدورها بعد تولي خلفه أبي سعيد جقمق الذي أهدى المدرسة مخطوطات ثمينة، من ضمنها مخطوط الدعاء السيفي المتضمن أدعية وأسماء الله الحسنى، وتواصل دور المدرسة التعليمي حتى الأربعينيات من القرن الماضي، حيث تعرضت للدمار خلال القصف الفرنسي لدمشق، وتهدم «حي الكلاسة» حتى قامت مديرية الآثار والمتاحف بتجديدها وترميمها في الستينيات، لتعيد إليها الألق ونبض الحياة.

نموذج جديد للعمارة الإسلامية

يدخل الزائر إلى المدرسة من بوابة مرتفعة في الواجهة الشمالية للمبنى، معقودة بالمقرنصات الفنية وطاستها المظلية، وتحت المقرنصات شريط كتابي يزين جدران البناء وفيه نص طويل، يبتدئ بالاستعاذة فالبسملة فآيات من القرآن الكريم، ثم تاريخ إنشاء المدرسة واسم بانيها سيف أمير المؤمنين، جقمق الدودار المؤيدي، ويجتاز الزائر دهليزا على صحن المدرسة المربع الذي تتوسطه بركة ماء ذات ثمانية اضلاع، وقد استخدمت في بلاط الأرض حجارة ملونة ورخام مزخرف والصحن مسقوف بجسور وألواح خشبية مزينة برسوم نباتية وزهور في غاية الإتقان، وتحيط بالصحن أربعة إيوانات مفتوحة عليه بثلاث قناطر، قائمة على أقواس من الحجارة متناوبة الألوان ومحمولة على أعمدة بتيجان.

وأجمل قاعات المدرسة، هي القاعة المخصصة للصلاة والتعليم، فجدرانها مكسوة إلى النصف بالرخام الملون المزخرف، ويتصدرها المحراب وخزائن الكتب والشبابيك الملونة، وتمتد على النصف الآخر من الجدران شرائط نقشت فيها- بحروف بارزة ومذهبة بخط نسخي متقن- آيات كريمة من القرآن الكريم، تفصل بينها حليات مستديرة من الزخارف النباتية، ويزنر الكتابة إطار من أوراق الزنابق على أرضية زرقاء، وأما القاعة الثانية فتضم تربتي الأمير جقمق وأمه.

ثروة من المخطوطات التاريخية

في قاعة المخطوطات التاريخية الخالدة، تحتضن الجامات الزجاجية، أهم محتويات متحف الخط العربي، منذ عصور ما قبل الإسلام ومرورا بالعهود الإسلامية المتوالية، وحتى العصر العثماني.

١- «نقش النمارة» وهو نسخة جصية عن كتابات عربية نبطية وجدت في النمارة «الواقعة شمال

الصفا والقصر الأبيض في حوران» على قبر امرئ القيس أحد ملوك العرب من لخم، مؤرخة سنة ٣٢٨م، النص الأصلي لهذه النسخة موجود في متحف اللوفر في باريس.

ويتألف النقش من خمسة سطور كتبت بالقلم النبطي ونصه الآتي: «هذا قبر امرئ القيس بن عمر ملك العرب كلهم، الذي حاز التاج، قهر الأسديين ونزار وملوكهم وهزم مذحج القوية، يجزي من أنحاء نجران ومدينة شمر وملك معد وأظهر بنيه على الشعوب، ووكلهم الفرس لصد الروم فلم يبلغ مبلغ ملك مبلغه قوة، ملك سنة ٢٢٣ نبطي يوم ٧ كانون أول (ديسمبر) ليسعد اولاده»، طول ١٧٣/ عرض ٤٢ سم.

٢- جزء من حجر بازلت نقش عليه باللغة السريانية نص مؤرخ سنة ٥٧٦م. وجد في الدير الوسطاني شرق بحيرة العتيبة، الأصل محفوظ في متحف دمشق الوطني.

٣- كتابات عربية منقوشة بالخط الكوفي من القرن الحادي عشر ميلادي، وجزء من لوحة يزينها من الأعلى شريط كتابي منفذ بالخط الكوفي ونصه: «الذي يشفع عنده» والأسفل زخرفي، وجزء من لوحة من الحجر مزينة، بوجهها شريط كتابي بالكوفي: «بن تغلب وكليب وقابور» ونطاق آخر «إنه لا إله إلا هو والملائكة» أما النطاق المكتوب على الظهر فهو من آية الكرسي وهو أيضا بالخط الكوفي ونصه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾.

٤- وفي المتحف بعض الكتابات المنقوشة على الأحجار رقمت بالخط الثلث يعود تاريخها إلى القرنين ١٨ و١٩ العهد العثماني، ومخطوطة ملكية نفذت الكتابة بالحبرين الأحمر والأسود، واستعمل من الزخرفة التذهيب والألوان «باسم السلطان ناصر الدين قاجارشاه، بالخط الثلث ١٥٩٣م ومخطوطة لسان الحكام نفذت كتابتها بالحبر الأسود واستعمل في تزيينها الألوان والتذهيب، ألفها أثير الدين بن الشحنة، تاريخها ١٦١٨م وورقة تحوي حِكَمًا دونت بالخطين العربي والفارسي، ومخطوطة «قنديل حرم» في الغزل، ذات جلد نفيس جدا، وهي بالخط الفارسي، وكتابات كوفية من العهد العباسي على ثلاثة أقمشة تعود للقرنين التاسع والعاشر الميلاديين، إحدى هذه القطع تحمل اسم الخليفة المقتدر بالله بن الإمام المكتفي بالله، وهي مؤرخة ٢٩١هـ/ ٩٠٣-٩٠٤م ومخطوطة يحتوي على سجل مخابرات الحكومة العثمانية في سورية ١٦٣١-١٦٤٤ ومرسوم سلطاني باسم السلطان محمود الأول، زينت أعلاه «الطغراء» ومخطوطة الجزء التاسع من القرآن الكريم بالخط الثلث، أوقفها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي على المدرسة النورية في دمشق سنة ١١٩٢م، والجزء الخامس من القرآن الكريم وهو ذو جلد مذهب وكتابة بالثلث منمقة (القرن ١٤)، ومخطوطة جامعة لكتابين وهما «مرج البحرين في مدح الملكين الناصرين» و«الكواكب الدرية» ١٤م، وهناك ورقة من رق الغزال عليها أربع صفحات مكتوبة بآيات قرآنية من سورة العنكبوت- الخط البديع- مشكولة باللونين الأحمر والأخضر، وكتابة كوفية منقوشة على جلاميد بازلتية يتسم تنفيذها بالبساطة والسرعة، وجدت على جبل أسيس حيث قصر الوليد بن عبدالملك.

يفد الباحثون إلى متحف الخط العربي في المدرسة الجقمقية، لدراسة مقتنياته من الألواح الفنية الأثرية، كما يقصده الزوار من كل مكان في الوطن العربي للتعرف إلى وجه من وجوه التراث الإسلامي المعماري والفني مازال متألقا برغم تقادم السنين.

المصادر

١- مشيدات دمشق ذوات الأضرحة، د.قتيبة الشهابي.
٢- الدراس في تاريخ المدارس، النعيمي.
٣- خطط دمشق، أكرم حسن العلي.
٤- متحف الخط العربي، أكرم قطريب.

أعلام مؤرخي السيرة النبوية

د.بليغ حمدي إسماعيل

بين الخصومة والكراهية والحقد الدفين ومشاعر أخرى سوداء، وبين محبة وشوق وحنين وإخلاص وشعور بالعظمة وإحساس بعبقرية الشخصية استقرت دوافع الاهتمام بسيرة الرسول الأكرم ﷺ، وحسبنا أننا من المشتاقين إليه محبة وشوقًا وغرامًا وشفاعة، ولا أدري ما فائدة عمل خصوم الإسلام عمومًا، ومع الرسول الأكرم ﷺ خاصة واتهاماتهم الزائفة القذرة لرسول رب العالمين.

ولقد طالعت ما كتبه محررو دائرة المعارف الفرنسية لاروس LaRousse عن أشرف الخلق أجمعين بقولهم المغلوط: «بقي محمد مع ذلك ساحرًا ممعنًا في فساد الخلق لص نياق، كردينالًا لم ينجح في الوصول إلى كرسي البابوية فاخترع دينا جديدًا لينتقم من زملائه».

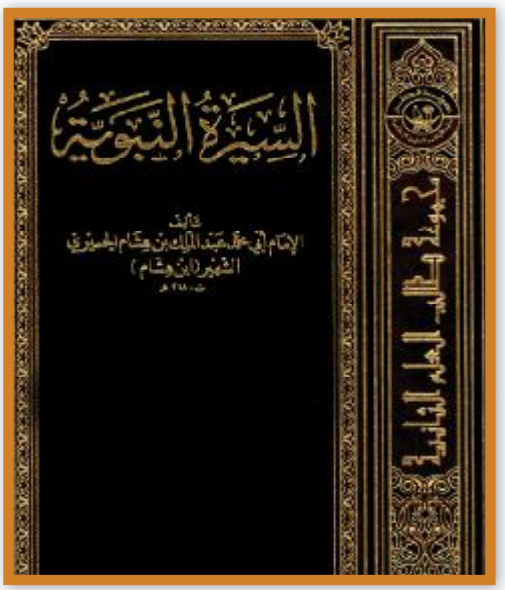

سأترك للقارئ سهولة تأويل ما قرأه، وكأن محمدًا ﷺ طالب في مدرسة يغار من زملائه فأراد الانتقام منهم، منتهى السفه الغربي المغلوط، ويكفينا شرفًا ومنعة أننا وإخواننا من الباحثين الجادين لا ولن نهتم بالرد على مثل هذه الأمور التي يريد الغرب وأعداء الإسلام والحاقدون عليه أن يجرونا إلى هاوية الجدل والعبث الفكري واللغط التاريخي بالرد والمناظرة واستخدام آليات حوار فاشلة سلفًا، لقد اخترنا لأنفسنا دورًا نراه عظيمًا وحسبنا، وهو أننا لا نكتب إلا للقارئ العربي، وعن سيرة المعصوم محمد ﷺ، ومن أراد أن يعرف سيرته فعليه معرفة لغتنا وقبول منطقنا، ومن هنا نبدأ.

فلقد قدمنا الكثير من التنازلات الفكرية والتاريخية للغرب بدعوى حوار الحضارات، وحوار الثقافات، ودعوى الحريات ومزاعم التعرف إلى الغرب، ومالنا وهذا، من يرد أن يعرفنا فليقبل هويتنا الفكرية وآلياتها، والمناحي المميزة لمنطلقاتنا الفكرية. ومن الدوافع لكثير من الباحثين إلى كتابة السيرة النبوية أن هذه السيرة وهذه الحياة مثالية في كل جوانبها على الإطلاق، ففيها القدوة الحسنة، والمثل الأعلى، يقول الله تعالى:﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١).

كما أنه الأعظم والأبلغ تأثيرًا في حياة التاريخ البشري، فلقد تحقق له النجاح الكامل على المستويين الديني والدنيوي، وليس موضوعنا الآن أن نذكر كتابات المستشرقين وعلماء ما بعد البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهادي أمثال وليام ماكنيل وجون ماسرمان، ومايكل هارت، وغيرهم ممن أسردوا ضرورة الحديث عن سيرة الرسول ﷺ الذي أثر في الدنيا والتاريخ والأخلاق والبشرية جميعها.

ويجمع المؤرخون على أهمية الذاكرة الحافظة التي امتاز بها العرب، دون السند والدليل والمنهج العلمي الدقيق الذي يعتمد على الأدوات والمعايير، إلا أننا لا نستطيع أن نختلف في فترة صدر الإسلام وعهود الخلفاء الراشدين، فلاشك أن رجال هذه الفترة هم شهود وحفاظ السيرة، وأعتقد أنه لم تكن هناك حاجة ضرورية تدعوهم لتدوين أحداث ووقائع سيرة الرسول ﷺ لاستغنائهم بالمشاهدة والحفظ، وانشغالهم بالغزوات والفتوحات الإسلامية.

ولقد بدأت حركة التدوين والتسجيل للسيرة النبوية مبكرًا على يد أبان بن عثمان وهو ابن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، وهو من أعلام السيرة النبوية ورواية الحديث الشريف، وقد تتلمذ على يديه كثيرون من كبار المحدثين والفقهاء من أمثال محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وكذلك محمد بن إسحق بن يسار المطلبي، ولكن للأسف قد ضاعت مؤلفاته كما ضاع معظم تراث الإسلام من قبل.

ومن رجال التأليف أيضًا عروة بن الزبير وهو من رجال الطبقة الأولى من كتاب المغازي والسير، وأبوه هو الزبير بن العوام بن خويلد، ولقد شهد عروة الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين، وهي فتنة خلافة عثمان بن عفان وما بعدها، واشتهر أيضًا بأنه أحد فقهاء المدينة السبعة الكبار، وكان قد شغلته السياسة كثيرًا عن طلب العلم، وهو كسابقه لم تصلنا مؤلفاته أيضًا.

ومنهم شرحبيل بن سعد، وهو من كتاب المغازي. ووهب بن منبه وهو من مواليد اليمن وليس المدينة، لذلك فهو مختلف عن الثلاثة السابقين، وكان ثقة واسع العلم، ويعتبر من

أستاذ في جامعة الأزهر

العلماء الموسوعيين الذين تناولوا موضوعات شتى، ويوجد مجلد في مجموعة البرديات الموجودة بمدينة هيدلبرج الألمانية، ويقول عنه المستشرق الألماني بيكر : إنه يرجح أنه يحتوي على قطعة من كتاب المغازي لوهب بن منبه.

ومن رجال التأليف في المغازي والسير الأوائل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وهو من كبار التابعين وأعلامهم، ويعتبره المؤرخون من أعظم مؤرخي المغازي والسير، وإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة المدينة التاريخية، وقد امتاز محمد بن شهاب الزهري عن معاصريه بكثرة الكتابة والتدوين واقتناء الكتب، ولقد ضاع ما كتبه ودونه الزهري بنفسه، وإلى ابن إسحق يرجع الفضل الأكبر في حفظ علم أستاذه الزهري.

وينبغي علينا أن نشير إلى أن الزهري قام ببحث واسع لجمع تراث الرسول ﷺ من أفواه شهوده، ومن هنا تأتي أهمية الزهري في أنه أول من دون الحديث، فهو إذن يمثل مرحلة فارقة حاسمة، وهي مرحلة الانتقال من التراث الشفوي إلى التراث المكتوب بالنسبة للتاريخ الإسلامي. ولكن الذي ينبغي ملاحظته أن هذا الانتقال قد تم داخل ارتباط السياسة والسلطان، فالزهري كان ذا علاقة وثيقة بخليفتين أمويين هما عبدالملك وابنه هشام اللذان قاما برعاية عمل الزهري.

ومن الضروري، ونحن بصدد الحديث عن أعلام مؤرخي السيرة النبوية، أن نشير إلى ابن إسحق بوصفه المصدر الرئيس للسيرة النبوية بصورتها التأريخية، وكل من كتب في السيرة النبوية نقل عنه، ونجد من يطالعنا بأن محمد بن إسحق هو إمام الأئمة والعمدة في ميدانه، وأكبر علماء السير والمغازي على إطلاقهم. وأقوال العلماء فيه حقا مستفيضة، فهو- كما يذكرون- أحد أوعية العلم، وحبر في معرفة المغازي والسير.

ومحمد بن إسحق هو محمد بن إسحق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان المطلبي بالولاء، المديني، نسبة إلى مدينة رسول الله ﷺ، وكان جده يسار من أهل قرية عين التمر بالعراق، وقد وقع في أسر المسلمين عندما قام خالد بن الوليد بفتح عين التمر، وأرسل يسار بن خيار مع غيره من الأسرى إلى المدينة المنورة.

ابن اسحق يعتبر المصدر الرئيسي للسيرة النبوية بصورتها التاريخية وكل من كتب فيها نقل عنه

الأمر المهم الذي نريد أن ندركه هو معرفة أن ابن إسحق أدرك بعض الصحابة ممن طالت أعمارهم.

وكذلك تتلمذ على يد كبار التابعين وعلماء المدينة المنورة، ومنهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، ونافع مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري، وغيرهم.

ورحلة ابن إسحق العلمية معروفة ومنظورة للرائي، والمشهود لنا أن ابن إسحق اتصل برأس السلطة ببغداد ومؤسسها أبي جعفر المنصور، حتى عرف أن كتاب المغازي أو ما شاع ذكره بـ «سيرة ابن إسحق» قد وضعه استجابة لرغبة المنصور وطلبه لابنه محمد الذي عرف بعد ذلك بالخليفة المهدي.

وتجب الإشارة إلى أحد أعلام السيرة النبوية، والذي لم يلق نصيبًا من الشهرة التي لقيها محمد بن إسحق، وهو محمد بن عمر بن واقد، الملقب بالواقدي، وهو مولى من الموالي، ويعتبر الواقدي من أبرز رجال السير والمغازي، ولقد ولد الواقدي بالمدينة المنورة سنة ١٣٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ٢٠٧هـ، ودفن- كما يروي تلميذه محمد بن سعد- في مقابر الخيزران، ومن أشهر من لقيه الواقدي في رحلته طلبًا للعلم مالك بن أنس وسفيان الثوري.

واتصل الواقدي بالخلفاء العباسيين، بداية من الخليفة هارون الرشيد، وتذكر القصة سبب تعارف كل منهما على الآخر، والتي أوردها د.عبدالشافي محمد في كتابه الماتع «أوائل المؤلفين في السيرة النبوية» أن أمير المؤمنين هارون الرشيد لما حج في أول عام من خلافته سنة ١٧٠هـ، قال ليحيى بن خالد البرمكي : ارتد لي رجلًا عارفًا بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبريل، عليه السلام، على النبي ﷺ، ومن أي وجه كان يأتيه، وقبور الشهداء، فطفق يحيى يسأل عن الرجل الذي تتوفر فيه تلك الصفات التي طلبها وحددها هارون الرشيد، فدله الناس على الواقدي.

وكان الواقدي غزير الإنتاج، كثير التأليف، فله أكثر من أربعين كتابًا في المغازي والسير والتاريخ، وهو الأمر الذي يزيدنا غموضًا في عدم ذيوع شهرته كسابقه ابن إسحاق، وربما اتصاله بالبرامكة هو الذي جعل شهرته ومكانته في العصور التي تليه تقل وتخفت، لكننا نرى أن الواقدي أكثر دقة من الناحية المنهجية والعلمية في تناول الأحداث التاريخية عن ابن إسحق وابن هشام، فهو يحاول أن يتحرى الدقة في المعلومات التي يوردها في نصه، عن طريق أقارب وأصحاب وأتباع وتلاميذ الشخصيات الواردة بكل حادثة يذكرها.

وكانت كتب الواقدي مصدرًا أصيلًا لكل المؤرخين الذين جاءوا بعده، فما من مؤرخ إلا واقتبس من كتبه، ولكن لسوء الحظ ضاعت معظم هذه المؤلفات العلمية العظيمة التي خلفها، ولم يبق من كتبه سوى كتابي فتوح الشام، والمغازي، ومع الواقدي أصبح الاعتماد أساسًا على المكتوب، وهذا ما يؤكده مترجموه من أنه كان يمتلك مكتبة بها آلاف الكتب وغلامين يكتبان الليل والنهار.

ولعلنا أكثر تحمسًا للواقدي عن ابن إسحق، رغم شهرة الأخير بين العامة والعموم والسواد، لأنه أكثر إخبارًا عن سيرة الرسول ﷺ في المدينة، وهو أميل في إخباره إلى الفقه والحديث من ابن إسحق، وهو- أحيانًا- يرجع إلى مادة علمية مكتوبة في صحف رآها واعتمد عليها، كما أنه يمتاز عن سابقيه بالدقة في تعيين تاريخ الحوادث، ويكفي الواقدي فخرًا وشرفًا أن الإمام مالك بن أنس كان يثق في رواياته، بينما كان لا يثق في روايات ابن إسحق، وقد لقبه الفقيه محمد بن الحسين الشيباني، من فقهاء الحنفية، بأمير المؤمنين في الحديث.

د. مرزوق العمري

نسبه: هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي الجزائري، فوالده هو الشيخ صالح بن أحمد الوغليسي، وقد كان عالما من العلماء.

قال عنه الزركلي في الأعلام بأنه: فاضل من الجزائر قدم إلى دمشق ومن آثاره رسالة في غرائب الخلاف بين الأئمة (١) وينتهي نسبه إلى السيد عبدالله الكامل بن السيد الحسين المثنى بن السيد الحسن السبط بن الإمام علي رضي الله عنه. ونتيجة لمضايقات تعرض لها السيد عبدالله الكامل رحل إلى بلاد المغرب وكان له خمسة أبناء وولد سادسهم في المغرب وهو إدريس ومنه الأدارسة الذين عاد بعضهم إلى المشرق وبقي بعضهم في المغرب، ومن الذين بقوا في بلاد المغرب تتحدر أسرة الشيخ طاهر التي هاجرت إلى الشام في القرن ١٣هـ/١٩م. وقد كانت هجرتها إلى المشرق سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م (٢). والسمعوني نسبة إلى بني سمعون وهي القرى التي كانت تسكنها عائلة الشيخ طاهر وتقع بضواحي مدينة بجاية في الجزائر.

هاجر قسرياً من الجزائر إلى الشام لاعتبار ديني بالدرجة الأولى

الشيخ طاهر الجزائري داعية الإصلاح في بلاد الشام

كانت هجرة عائلة الشيخ طاهر الجزائري إلى المشرق واختيار ديار الشام تحديدا محل دراسة عند المؤرخين، من خلال تركيزهم على ظاهرة الهجرة ودوافعها والديار التي كان يهاجر إليها الجزائريون، أما عن ظاهرة الهجرة فقد كانت طبعا إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويفهم من هذا أن سببها السياسة الاستعمارية التي حرمت الجزائريين من كل حقوقهم، الأمر الذي اضطر الكثير منهم إلى الهجرة، يقول د.أبوالقاسم سعدالله: «امتاز عهد بيجو (١٨٤١/١٨٤٧) بتهجير من نوع آخر لأعيان الجزائر، وهو النفي والطرد خارج الوطن، فقد حكم على كل مشبوه وكل زعيم سياسي أو إداري من الجزائريين لم يتعاون صراحة مع العدو، وأجبره على مغادرة وطنه وعائلته» (٣).

ندرك من خلال هذا أن الهجرة كانت تهجيرا قسريا وليست هجرة اختيارية، وقد امتازت هجرة الجزائريين في القرن التاسع عشر بكونها هجرة إلى بلاد المشرق بدل أوروبا أو أميركا، وذلك لاعتبار ديني بالدرجة الأولى، أي أنها كانت فرارا بالدين، يقول الأستاذ سهيل الخالدي: «لو سألت أحد الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي- القرن ١٩ - لم تتوجه إلى المشرق بينما غيرك يتوجه إلى أميركا بحثا عن الرزق والأمن والفرص؟، لربما قال لك بأنه يكفيه أن يعيش في أرض الإسلام ويساكن أهل العروبة، إذ معهم الرزق والأمن والفرص» (٤).

وقد كانت هجرة عائلة الشيخ طاهر الجزائري إلى بلاد الشام سنة ١٢٨٥هـ/١٨٤٦م، أي أنها كانت قبل هجرة الأمير عبدالقادر، وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيخ عبدالفتاح أبوغدة الذي ذكر أن هجرة والده كانت مع الأمير عبدالقادر (٥) ومادام أنها تمت في هذه الفترة يرجح أن هذه العائلة تعرضت للتهجير الذي مارسه الجنرال بيجو على الجزائريين والذي تمت الإشارة إليه، بل هذا ما يؤكده د.أبوالقاسم سعدالله حينما يذكر الفئات التي خضعت للتهجير على عهد بيجو أنها تمثلت في: الأعيان والقواد، والعلماء، ويذكر أن الشيخ صالح السمعوني والد الشيخ طاهر كان أحد هؤلاء (٦).

مولده ونشأته

قصدت عائلة الشيخ طاهر بلاد الشام واستقرت بدمشق التي ولد بها الشيخ طاهر ليلة الأربعاء ٢٠ ربيع الأول سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م وبها تعلم على أيدي علماء كبار كان في مقدمتهم والده الشيخ صالح السمعوني

كاتب وباحث إسلامي

الذي بذل في سبيل تربيته وتعليمه جهدا كبيرا، ثم التحق بالمدرسة الجقمقية (٧) الابتدائية وفيها تتلمذ على يد علماء مثل الشيخ عبدالرحمن البستاني الذي أخذ عنه العربية والفارسية والتركية، ثم اتصل بشيخ عصره عبدالغني الغنيمي الميداني (١٢٢٢هـ/١٢٩٨هـ) وهو فقيه أصولي نظار، قال عنه المؤرخ محمد كرد علي بأنه كان: «على جانب عظيم من التقوى والورع، يمثل صورة من السلف الصالح، فطبع الشيخ طاهر بطبعه، وأنشأه على الأصول العلمية الدينية، وكانت دروسه دروسا صافية المشارب، يرمي فيها إلى الرجوع بالشريعة إلى أصولها والأخذ من آدابها بلبابها، ومحاربة الخرافات، وإنقاذ الدين من المبتدعين والوضاعين» (٨).

وقد درس عليه حاشية السعد التفتازاني، والتلويح على التوضيح لصدر الشريعة رحمة الله عليهما، كما درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية، وما إن بلغ الثلاثين حتى أتقن أكثر لغات الشرق مثل: التركية، الفارسية، السريانية، العبرية، الحبشية، العربية، والأمازيغية لغة أهله الأصلية، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية كلغة غربية (٩).

وهذه الموهبة وهذا النبوغ جعلاه يحظى باحترام الكثيرين، وصار يشهد له بغزارة العلم تحصيلا وإنتاجا، يقول المؤرخ محمد كرد علي: «كان متضلعا في علوم الشريعة، وتاريخ الملل والنحل، منقطع القرين في تاريخ العرب والإسلام، وتراجم رجاله ومناقشات علمائه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميهم، وكان إماما في علوم اللغة والأدب، وهو هكذا في علوم الشريعة لاسيما في التفسير والحديث والأصول إنه خزانة علم متنقلة» (١٠)، ولا أدل على ذلك من الكتب الكثيرة التي تركها والتي توزعت على مختلف الفنون والعلوم الإسلامية.

شخصيته:

أما عن شخصيته فجل الذين ترجموا للشيخ طاهر الجزائري ذكروا أنه اتصف بكل مواصفات الشخصية القوية من حدة ذكاء، وغزارة علم، ورهافة حس، وعلو همة، بالإضافة إلى القوام البدني، فاهتموا بمختلف صفاته الخلقية والخلقية على حد سواء، فعن صفاته الخِلقية فقد وصف بأنه حسن الطلعة، واسع الجبهة، معتدل القامة، حنطي اللون، كث اللحية، أسود الشعر والعينين، سريع الحركة، كما أنه وصف بعصبية المزاج وهذه عموما صفات الفرد الجزائري، كما أنه عاش ومات دون أن يتزوج، وقد اعتبر مترجموه عدم ارتباطه بالأسرة هو الذي جعله يعطي عمره كله للعلم فتفرغ له بشكل كلي، كما أنه كان يتساهل في مظهره ولا يأبه للتأنق، وكان يحب السباحة والسياحة والمشي على الأقدام رياضة، وكان لا ينام إلا قليلا فيقضي ليله سهرا ويواصله بالنهار بحثا ودراسة وتعليما.

وكان حريصا على اغتنام وقته والانتفاع به، وقد اغتنم عمره في طلب العلم ونشره وهذا ما جعله يدمن على شرب القهوة حتى يجافي النوم ما أمكنه ذلك، ومن مظاهر حرصه على طلب العلم أنه كان يحمل بعض الكتب التي تعتبر كتب جيب ليقرأ حيث تتيسر له القراءة كي لا يضيع شيء من وقته، وفي هذا يقول أحد تلامذته: «كان لا يذر مزاولة العلم في كل وقت وحين ما بين تصنيف وتنقيح، أو بحث وتنقيب، أو مذاكرة ومطالعة، وإذا استحسن كتابا يعاود مطالعته مرارا عديدة» (١١) وعلى الرغم من هذا الإدمان على المطالعة فقد أثر عنه أنه كان ينصح غيره بالإقلال من القراءة أيام العطلة والإكثار من الرياضة والتنقل في الحدائق؛ ذلك أن الانعكاف على الكتب يحبب الوحشة والانعزال إلى النفس عن الناس، فتصبح نفورا من كل جليس (١٢) مما اشتهر به أيضا طيب الكلام فكان لا يتفوه بما ينبو عنه السمع أو يبادر إلى هجر أحد وهذا على الرغم من حدة طبعه كما سبقت الإشارة، فقد كان: «لا يعرف الهجر، ولا يسب سبا قبيحا، هذا مع حدة ظاهرة فيه إذا صفا ذهنه تفصح عبارته في محاضرته، وإلا فيعتريها شيء من اللكنة المغربية ممزوجة بالعامية الدمشقية، ولم

موهبة الجزائري ونبوغه جعلاه يحظى باحترام الكثيرين وقد شهد له أحد المؤرخين بغزارة العلم تحصيلا وإنتاجا

يجر لسانه بجملة واحدة باللهجة المصرية مع أنه أقام في مصر أعواما كانت تكفي لتقلب فيه اللهجة الشامية إلى اللهجة المصرية، وله تعبيرات خاصة وأساليب في مصطلحاته، ونبراته لطيفة تحلو من فمه، وما أحصي عليه أن نطق يوما بفحش أو هراء أو سب، أو استعمل ما ينافي الأدب ويقدح في المروءة، ويمزح ويتندر أحيانا» (١٣).

مما اتصف به الشيخ طاهر الجزائري صداقاته الكثيرة، فإيمانه بالعلم وضرورة تبليغه جعله يقدم العلم لطالبه مهما كان جنسه أو معتقده، وهذا الذي جعله يعقد صداقات كثيرة مع غير المسلمين بمن فيهم كبار المستشرقين في العصر الحديث من أمثال: مرغليوث، وجولدزيهر، وحتى بعض اليهود والنصارى، بالإضافة إلى علاقاته بالمسلمين من مختلف المذاهب والفرق.

آراؤه

وقد كان لهذه المواصفات التي حباه الله بها، ثم لعلمه الغزير الأثر الجلي في مواقفه وآرائه في مسائل كثيرة، تلك الآراء التي تعتبر حكما تلخص لنا تجربة الشيخ طاهر في ميادين الحياة كلها؛ فمثلا عن سر النجاح والإخفاق في الحياة كان يقول: «إذا أردتم النجاح فلا تلقوا بآذانكم لما يقال فيكم من مدح وقدح، وسيروا إلى الهدف بخطى ثابتة تفلحوا، واتقوا إضاعة الوقت

بالقال والقيل... وفي هذا عمل بحديث النبي ﷺ الذي نهى فيه عن القيل والقال، بل كان الشيخ طاهر يرى أن رضى الناس جميعا على الإنسان نقيصة وليست ميزة تحسب له؛ لأن الذي أدرك رضى الناس لا يعدو أن يكون منافقا لعوبا»، لذا كان يقول: لو بلغني أن أهل البلد كلهم راضون عني، ليس لي منهم عدو لعددت نفسي ساقطا؛ لأن من يرضى عنه كل الناس لا يكون إلا خداعا منافقا، يظهر لكل واحد بما يرضيه، والمصلح لا يخلو من أعداء وأصحاب...، وبخصوص مطابقة السر للعلانية في حياة الفرد كشرط من شروط النجاح والاتزان نجده يقول: إياكم أن تخطوا في رسائلكم إلى إخوانكم ما لا تريدون أن تقولوه جهرة، فكل ما يكتب لا يؤمن نشره، يفتضح به صاحبه فيؤذيه ولا ينفعه (١٤).

وعن العلم وأهميته وحاجة الإنسان إليه في كل الأحوال يدعو إلى ضرورة تعلم العلم مهما كان، حتى وإن كان الإنسان لا يدرك نفعه في العاجل، ولذلك عليه أن يتعلم من العلم ما أتيح له فيقول: تعلموا ما تيسر لكم تعلمه ولو لغة مالطة، فقد يجيء زمن تحتاجون إليها وإياكم أن تقولوا: إنها لا تدخل في اختصاصنا، فالعلم كله نافع والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة... ومما كان يحث عليه أن لا يبقى أهل العلم ينتظرون منصبا أو وظيفة يعتمدونها في معاشهم بل كان يرى أن يتعلموا إلى جانب العلم الحرف التي يحصلون بها العيش الكريم فيقول: تعلموا العلم لله ولفائدة العلم ولذته، وليكن لكل واحد منكم صناعة أو تجارة، أو زراعة تعيشون منها أحراراً حتى لا تحتاجوا إلى قرع أبواب الملوك والحكومات، فإذا احتاجوكم نادوكم، وإلا فأنتم بما لكم من أسباب المعايش لا تحتاجونهم (١٥). وفي مجال الإصلاح والعمل النهضوي يرسم الشيخ طاهر نظرة متميزة في كيفية الخروج من دائرة التخلف واللحاق بالأمم المتقدمة، هي ذات الطريقة التي صارت تعرف في الكتابات المعاصرة بالطريقة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة فيقول: إن أفضل الطرق في إنهاض شعب تثقيفه بثقافة العصر، وثقافة الدين، وهذه طريق طويلة ولكنها أمينة الفائدة لا تخرج عن طريق النشوء الطبيعي، أما القول بالتوارث وطرق العنف فقد تنجح، ونجاحها قليل وليست مضمونة... وكان يرى أنه من شروط نجاح العمل النهضوي الاقتباس والأخذ عن الأمم المتقدمة فيما ينفع وعدم الانغلاق على الذات فيقول: إن الاقتباس عن الأمم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من أن في الاقتباس غضاضة. ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الأمور النافعة (١٦).

جهوده الإصلاحية

هذه المواقف وهذه الآراء للشيخ طاهر الجزائري لاشك أنها تنم على سعة الأفق وغزارة العلم، وعمق التجربة، والتوازن في الموقف، وهذه خصائص العلماء العاملين، وهو أحدهم، فكل الذين ترجموا له يوردون ذكره على أنه أحد رجالات الإصلاح في بلاد الشام في العصر الحديث. ولهذا نجد د.أبا القاسم سعدالله في حديثه عن دور المهاجرين الجزائريين في النهضة العربية في بلاد الشام يذكر إلى جانب الأمير عبدالقادر وأسرته الشيخَ طاهر الجزائري فيقول: «لم تكن أسرة الأمير وحدها في الميدان، فقد ظهرت إلى جانبها أسماء لامعة من المهاجرين ساهم أصحابها في عدة ميادين تهم القضية العربية، ومن أبرزهم بلا منازع الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المعروف بالطاهر السمعوني، فقد كان لهذا الشيخ فضل كبير في بعث الثقافة العربية، وتكوين جيل من الأدباء والمفكرين والسياسيين بالإضافة إلى دوره في حزب اللامركزية وإنشائه، وإدارته لعدة مؤسسات مثل: المكتبة الظاهرية» (١٧).

من هنا ندرك أن الجهود الإصلاحية للشيخ طاهر كانت متنوعة ولكن المجال الذي طغى على هذه الجهود هو مجال التربية والتعليم والذي توزع بين التدريس، والتفتيش، وإنشاء المدارس والمكتبات، وإنشاء الجمعيات الخيرية، وتأليف الكتب والكتب المدرسية خاصة، والانخراط في المجامع العلمية، بالإضافة إلى الندوة الفكرية التي كان يعقدها في أواخر حياته، والتي كان يؤمها نخبة من المفكرين والعلماء.

الهوامش

١ - خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط ٥ (١٩٨٠)، ج٦، ص١٦٥.
٢ - انظر الترجمة التي وضعها له محمد الصالح الصديق، في كتابه الجواهر الكلامية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، بلا تاريخ، ص١١.
٣ - أبوالقاسم سعدالله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي ص٤ (١٩٩٢)، ج٢، ص١٩٨.
٤ - سهيل الخالدي نقلا عن أبو القاسم سعدالله الحركة الوطنية الجزائرية، ص١٩٢.
٥ - انظر الترجمة التي وضعها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، في كتاب توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ج١، ص١٦.
٦ - أبوالقاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص١٩٥.
٧ - نسبة إلى نائب دمشق سيف الدين جقمق.
٨ - مقال من الإنترنت بعنوان: الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، انظر موقع: www.isLamweb.net.
٩ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣)، ص١١.
١٠ - انظر موقع : www.islamweb.net.
١١ - نقلا عن الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، انظر توجيه النظر، ج١، ص٢٢.
١٢ - أنور الجندي، نقلا عن الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، توجيه النظر، ج١، ص٢٢/٢٣.
١٣ - انظر الترجمة التي وضعها الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، توجيه النظر، ج١، ص١٩.
١٤ - محمد الصالح الصديق، الجواهر الكلامية، ص٢١.
١٥ - المرجع نفسه، ص٢١/٢٢.
١٦ - المرجع نفسه، ص٢١.
١٧ - أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط١ (١٩٩٦)، ج٤، ص١٩٨.

الأمن الدوائي.. مخاطر الأدوية المغشوشة

د.ناصر أحمد سنة

تتعدد مجالات «الأمن الدوائي» من حيث توفير الكميات الكافية من الأدوية والمستحضرات الطبية في الوقت المناسب، ولفترات مستقبلية وبكميات تكفي الاستهلاك، هذا فضلًا عن جودة وكفاءة وفاعلية هذا المنتج والمستحضر الدوائي، لذا فمخاطر انتشار الأدوية المغشوشة والمُهربة أكثر تهديدًا وخطورة من توفر الدواء.. أي دواء.

يقصد بالأدوية المغشوشة والمُهربة «أدوية ومنتجات دوائية يُتعمد تغيير محتواها بقصد التربح غير المشروع، كما تصل إلى يد المريض عبر قنوات وأساليب غير شرعية، ويتم تغيير محتواها عبر الاحتيال سواءً في تركيبها (مكوناتها الحقيقية أو غير الحقيقية)، أو موادها الفعالة، كافية أو غير كافية، أو مزيفة، أو دون مواد فعالة على الإطلاق، كذلك يتم الاحتيال في هويتها: اسمها- مصدرها- تاريخ انتهاء صلاحيتها، أو وضعها في عبوات مزيفة أو ملوثة».

أما الأدوية المقلدة فتأتي عن طريق السطو على علامة تجارية لدواء أو مستحضر مشهور، يحوي بعض المواد الفعالة سواء أكانت كافية أم غير كافية.

حجم المشكلة عالميًا

مع زيادة حركة البضائع والمسافرين والتجارة الالكترونية عبر شبكة الانترنت، توغلت هذه الظاهرة في دول العالم أجمع، ولقد دقت منظمة الصحة العالمية ناقوس الخطر بشأن الانتشار السريع لتلك الأدوية المغشوشة والمهربة، وهي تقدر حجم السوق العالمية لهذه الأدوية بحوالى ٢٠٠ مليار دولار، وتشير إلى أن حوالى ١٠٪ من مجمل الأدوية المطروحة للبيع في العالم يمكن أن تكون مغشوشة، كما أن ٧٠٪ من هذه الأدوية تضبط في الدول النامية (٣٥٪- ٤٨.٧٪ في دول آسيوية، وفي الدول الإفريقية بنسبة ١٨.٧٪،

وبعض الدول الأوروبية بنسبة ١٣.٦٪)، ويصل حجم التجارة السنوية إلى٣٥ مليار دولار.

كما تؤكد الإحصاءات الدولية على أن الأدوية المغشوشة على مستوى العالم تتراوح بين ١٠-٣٠٪ في الدول التي أنظمتها الرقابية ضعيفة أو متوسطة، وتكون أقل من ١٪ في الدول التي لديها أنظمة رقابية صارمة.

وفي عام ٢٠٠١م أشارت مجلة بزنس ويك إلى أن ٨٪ من حجم الأدوية المستوردة إلى الولايات المتحدة إما مغشوشة أو غير مسجلة أو ذات مستوى جودة منخفض، وفي الفلبين فإن ٨٪ من الأدوية التي يتم شراؤها بوصفات طبية تعتبر مغشوشة، أما في كمبوديا وجد أن ٦٠٪ من وكلاء الأدوية يبيعون أدوية الملاريا التي لا تحتوي على أي مادة فعالة، وفي إحدى الدراسات وجد أن ٤٨٪ من الأدوية تم فحصها في نيجيريا مخالفة لمواصفات دستور الأدوية البريطاني.

وتشير بعض الأرقام إلى أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تنتج نحو ٧ ٪ من الإنتاج العالمي من الأدوية المغشوشة، وحسب إحصائيات المنظمة فإن سوق الأدوية المهرّبة تحرم القارة السمراء من حوالى ٢,٥ ٪ من إيراداتها السنوية.

عربيًا.. تعاني معظم الدول العربية بنسب متفاوتة من هذه المشكلة، بسبب رخص أسعارها مقارنة بالأدوية الأصلية، ففي اليمن- على سبيل المثال- تشير مقابلة أجرتها صحيفة «سبتمبر» في مايو ٢٠٠٤م مع مسؤولي الجمارك وتجار الأدوية إلى خطورة وكبر حجم مشكلة تهريب الأدوية المزورة والمغشوشة، كما تعاني مصر من الحجم الكبير لهذه الأدوية التي تتباين أرقام حجم تجارتها السنوية.

أنواع الأدوية المغشوشة والمُهربة

- أدوية موجودة ومعروفة ومستخدمة مسبقا، وأيضا أدوية مستحدثة مزيفة.
- المسكنات بكافة أنواعها.
- أدوية الأوبئة والطفيليات (الملاريا).
- المضادات الحيوية.
- هرمونات البناء.
- أدوية الجنس.
- أدوية التنحيف.
- الأدوية النفسية.
- أدوية القلب والشرايين، والسكر

أكاديمي مصري

والضغط.

- بالإضافة إلى أدوية علاج أنفلونزا الطيور حديثًا.

- أدوية بيطرية تباع كأنها عقاقير للبشر.

- الأدوية الأغلى ثمنًا.

مخاطر وأضرار صحية

- تتراوح بين قلة فاعليتها علاجيًا إلى عدمها، فثمة أدوية من دون أي فاعلية، وأدوية بفاعلية ضعيفة (نصف المادة الفعالة)، فعلى سبيل المثال غش المضادات الحيوية يقوي الميكروب المسبب للأمراض ويضر بالمريض، فيجعله عرضة للإصابة المتكررة، كذلك المرضى المصابون بالصرع يتعين على الأدوية التي يتناولونها أن تسيطر على هذا المرض وتمنع حدوث نوبات الصرع، إلا أن الدواء المزيف لا يأتي بهذه المهمة، كذلك مرضى القلب الذين يحتاجون لأدوية مميعة للدم والتي من المفترض أنها تسيل الدم بدرجة كافية، إلا أن الدواء المغشوش يأتي بنسبة تميع أقل من الحد المطلوب مما يسبب زيادة نسبة حدوث التجلطات لدى هؤلاء المرضى، مؤخرًا.. انتشرت ظاهرة تسويق أدوية لعلاج الضعف الجنسي عبر الانترنت بأسعار أرخص من سعرها المحدد في الصيدليات، وهي بالتالي تكون غير فعالة ويمكن أن تسبب تأثيرات جانبية خطيرة على صحة الفرد.

- مرضى تليف الرئتين والأزمات الرئوية الحادة يحتاجون لتناول أدوية الكورتوزون، والتي إن كانت مغشوشة فإنها ستعرض المصاب إلى مرحلة متقدمة من المرض وتليف شديد في الرئتين وفشل الجهاز التنفسي، إضافة إلى الإصابة بأعراض الكورتوزون الجانبية، منها زيادة الوزن وارتفاع ضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر في الدم، والتهابات وتقرحات المعدة.

- أدوية تحوي مواد شبيهة بالدواء الأصلي، وأدوية شبيهة التركيب وهو أكثر ضررًا على المريض، وقد تؤدي إلى

هناك أضرار جسيمة لحقت بالصيدليات جراء توفر الأدوية المغشوشة

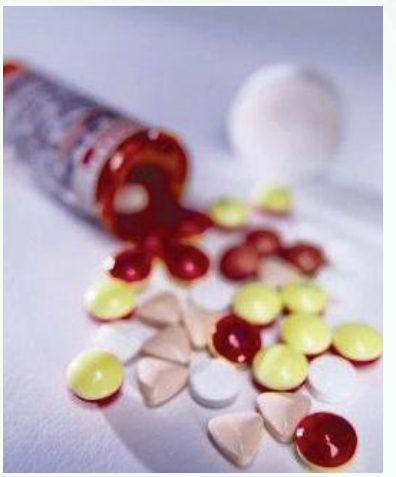

الإصابة بالتسمم، أو بعاهات مستديمة، أو تتسبب في الوفاة.

يشار إلى انه في وباء للحمى الشوكية في نيجيريا عام ١٩٩٥ أصيب أكثر من ٥٠ ألف شخص كانوا قد تناولوا تحصينًا مغشوشًا ضد المرض مما أدى إلى وفاة ٢٥٠٠ مصاب منهم، وفي نفس العام توفي ٩٨ طفلاً في هايتي و٣٠ طفلاً في الهند نتيجة تناول دواء مغشوش بمادة سامة لعلاج الكحة، وفي كمبوديا توفي ٣٠ شخصًا عام ١٩٩٩ بعد تناول دواء مغشوش لعلاج الملاريا، إضافة إلى وفاة عدد من السيدات الحوامل في الأرجنتين عامي ٢٠٠٤ -٢٠٠٥ بعد تناولهن دواء مغشوشًا.

- بعض الأدوية المغشوشة بدلًا من غشها بالنشا تم استبداله بـ «الأسمنت الأبيض» الذي يسبب تخرشات أو تقرحات في الجهاز الهضمي، كالمريء والمعدة والأمعاء، فتسبب آلام الصدر والبطن، كما أنه قد يسبب التهابات المجاري البولية وتكوين حصوة وفشل كلوي.

- قد تكون الأدوية المزيفة غير معقمة بصورة جيدة فتسبب التهابات معوية بالجراثيم، مما يصيب الفرد بأعراض عدة، منها آلام البطن والإسهال وأحيانا الغثيان والقيء.

- من الأدوية المغشوشة التي لاقت إقبالًا شديدًا هرمونات بناء العضلات وتقويتها وزيادة تضخمها وتحملها- خاصة في المسابقات والمنافسات الرياضية- ويؤدي استعمالها إلى أمراض الكبد والصفراء وزيادة الكوليسترول واختزان الماء، وغزارة شعر الوجه، وأعراض الاسترجال في النساء.

- أدوية التخسيس، ضبطت مستحضرات منها تحتوي على الأمفيتامين، وهو مادة منشطة بالمداومة على استعمالها قد تسبب الإدمان، كذلك وجدت مستحضرات للتخسيس تحتوي على هرمونات الغدة الدرقية، واستمرار تناولها يؤدي إلى أعراض التسمم الدرقي، والإصابة بالذبحة الصدرية، وفشل القلب في مرضى القصور الدموي لعضلة القلب.

- مستحضرات ومواد التجميل المغشوشة والمهربة، منتهية صلاحيتها وغير مطابقة للمواصفات القياسية تركيبًا وتغليفًا وحفظًا وتخزينًا...الخ، فتفسد وتتحلل فتصبح ضارة بالجسم والبشرة وتسبب مشكلات جلدية.

أضرار اقتصادية

- هناك أضرار جسيمة لحقت بالصيدليات جراء توفر الأدوية المغشوشة، مثل زعزعة الثقة بين المريض والصيدلي الذي وقع على كاهله بيان ما يجري للمريض.

- تضر بالصناعة الوطنية والاقتصاد القومي للبلاد، فستنزف الموارد المالية للبلد المستهدف، لأنها تعتمد على فرق دعاية تروج لهذه الأدوية المهربة التي يتم شراؤها من التجار وعصابات المافيا بأسعار رخيصة، ثم تباع بأضعاف السعر، مدعين أنه أفضل من المنتج المحلي، كما

قد يُروج للدواء في عيادات الأطباء.

- البذخ في الدعاية والخصومات والهدايا العينية والسحب والجوائز...الخ، فالدواء مسعر جبريًا، وتقديم خصومات يتنافى مع آداب المهنة، لأن معنى ذلك أنه يأتي بدواء مغشوش بأقل من السعر المعتمد، في حين أن هامش الربح محدد بـ١٥٪، ولكنه عندما يعطي خصمًا ٥٪ فإن هذا يدل على قيامه بترويج وبيع الدواء المهرب.

كيف تتعرف على الدواء المغشوش؟

- الوعي الصحي قبل شراء أي دواء، حيث يبادر الفرد بالسؤال، ليس عن السعر، بل عن المصدر والمصنع للدواء حتى لو كان الفرد ممن يعاني من الأمراض المزمنة كالسكري والضغط، ويتناول الدواء منذ سنوات فإنه دائم السؤال عن قوة الشركة المصنعة وموطنها والآثار الجانبية للدواء وفعاليته.

- بالفحص الجيد للعبوة الداخلية والخارجية وتعبئة الدواء، والتأكد من بلد المنشأ والشركة المصنعة وتاريخ الصلاحية ورقمي ترخيص الشركة المصدرة والمستوردة للدواء، فقد يتبين اختلاف رقم التشغيل الموجود على العلبة الخارجية وبين الملصق على العبوة، إلى جانب الألوان الباهتة على العلبة الخارجية، كذلك ضعف مستوى الطباعة على الملصقات والأشرطة الداخلية لعبوة الدواء أو خارجها.

- عند وجود أكثر من مصدر يوزع الدواء نفسه على الصيدليات.

- العودة إلى الصيدلي والطبيب المختص في حالة الشعور بالقلق من دواء معين.

كيف يمكن التصدي لهذه المشكلة؟

- التركيز على الدور الإعلامي وزيادة توعية المواطنين بخطورة الأدوية والمستحضرات المغشوشة والمزورة والمهربة.

- عند استخدام الدواء لأول مرة ينبغي استشارة الطبيب المعالج للمقارنة بين شكل الدواء وتغليفه ومفعوله.

- التزام قاعدة الحذر لدى شراء أي دواء، إلا من صيدليات مرخصة، والحذر من شراء أدوية تباع في التنزيلات بأسعار رخيصة، والحذر كذلك عند شراء أدوية من خلال الانترنت، حيث يصعب التمييز بين المغشوش منها والأصلي لتشابه الشكل والتغليف.

- التحكم والسيطرة على دخول الأدوية، وذلك بتحديد منافذ جمركية معينة لدخول الأدوية، وتعيين صيادلة مؤهلين للعمل بالمنافذ الجمركية ومراقبة

السوق، وذلك بالتفتيش المستمر على مستودعات الأدوية والصيدليات.

- تشجيع مبادرات وجمعيات «حماية المستهلك»، وتكوين مجلس أعلى لمراقبة أسعار الدواء لتوفيره للمواطنين بأسعار مناسبة، وإنشاء صناديق لدعم الخدمات الدوائية.

- وضع بطاقة بيانية مثبتة على المنتجات الأصلية، يكون فيها علامة مميزة يصعب تزييفها، مع إلزام مصانع الدواء بتقديم حلول تقنية لمكافحة الغش، مثل التغليف الذكي بعلامات وطبعات مائية مميزة، إلى جانب تطبيق نظم إدارية مطورة لمنع تسريب المعلومات الاستراتيجية عن الدواء.

- وضع استراتيجية لمكافحة الغش والتهريب في مجال الطب والدواء عبر أنظمة رقابية صارمة تتعلق بهيئة التفتيش الصيدلي، والتشريعات والقوانين التي تجرم المزورين والمهربين، وإيجاد قوانين متعلقة بالمواصفات والمقاييس وضبط الجودة تشمل المستشفيات الخاصة والصيدليات وتركيب وصناعة الأدوية والاتجار بها وكيفية تخزينها ورقابة العاملين في إطارها.

- ملاحقة المتاجرين بالأدوية مجهولة المصدر أو المهربة من خارج البلاد، وكذلك الأدوية التي تباع من خلال الانترنت بالتعاون والتنسيق مع إدارة مباحث التموين بوزارة الداخلية، والجهات المختصة.

- وضع حد للتداخل بين الاختصاصات والصلاحيات من مختلف الجهات ذات العلاقة، مثل وزارة الصحة العامة والهيئة العليا للأدوية ومكاتب الشؤون الصحية في المحافظات والمجالس المحلية.

- تشجيع الاستثمار العربي المشترك في مجال الدواء، حيث إنه يفوق طاقة أي شركة عربية واحدة، فحجم الاستثمارات في هذا القطاع لا تتعدى ٥ مليارات دولار، في حين يصل حجم أصول أي شركة عملاقة إلى ١٣٠ مليار دولار.

- ضرورة صياغة سياسة دوائية تتصف بالشفافية، مع وضع استراتيجية سريعة للارتقاء بحالة الدواء، واتخاذ إجراءات دفاعية والاستفادة من الفرص التي توفرها اتفاقية «التربس» من خلال الاستثناءات والمرونة المتاحة لمواجهة التحديات التي تنطوي عليها تلك الاتفاقية.

- ضرورة تعديل نظام التسجيل للأدوية، بحيث لا تتعدى فترة التسجيل ٦ شهور لكل صنف، مع إعلام مقدمي طلب التسجيل بمواعيد طلباتهم، وضرورة وضع سياسة دوائية جديدة لتسعير الدواء المستورد والمصنع على نحو يحقق التوازن بين مصلحة المواطنين ومصلحة الشركات المنتجة، وأهمية تحالف الشركات الوطنية لإنشاء مراكز بحوث وتطوير دوائية تهتم بصنع أدوية جديدة، وتوحيد منظومة التسجيل الدوائي.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

إعداد التحرير

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

٢/٧١ح/٨٧... زنى الزوج.. هل تطلق به الزوجة؟

مرفق لفضيلتكم صورة من صفحتَي الفتاوى من مجلة ما، نرجو التفضل بالاطلاع على الفتوى الأولى المرفقة بعنوان: «أغوته نساء الغرب» وإني أرجو بيان نص الأحاديث الصحيحة ومرجعها بهذا الخصوص وتوضيح هذه الفتوى، والله المستعان.

- واطلعت اللجنة على صورة الفتوى المرفقة مع الاستفتاء بعنوان «أغوته نساء الغرب» ونصها الآتي:

«...أخت فاضلة تقول: عهدها في زوجها أنه رجل صالح، غير أنه غوى حين سافر إلى الخارج واعترف لها بأنه لم يملك نفسه أمام فتنة النساء في تلك البلاد، فسامحته وطلبت منه أن يتوب ولا يعود، فأبى أن يفعل، وقال: إنه يخشى أن يغلبه شيطانه وينقض التوبة إذا سافر مرة أخرى، والسؤال: ما حكم عشرتها له مادام مصرًا على خطيئته؟»

- قلت (أي المحرر الديني في الصفحة) مستعينا بالله تعالى:

- أولا: لا يجوز نكاح الزاني أو الزانية إذا علم زناهما ولم يتوبا، أما إذا وقع الزنى من أحدهما بعد الزواج فلا يؤثر في صحة العقد ودوام العشرة بينهما، ومن شاء منهما أن يفارق صاحبه فله ذلك، إلا أن الصفح والستر أفضل ما لم يترتب على ذلك ضرر أكبر.

ثانيا: الخوف من العودة إلى الذنب لا يبيح تأخير التوبة، لأن الندم الصادق والعزم على الاستقامة توبة مقبولة، إن شاء الله، تمحو ما سلف، ومن عاد مغلوبًا على أمره فليجدد الندم والاستغفار، والعزم على عدم العودة في كل مرة.. والله أعلم بما في قلوبكم.

أجابت اللجنة: بأن الإفتاء صحيح، ويدل على صحته قوله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠)، وقوله تعالى: ﴿قل يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر: ٥٣)، وقد قال المفسرون في تفسير هذه الآية: إنها دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب عنها ورجع وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه.

ويدل كذلك على قبول توبة التائب ما روى أبوموسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه مسلم والنسائي).

وقال رسول الله ﷺ: «يأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة» (رواه مسلم)، وقوله ﷺ: «من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة» (رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد)، قال النووي: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بينه وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم على ألا يعود إليها أبدًا.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي، والنصوص السابقة تدل على صحة ما جاء في الإفتاء المرفق مع مراعاة ما قاله العلماء في شروط التوبة. والله أعلم.

٢/١٩ع/٨٧... الرعاية الصحية للراغبين في الزواج

نرسل لكم مشروع مرسوم بقانون مقدم من وزارة الصحة في شأن الرعاية الصحية للراغبين في الزواج وحماية النشء، ونرجو التكرم بعرضه على لجنة الفتوى بالوزارة وموافاتنا برأي اللجنة في هذا الشأن.

اطلعت اللجنة على مشروع المرسوم بالقانون المقترح في شأن الرعاية الصحية للراغبين في الزواج وحماية النشء والمكوّن من ست مواد وجدول ملحق.

والمواد الخمس الأخيرة إجرائية، ونص المادة الأولى التالية هو ما تتعلق به الإجابة التي تتبعها.

(مادة أولى)

لا يجوز للموثق أن يوثق عقد الزواج إلا إذا قدم له ذوو الشأن شهادة طبية وفقًا للنموذج المحدد من وزير الصحة العامة، تثبت خلو طرفي العقد من الأمراض الواردة بالجدول المرافق لهذا القانون.

ويجوز، بقرار من وزير الصحة العامة، إضافة أمراض أخرى أو حذف بعض الأمراض الواردة بالجدول المذكور.

■ وأجابت اللجنة بخصوص هذه المادة بما يلي:

أن منع توثيق عقد الزواج في حالة وجود أحد الأمراض المشار إليها في الجدول الملحق بالمشروع يؤدي إلى منع الزواج لمن هو محتاج إليه لتحصين نفسه وتحصيل مقاصد الزواج الأخرى غير النسل، أو يؤدي إلى شيوع الزواج العرفي الذي تضيع به حقوق الزوجة، إذ يمنع سماع دعواها- في حال عدم التوثيق- وقد تحتاج إلى طلب حقوقها من نفقة وسكن وميراث.

ولذا ترى اللجنة أن هذا لا يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتقترح اللجنة تعديل المادة الأولى حتى تكون خالية من المحاذير الشرعية، وذلك على الصيغة التالية:

«لا يجوز للموثّق أن يوثق عقد الزواج إلاّ إذا قدم له ذو الشأن شهادة طبية وفقًا للنموذج المحدد من وزير الصحة العامة تثبت خلوّ طرفي العقد من الأمراض الواردة بالجدول المرافق لهذا القانون، ما لم يثبت علم أحد الطرفين بما في الطرف الآخر من تلك الأمراض ورضاه بالزواج منه، ويجوز بقرار إضافة أمراض أخرى...الخ، وبهذا النص المعدل يُحافَظ على تيسير الزواج ويُتَقَى من خطر تغرير أحد الزوجين بالآخر، على أنه إذا ثبت يقينًا أو بظنّ راجح أن هناك خطرًا على الذرية، فيجوز منع الإنجاب بوسيلة مأمونة العاقبة. والله أعلم».

١/٣٣ع/٨٧... اختيار الزوجة الصالحة

إنني أريد الزواج، والمرأة المختارة لي ليست متحجبة، فهل يصح لي الزواج من امرأة غير متحجبة؟ ومع العلم أنني سأسعى جاهدا وبكل تأكيد لتحجيبها وإلزامها باللباس الشرعي، فهل يجوز لي ذلك؟ مع العلم بقدرتي على القيام بإقناعها وإلزامها.

■ وأجابت اللجنة عن السؤال بما يلي:

ينبغي أن يتخيّر المرأة الصالحة الملتزمة بالواجبات الشرعية ومنها اللباس الشرعي للمرأة، فإن اختار امرأة على غير هذه الصورة وعرف من نفسه من سلوكها إمكان التزامها بما يجب عليها شرعًا فله ذلك؛ لأن مسؤوليته عن هذه المرأة تبدأ بعد عقد الزواج. والله اعلم.

٢/٣هـ/٨٧... الزواج من أخرى لأخذ بويضتها للأولى

هل يجوز أن يتزوج الرجل من امرأة ليأخذ منها البويضة وعمل التلقيح خارجيا وزرعه في رحم الزوجة الأولى؟

وكانت قد حضرت صاحبة السؤال أمام لجنة الأحوال الشخصية وأفادت أن الزواج بالمرأة الأخرى ينحصر القصد منه في أخذ البويضة منها، ولا يراد الدخول بها، وأن الزوج اشترط على نفسه أن يطلقها عقب الحصول على البويضة.

وأجابت الهيئة بما يلي:

لا يجوز أخذ البويضة من امرأة وزرعها في رحم امرأة أخرى ولو كانت المرأتان زوجتين لصاحب الحيوان المنوي الذي ستلقح به البويضة، كما أن الزواج مع الاتفاق بين الزوجين على الطلاق بعد أخذ البويضة زواج باطل. والله أعلم.

٣/٤٨ح/٨٧... لم تقبل الهدية فلم يقع الظهار المعلق

على أثر سوء تفاهم مع زوجتي قلت لها ما يلي: «إذا حضرَ أهلك وقبلت منهم أي شيء تكونين خالصة من الأربع مذاهب وتكونين حرمانة علي زي أمي وأختي» وحصل أن جاء أهلها إلى البيت ومعهم هدايا، وقد أجبرت على قبول الهدايا بضغط والدها وأبناء عمي، ولكن القبول والاستلام لم يحصل من زوجتي، وهذا الموضوع مضى عليه سنتان، الرجاء النظر في الموضوع وإبداء الحكم الشرعي؟

وسألته اللجنة:

- كم مرة نطقت على زوجتك بالطلاق؟ قال: هذه المرة الأولى.

- ما ظروف هذه الطلقة؟ قال: حصل خلاف مع أهلها فحلفت عليها يمينًا وقلت لها «إذا قبلت أنت من أهلك أي حاجة فتحرمين عليّ» وقصدت بذلك منعها هي من أخذ أي شيء من أهلها، وعندما جاء أهلها بالهدية أنا قبلتها وهي لم تقبل.

■ أجابت اللجنة:

بأنه مادام المنع منصبا على قبول الزوجة واستلامها للهدية ولم يحصل منها ذلك، بل الذي قبل الهدية هو زوجها الحالف فلا شيء يقع عليه لا طلاق ولا ظهار ولا كفارة يمين. والله أعلم.

إعداد: خالد خلاوي

حب الوطن طريق للإبداع والتميز

الحب من أقوى دوافع التميز والإبداع والعطاء المستمر، ومن ذلك حب الوطن الذي يبدع المرء من أجله ويقدم له كل غال، وفاء لأرض ولد عليها وتربى في ربوعها، فحب الوطن انتماء وعطاء، والوطنية الحقة انتماء فريد وإحساس يرقى بصاحبه إلى شرف التضحية بالمال والوقت والجهد، بل وبالروح والنفس، وهذه التضحية تكون ممزوجة بلذة وإقدام.

وحب الوطن عند العرب والمسلمين له عاطفة قوية عبروا عنها قولاً وعملاً، يقول الجاحظ في رسالة الحنين إلى الأوطان: «كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفرًا تستنشقه».

ويروى عن النبي ﷺ مواقف كثيرة تدل على حبه لموطنه مكة، روي أنه سمع قول ورقة بن نوفل أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك فلما قال له ورقة: يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك، فأبدى انزعاجه لإخراجه من بلده الحبيب إلى قلبه، وقال ﷺ: «أو مخرجي هم؟!» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

وصح عن النبي ﷺ أنه وقف يُخاطب مكة المكرمة مودعًا لها وهي وطنه الذي أُخرج منه، فقد روي عن عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد، وأحبّك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»(رواه الترمذي).

وبشّر الله تعالى نبيه ﷺ وهوّن عليه لوعته بفراق مكة، وأنزل عليه قوله تعالى ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾(القصص: ٨٥)، قال ابن عباس، رضي الله عنهما، في تفسيره: أي إلى مكة .

وقرن الله سبحانه وتعالى كره الناس الخروج من ديارهم؛ بكرههم قتل أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾(النساء: ٦٦).

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: «عالجت العباد فما وجدت شيئًا أشد عليّ من نزاع النفس إلى الوطن». وقال الشيخ محمد الغزالي: «والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص».

وإذا كان الإنسان يتأثر بالوطن الذي ولد فيه، ونشأ على ترابه، وعاش من خيراته فإن لهذا الوطن عليه حقوقًا وواجبات كثيرة، يأتي في مقدمتها التفوق والتميز في كافة مجالات الحياة لرفع اسم الوطن عاليًا، وما المنجزات العلمية والعسكرية والرياضية والأدبية وغيرها، التي أنتجها عباقرة العالم، إلا وكان لحب أوطانهم نصيب في تحقيقها.

ويأتي الحب الصادق والانتماء الحقيقي للوطن من خلال استشعار المسلم أنه مستخلف من قبل الله- عز وجل- لعمارة هذا الوطن الذي يعيش فيه، فاستحضار هذه النية يكون بها المسلم مثابًا ومأجورًا من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

وعن ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عَمر الله البلدان بحب الأوطان»، وقال أيضا: «لولا حب الوطن لخرب بلد السوء».

وخلاصة القول: ان المسلم الصادق يحب وطنه، ويعمل كل خير لبلده، ويتفانى في خدمته، ويضحي للدفاع عنه، ولذلك يصبح لزامًا على الآباء تربية الأجيال الناشئة على استشعار ما للوطن من أفضالٍ سابقةٍ ولاحقة عليهم، بعد فضل الله سبحانه وتعالى، منذ نعومة أظفارهم، ومن ثم تربيتهم على رد الجميل، ومجازاة الإحسان بالإحسان، فللوطن دَيْن في عنق كل فرد من أبنائه، ورد هذا الدين يكون بالعمل والإنتاج والتميز.. يعني الانتماء الإيجابي لهذا الوطن، وللوطن حقوق عند الأجيال الجديدة يذكرها الشاعر حافظ إبراهيم بقوله:

رجال الغد المأمول إن بلادكم
تناشدكم بالله أن تتذكروا
عليكم حقوق للبلاد أجلها
تعهد روض العلم، فالروض مقفر
قصارى منى أوطانكم أن ترى لكم
يدًا تبتني مجدًا ورأسًا يفكر
فكونوا رجالا عاملين أعزة
وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا

ويقول شوقي:

وللأوطان في دم كل حر
يد سلفت ودين مستحق

صور من حياة المتميزين

سر صناعة الموتور الياباني

في أحد مقالاته بمجلة أكتوبر القاهرية يحكي د.حسين مؤنس- رحمه الله تعالى- عن الياباني الذي كان مبعوثًا في أوائل القرن العشرين للحصول على الدكتوراه في الهندسة من بريطانيا، ثم وجد نفسه يضيع وقته وجهده في دراسات نظرية لا طائل منها، وكيف أنه وزملاءه المبعوثين أغرقوا أنفسهم في المعادلات والتحليلات دون جدوى، سأل هذا الياباني نفسه: ما هو مفتاح التكنولوجيا الغربية التي صنعت التقدم الاقتصادي؟ وأجاب بأنه الموتور، إذن فليعد لبلاده بسر صناعته، واشترى بالفعل موتورًا من ماله الخاص الذي يأكل به، وعكف عليه يفكه قطعة قطعة، وكلما فك قطعة رسمها ورقّمها، حتى فك الموتور كاملا، ثم أعاد تركيبه، وأعاد ذلك مرات عدة حتى أدرك كل أجزاء الموتور ووعاها، ثم عاد للكتب يتفقه في بعض النظريات الحاكمة لعمل الموتور.

بعد ذلك أراد هذا الياباني المحب لوطنه أن يعمل في بعض المصانع التي تصنع الموتور، فذهب إليها عاملا يكتشف في هدوء أسرار صناعة هذه الأداة ودقائقها، ولما أيقن أنه عرف كل أسرار الموتور، وما بقي إلا أن ينقلها لبلاده كتب للملحق الثقافي الياباني بقصته، فنقلها لوزير التعليم الذي أخبر بدوره الإمبراطور الذي بعث لهذا المهندس بأموال ليشتري كل ما يلزمه من معدات لصناعة الموتور الياباني، ولما فرغ من مهمته بعد سنوات عدة ذهب لزيارة الإمبراطور ومعه عينة من هذه الموتورات التي استمع الإمبراطور إلى شرح حولها في نشوة، قائلا: هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي.

هذا الياباني العبقري لم يعد لبلاده بدكتوراه نظرية لا تفيد صناعاتهم، وإنما عاد إليها بعزتها ومجدها.. عاد إليها بتقليد مفتاح الصناعة الأوروبية ومن ثم تقدمها الاقتصادي، وعاونه على ذلك الملحق الثقافي ووزير التعليم والإمبراطور، ولم يحاولوا أن يخذلوه أو يتهموه، وإنما ساعدوه وشجعوه وتعاون الجميع على ما فيه الخير لوطنهم.

كلمات في التميز

حب الوطن

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب إن لم يتيّم

(مصطفى صادق الرافعي)

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

(ابن الرومي)

ليس هناك شيء في الدنيا أعذب من أرض الوطن.

(هوميروس)

أنا مغرم جدا ببلادي، ولكنني لا أبغض أي أمة أخرى.

(بليكو)

جميل أن يموت الإنسان من أجل وطنه، ولكن الأجمل أن يحيى من أجل هذا الوطن.

(كاريل)

يستروح العليل بنسيم أرضه، كما تستروح الأرض المجدبة بوابل المطر.

(جالينوس)

إعداد: هالة محمد

الخليجيون أقدم البشر خارج إفريقيا

يعتقد العلماء بوجود أرض كانت خصبة في يوم من الأيام تحت مياه الخليج وكانت تؤوي بعض أقدم البشر خارج إفريقيا قبل ٧٥ إلى ١٠٠ ألف سنة.

ووفق جيفري روز، الباحث الرئيسي ومعد الدراسة، وهو عالم آثار من جامعة برمنجهام البريطانية، فإن هذه الأرض المنبسطة التي يعتقد أنها موجودة تحت مياه الخليج «كانت بحجم بريطانيا، ثم تقلصت بعدما بدأت المياه تفيض في المنطقة، ومن ثم ابتلعها المحيط الهندي».

اعتبر روز أن هذه الدراسة المفصلة في مجلة «علم الإنسان»، عدد ديسمبر الماضي قد تترك تأثيرًا كبيرًا في تاريخ البشر، وأوضح انها (الدراسة) تسلط مزيدًا من الضوء على تاريخ خروج البشر من إفريقيا، الذي يقول العلماء: إنه كان قبل ما بين ١٢٥ و ١٦٠ ألف سنة.

يشار إلى أن هذه النتائج أثارت نقاشًا بين الباحثين بشأن البشر الذين احتلوا حوض الخليج آنذاك.

وقال روز: «نظرًا إلى وجود مجتمعات النياندرتال في أعالي مناطق نهري دجلة والفرات، وشرق منطقة البحر الأبيض المتوسط قد تكون هذه المنطقة نقطة الاتصال بين الإنسان الحديث وإنسان النياندرتال»، الذي عاش في أوروبا، الشرق الأوسط، وغرب آسيا منذ نحو ٢٠٠٠٠ إلى ٢٨٠٠٠ سنة مضت.

يذكر أن علماء الآثار اكتشفوا في السنوات الأخيرة آثارًا على مستوطنات بشرية، وما يزيد على ٦٠ موقعًا أثريًا، على شواطئ الخليج تعود إلى نحو ٧٥٠٠ سنة، تحتوي على منازل دائمة من الحجر وجيدة البناء، إضافة إلى شبكات تجارة طويلة، وحيوانات منزلية وحتى وجود أقدم قوارب في العالم.

مائة تريليون جرثومة في جسم الإنسان!

إلى جانب الـ ١٠٠ تريليون جرثومة التي يحملها الإنسان البالغ في جسده، اكتشف العلماء عنصرًا جديدًا في الجسم البشري، وهو أن كل واحد منا يحمل أنواعًا من جينات الأمراض الوراثية يتراوح عددها من ٥٠ إلى ١٠٠ جين، إضافة إلى ٢٠ ألف جين وراثي موجودة حاليًا، يضاف إليها أيضًا ٣,٣ مليون جين وراثي تحملها الميكروبات داخلنا، وتوصل الباحثون في دراسة دورية لهذه النتيجة خلال مشروع الألف جين الدولي، وبعد تحليل بيانات حصلوا عليها خلال المرحلة التمهيدية للمشروع، وستستخدم نتائج المشروع والتقنيات الجديدة التي سيسفر عنها في دراسة دور أنواع الجينات المختلفة في نشأة الأمراض مثل السرطان، وستتاح البيانات الهائلة الناتجة عن المشروع للعامة ضمن مكتبة الحمض النووي، وينتظر أن تتضمن ٩٥ ٪ من أنواع الجينات لدى جميع البشر.

التنوع الحيوي عززه الإبداع الجيني

قبل نحو ثلاثة مليارات سنة شهدت البكتيريا والكائنات البدائية التي كانت موجودة على سطح الأرض فورة من الإبداع الجيني أدت إلى نشوء أكثر من ربع الجينات الموجودة حاليًا لدى الأجناس الحية، ولاشك أن التوصل إلى وصف كيفية ظهور الحياة على كوكبنا يشكل أحد أكبر التحديات بالنسبة لعلماء الوراثة وعلماء الإحاثة، وبفضل الأحافير الكثيرة المكتشفة نعرف أن الحياة على الأرض شهدت حقبة من التغييرات السريعة قبل نحو ٥٨٠ مليون سنة، وهي فترة يطلق عليها اسم «الانفجار الكمبري».

واستمر تطور الأجناس هذا طوال ملايين السنوات ليؤدي إلى التنوع الحيوي الذي نعرفه حاليًا.

الهندسة البيئية للسيطرة على المناخ

عقدت الجمعية الملكية البريطانية اخيرًا في لندن اجتماعًا حضره علماء متخصصون في الهندسة البيئية وقدموا بعض المقترحات حول استخدام تكنولوجيات على مستوى الكوكب للسيطرة على ظروفه المناخية، وهذه التكنولوجيات التي اقترحوها لا وجود لها حتى الآن ولكن مع مرور الوقت واستمرار انبعاث الغازات الناتجة عن الاحتباس الحراري فقد بدأ العلماء يأخذون قضية الهندسة البيئية مأخذًا جادًا، وقد تراوحت مقترحاتهم فيما بين تركيب مرايا تعكس أشعة الشمس إلى إنتاج ماكينات لإزالة ثاني أكسيد الكربون من الهواء إلى استنباط طحالب في المحيطات قادرة على امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون وجذبه إلى قاع البحر وإبقائه هناك.

«منف» المصرية أول عاصمة ومدينة في تاريخ البشرية

كانت مدينة «منف» أو «ممفيس» (٢٠ كلم جنوب القاهرة) على الضفة الغربية لنهر النيل والمعروفة بـ «ميت رهينة» في محافظة الجيزة أول عاصمة ومدينة في تاريخ البشرية اتخذها الملك مينا موحد القطرين عاصمة لمصر في العصر الفرعوني القديم قبل أكثر من ٥ آلاف عام.

وأخيرًا قررت وزارة الثقافة المصرية تنفيذ أضخم وأكبر مشروع لحماية وتطوير وصيانة منطقة آثار ميت رهينة بكلفة اجمالية تبلغ حوالي ٤١ مليون جنيه، ويستغرق هذا المشروع الكبير نحو ١٨ شهرًا.

وذكر الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار د.زاهي حواس أن هذه المدينة اكتسبت أهمية خاصة في التراث المصري لما تحمله من آثار يندر وجودها في أماكن أخرى، مشيرًا إلى أنه خرج منها تمثال رمسيس الثاني، وتضم قطعًا اثرية نادرة، منها معبد الإله بتاح، ومعبد التحنيط ومعبد الإلهة حاتحور.

أسرع تيار بحري

تم أخيرًا رصد أسرع تيار بحري في العالم في جزر «كيرغلان» التي تقع جنوب المحيط الهندي، وقد قدر فريق من الباحثين اليابانيين والاستراليين متوسط سرعة التيار بـ ٢٠ سم في الثانية، ويحمل هذا التيار الذي ينبع من المحيط المتجمد الجنوبي باتجاه الاكوادور أكثر من ١٢ مليون م٣ من المياه التي تقل درجة حرارتها عن الصفر في الثانية الواحدة، على عمق يزيد على ٣٥٠٠ متر، ويحاول الباحثون في الوقت الحالي فهم دور هذا التيار البحري في حركة المحيطات كلها بالإضافة إلى دراسة متوسط تدفق المياه وتغيره بمرور الوقت.

طريقة جديدة لإنتاج المطر

نجح أخيرًا فريق فرنسي ألماني في تكثيف قطرات الماء عن طريق الليزر، فبواسطة جهاز خاص وجه أعضاء الفريق أشعة الليرز نحو فضاء مشبع بالماء، مما تسبب في تكاثف قطرات المياه حول الأيونات فتكونت سحابة استطاع العلماء رؤيتها بالعين المجردة.

كانت هذه أول مرحلة من مراحل صناعة المطر، وإن كانت قطرات الماء أصغر بكثير مقارنة بالمطر الحقيقي، سيسمح هذا الانجاز باستبدال التقنيات المستعملة حاليًا في إنتاج الأمطار الصناعية الملوثة.

من هنا وهناك

● اللغة العربية هي اللغة التي ازدادت نسبة تعلمها بأسرع وتيرة في الجامعات الأميركية العام الماضي مقارنة بعام ٢٠٠٦ مع ارتفاع بلغت نسبته ٤٦ ٪.

فالتسجيل في مقررات اللغة العربية في الجامعات الأميركية فاق نسبة التسجيل في مقررات اللغة الروسية واللاتينية، وأتى في المرتبة الثامنة، وفقا لجمعية «مودرن لانجوادج اسوسييشن» التي نشرت بيانات ذات صلة ٢٢ مرة منذ عام ١٩٥٨.

● أكد العلماء أن بكتيريا جمعت من حطام السفينة (تيتانيك) قبل عقدين من الزمن هي سلالة جديدة من البكتيريا يقف العلماء في حيرة من أمرهم حيالها، لأن هذه البكتيريا من سلالة «راستكلس» وهي تشكيلة من الصدأ تبدو مثل رقاقات الثلج تلتهم بدن تيتانيك، وتمثل هذه البكتيريا آكلة المعادن معضلة للعلماء، وغرقت تيتانيك في أول رحلة لها، بعد تدشينها كأضخم سفينة ركاب في العالم عام ١٩١٢، في حادث أدى الى غرق ١٥٠٠ شخص، وعثر على حطامها عام ١٩٨٥، من قبل فريق استكشاف على عمق أكثر من ميلين في المحيط الأطلسي.

● أظهرت دراسة حديثة التأثيرات الوراثية للعملية المسماة «التخلق المتعاقب» الذي يظهر كيف أن محيطنا ونمط عيشنا قادران على تغيير موروثاتنا خلال فترة نمونا، وهذه الموروثات المتغيرة قابلة للانتقال إلى الأطفال.

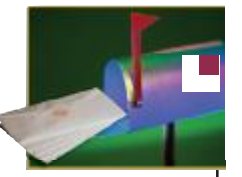

إعداد: التحرير

تعقيب

بالإشارة إلى ما تضمنته مقالة «صفحات مجهولة من تاريخ الأندلس» بعدد المجلة رقم ٥٤٤ ذوالحجة ١٤٣١هـ، نتشرف بالتعقيب الآتي:

لقد جاءت لغة المقال على منوال لغة الخطاب العربي التي تنشد ما لا يخرج عن التفاخر والتباهي والذي غالبا ما يصرف الهمة عن التماس الجهد فيما هو حال وحاضر على وتيرة من إذا سألته من هو فيقول كان أبي.. هذا التفاخر الذي وإن كان أقله صحيحًا فأكثره متوهم، فزاوية الرؤية فيه غير موضوعية وتأتي تعبيرًا عن إشباع الوجدان بما يفقد الوعي بالمطلوب مما يبحر في سكرات الوهم الفاقد حتى لسداد المنطق في الطرح.

فقد بلغ المقال في تجسيده لهذه المأساة أن بدل بمنطق الانتقاد للقصور والخذلان زهوًا وفخارا واضح الصنعة إذا ما كانت المعلومات التي استند إليها صحيحة.

فإذا كان الجيش الإسباني عند دخوله مدينة «غرناطة» وجد الآلاف من الأسلحة من سيوف ودروع ومجانيق واستولى على ٢٢٠٠٠ سيف منها عشرة آلاف مطلية أطرافها بالذهب، فأين من كانت لهم هذه السيوف والمجانيق فعدد من كان في هذه المدينة لا يقل في المتوسط في ضوء هذا العتاد عن خمسين أو ستين الفا في مدينة ومحيطها؟ وأين العقيدة القتالية لهم والتي يقيمها الإسلام عند المصداقية، ولو في حالة ضعف، أن الألف بها يغلبون ألفين.. وكيف فر كل هؤلاء الجمع؟ ولم أصابهم الخذلان؟ ألم يكن في مقدورهم ولو ببعض المصداقية مع العقيدة أن يحموا مدينتهم بمحيط ذراعاتها؟ فأي صفحات يشير إليها بغمة فخار هذا المقال؟ ألم يكن في مقدور المقاتل أن يذود عما لا يتجاوز عشرة أمتار في محيطه أو أقل؟ إن تنصروا الله ينصركم.

على أبوالنصر بخيت

رسالة قارئ

أنتهز الفرصة لأشد على أيديكم مصافحًا ومهنئًا بالتنوع في الأعداد الأخيرة للمجلة، وقد سعدت بما كتبه الباحث المجيد والناقد المتفرد الدكتور/علاء الدين رمضان عني في مقاله الرائع عن «ظاهرة الهروب إلى النصير في الشعر الديني المعاصر» في العدد (٥٤٢) شوال ١٤٣١هـ، سبتمبر- اكتوبر ٢٠١٠ من ص٥٨ إلى ٦٠، عارضا نماذج شعرية من قصيدتي «رسالة إلى رسول الله ﷺ» وهي القصيدة الفائزة بجائزة أفضل قصيدة عام ٢٠٠٦ في مسابقة مؤسسة البابطين للإبداع الشعري (في دورة شوقي ولا مارتين) ووزعت جوائزها بقاعة اليونسكو بباريس.

جميل محمود عبدالرحمن

النظرية الإسلامية في العلاقات الدولية

أعتقد أن النظرية الإسلامية في مجال العلاقات الدولية يمكن أن تسهم في بناء وتوجيه نظام عالمي قائم على العدل ونفي الظلم، وتحقيق الاستقرار وازالة مصادر الصراع والقضاء على أسباب التوتر والعنف، وهذه مهمة لا يشارك فيها المسلمون وحدهم، وإنما يشاركهم غيرهم من أمم الأرض بعيدًا عن التأثيرات السلبية للصور النمطية Steryo Types التي تروجها بعض الأوساط العلمية والاعلامية والسياسية عن الإسلام، إما بسبب الجهل او لسوء النية، أو بالاستناد الى تصرفات وسلوكات منسوبة زورًا الى الإسلام.

إن الاسلام يعلمنا أنه بوسعنا- دوماً- أن نتشاور ونتحاور مع الآخرين من أجل اكتشاف الحقول المشتركة، ولتعميق ادراكنا للمثل الإنسانية العليا، وللاسهام معًا في بناء علاقات دولية بناءة تتسم بالايجابية والموضوعية، والمستقبلية، وتسهم في إعمار الأرض وفي تحقيق السلام العالمي على أسس الحق والعدل.

إبراهيم البيومي

كيف يحقق الإسلام نعمة الأمن؟

الأمن من نعم الله عز وجل، وللإسلام نظرته المتميزة في تحقيق الأمن للبلاد والعباد حيث يغرسه في ضمائر الناس ويعمقه في قلوبهم، وجعل من أهم أسباب وجوده على أرض الواقع واستمتاع البشر به الإيمان والطاعة لله عز وجل والعمل الصالح والمثمر الذي يعود على صاحبه بالثمرات النافعة في الدنيا والآخرة.

إذ إن الأمن كثمرة للإيمان والعمل الصالح يمتد إلى ما بعد

واجبنا نحو رسول الله ﷺ

يجب علينا أن ندافع عن الرسول ﷺ وعن سيرته العطره ضد شياطين الارض وخفافيش الظلام أمثال شياطين الرسوم الكاركاتيرية ويكون ذلك بكل الطرق فلكل مقام مقال ولكل فعل رد فعل.

كما يجب علينا أن نملأ قلوبنا وعقولنا وكل جوارحنا بحب رسول الله ﷺ حتى يكون أحب الينا من أنفسنا ومن آبائنا ومن ابنائنا ومن الناس أجمعين، فعنه ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري ومسلم) ولكي يزيد حبنا لرسول الله ﷺ شرع الله لنا الصلاة والسلام على رسول الله فعندما نسلم عليه يرد علينا السلام والملائكة تصلي عليه ﷺ وعلينا، فعنه ﷺ قال «من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا» ولم يبق أمامي إلا أن أردد قول الشاعر:

ليس الطريق سوى طريق محمد
فهي الصراط المستقيم لمن سلك
من يقتفي آثاره فقد اهتدي
سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك

رضا أبو الغيط

دَيْن يساوي خلافة

تأوه سليمان بن عبدالملك في مرقده لثقل في أمعائه واستعصى الداء على الأطباء حتى بدا الموت لعينه، فدعا مستشاره رجاء بن حيوة الكندي وأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع الخليفة، وفجأة غلب المدمع سليمان فسأله رجاءُ بن حيوة لِمَ ذلك؟ فقال: لقد مات ولدي أيوب وكنت أتمنى أن يكون ولي عهدي وصاحب أمر الناس من بعدي، وبقية أبنائي مازالوا صغارا، فرد عليه رجاء قائلا: إن الخلافة أعباء ثقال ولعل الله قد رحم أفلاذ أكبادكم أن يصطلوا بنيرانها.

فاختلف سليمان مع رجاء وظلا يتحدثان، وفجأة قال رجاء: إن أردت وجه الله فإلى عمر بن عبدالعزيز بن مروان، ثم إن اردت الأمر بعد ذلك لبني عبدالملك فبايع ليزيد أخيك من بعده.

فرد سليمان لقد نسيت عمر بن عبدالعزيز، فجزاك الله خيرا أن ذكرتني به الآن، فابتسم كالمرتاح، وقال: بربك يا أمير المؤمنين أترى في بني مروان أعدل منه سيرة وأنقى سريرة وأصلب إيمانا وأصدق يقينا في النائبات.

فقال سليمان مؤمِّنا على قوله: لا والله، ثم إن له علي دينا ثقيلا حان أوان وفائه دون إمهال، فقال رجاء: قل لي يا أمير المؤمنين كيف اقترضت منه هذا الدين الثقيل؟

فاعتدل سليمان من نومه، وقال في همس وخفوت: تعلم يا رجاء أن أخي الوليد- عفا الله عنه- أراد خلعي من ولاية العهد وكاتب عماله في الأمصار فأيدوه وظاهروه، ولكن عمر بن عبدالعزيز، وكان واليا في مدينة رسول الله ﷺ، جاهره بالعصيان، وقال قولته الخالدة: لا أنقض بيعتي الصادقة لسليمان فأغضب الرحمن.

فقال رجاء: ليس هذا بمستغرب من عمر فهو لا يخشى في الحق لومة لائم.

وتابع الخليفة حديثه: ولقد تعرض عمر بسبب موقفه لاضطهاد شديد وعزل من المدينة وسجن، وأغلظ له الوليد في الوعيد، فثبت عمر وكان كالطود الأشم، ويمينا لولا ثباته وصلابته لطارت عني الخلافة، وتابع حديثه لرجاء بن حيوة الكندي: لقد استجبت إليك يا رجاء، فاكتب عهدي إلى عمر ثم إلى يزيد من بعده ومر الناس أن يبايعوا من نصصت عليه.

أرأيتم يا أعزائي كيف كان الوفاء وكيف كان سداد الدين بخلافة المسلمين. فالوفاء من شيم الرجال الأبطال.

محمد الشحات أبوعيد

حياة الإنسان إلى ذريته من بعده.. يقول تعالى﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وهكذا جعل الله الإيمان والتقوى سبيلا يحقق للأبناء الأمن والأمان من تقلبات الأيام.

إذن.. كيف يحقق الإسلام نعمة الأمن؟

إن كل إرشادات الإسلام وهداياته تصب في تكريس الأمن والأمان للفرد وللمجتمع على السواء.

فإذا كان الإسلام يأمر الفرد ألا يتعرض بسوء لأموال الناس وأعراضهم ودمائهم والمحافظة عليها، فإنه في نفس الوقت يأمر كل الناس في مجتمع الإيمان والتقوى أن يحافظوا على أموال الفرد وعرضه ودمه.. فالنبي ﷺ يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وقال ﷺ «خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره».

محمد السيد

إعداد: التحرير

مراتب النفس

مراتب النفس خمسٌ «هاجس» ذكروا
«فخاطرٌ» «فحديث النفس» فاستمعا
يليه «همٌّ» و «عزمٌ» كلُّها رُفعت
سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: رفعت، أي لا يؤاخذ بها الإنسان، سوى الأخير وهو العزم.

(الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات للعظم)

فوائد الأسفار

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

تغرّب عن الأوطان في طلب العُلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريجُ هَمّ واكتسابُ معيشة
وعلمٌ وآدابٌ وصُحبةُ ماجد
فإنْ قيل: في الأسفار ذُلٌ ومحنة
وقطعُ الفيافي وارتكابُ الشدائد
فموتُ الفتى خيرٌ له من قيامه
بدار هَوان بينَ واشٍ وحاسد

(ديوان الإمام الشّافعي)

ربيع الأول

سمي بذلك لوقوعه في الربيع، حيث تتساقط الأمطار، وينبت الكلأ وتزهر الأزهار.

وهو مليء بالمناسبات ففيه ولد النبي ﷺ وفيه هاجر وفيه دخل المدينة المنورة، وفيه توفي ضحى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١ للهجرة.

أول مَنْ روّض الخيل وركبها

نبيّ الله ورسوله إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر، مِنْ نَسْلِ سام بن نوح، المكي نشأةً وإقامة ووفاة.

هو رأس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالمستعربة، وردَ اسمه اثنتي عشرة مرّة في القرآن الكريم. نزل بمكة مع أمه هاجر وهو طفل، ولمّا كبر ساعد أباه في بناء الكعبة. تزوج إسماعيل بعد وفاة أمّه بامرأة من «جرهم» فولدت له اثني عشر ذكرًا، منهم «قَيْدَار» جدّ عدنان.

هو أوّل من ركب الخيل، وكانت قبل ذلك وحشيّة لا تُروّض ولا تُرْكَب، فأخذها وروّضها فارتاضتْ، تعلّم أولاده ترويضها منه فبقي علمها فيهم، ولهذا اختصّ العرب بالمعرفة بها. قال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» (البخاري).

(الأوائل لأبي هلال العسكري، معجم الأوائل)

من دُرر الفاروق رضي الله عنه

«عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم، فإنّهم زينة في الرّخاء، وعدّة في البلاء، وضَع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَن يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلّم مِنْ فجوره، ولا تطلعه على سرّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى».

وقال رضي الله عنه: «ثلاث يصفين لك وُدّ أخيك: تُسَلّم عليه إذا لقيته، وتُوسّع له في المجلس، وتدعوه بأحبّ الأسماء إليه».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت: ٧٤٢)

طبقات الشعراء

الشعراء خمس طبقات:
الطبقة الأولى: الجاهلية ورأسها امرؤ القيس.
الطبقة الثانية: المخضرمون ورأسهم حسان.
الطبقة الثالثة: الإسلامية ورأسها جرير.
الطبقة الرابعة: المحدثون، ورأسهم علي بن العباس الرومي.
وهذه الأسماء واقعة على من جاء بعد هذه الطبقة إلى يوم القيامة.
وشعراء الأندلس طبقة واحدة ورأسها أحمد بن عبدربه.

(سرور النفس بمدارك الحواس الخمس)

عاقبة الظّلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنّ النّاس لم يتنازعوا في أنّ عاقبة الظّلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ويُروى: الله ينصر الدولة العادلة، وإنْ كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظّالمة وإنْ كانت مؤمنة».

(موسوعة أقوال الحكماء)

تعبدًا لا تلذذًا

سَألَ الحافظُ ابن حجر العسقلاني الشيخَ ابن عرفة حين اجتماعه به في مصر عن ماء زمزم: لِمَ لم يكن عذبًا؟

فقال ابن عرفة في جوابه: إنما لم يكن عذبًا ليكون شربه تعبدًا لا تلذذًا، فاستحسن ابن حجر جوابه وطرب به.

(مفيد الأنام ونور الظلام للجاسر)

سلسلة الذهب وسلسلة الكذب

سلسلة الذهب: ما رواه أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر. وتسمى هذه الترجمة سلسلة الذهب وليس في مسند أحمد على كبره منها سوى حديث واحد.

سلسلة الكذب: ما رواه عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن الحارث عن علي والسدي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر)

الأمهات خمس

١. أمٌّ ما خُلقت وهي الفاتحة (أم الكتاب).
٢. أمٌّ ما وُلِدت وهي حواء (أم البَشَر).
٣. أمٌّ ما وَلَدت وهي (أم المؤمنين) عائشة رضي الله عنها.
٣. أمٌّ ما نكحت وهي مريم عليها السلام (أم المسيح).
٤. أمٌّ ما أكلت وهي مكة (أم القرى).

(الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات للعظم)

ثلاث خصال

قال بعض الحكماء: إن لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعًا:

١- أن يكون لسانه نقيًّا عن ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.
٢- أن يكون صافيًا من ثلاثة: الغش، والخيانة، والحسد.
٣- أن يكون محافظًا على ثلاثة: الجمعة، والجماعات، وطلب العلم في بعض الساعات.

(شرح لامية ابن الوردي للقناوي)

أبو الحارث

الليث بن سعد بن عبدالرحمن، أبوالحارث الفهمي، إمام أهل مصر في عصره، حديثًا وفقهًا، قال ابن تغري بردي: «كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته».

أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة سنة ١٧٥هـ. وكان من الكرماء الاجواد.

وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف، ولابن حجر العسقلاني كتاب «الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية».

(الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٨)

ابتسامة «طُفَيْلي»

عُوتِبَ طفيلي على التّطَفُّل فقال: «والله ما بُنِيَت المنازلُ إلا لتُدخَل، ولا نُصِبَت الموائد إلا لتُؤكَل، وإنّي لأَجْمَعُ فيها خِلالًا، وأَدْخُلُ مُجالسًا، وأَقْعُدَ مؤانسًا، وأَنبَسِط وإنْ كانَ ربُّ الدارِ عابسًا، ولاَ أَتَكَلّف مَغرمًا، ولا أُنفِقُ دِرْهَمًا، ولا أُتْعِبُ خادمًا».

شمائل نبي الهدى ﷺ النموذج الأول

إبراهيم نويري

الخيرية والجود والكرم من آكد خصال النبي ﷺ، كما يُستفاد من السيرة العطرة، ولقد عبّر ابن عباس عن هذا الجانب من أخلاقه فقال «أجود الناس». هكذا عبّر ابن عباس لتكون كلماته شاهدة على مدى سعة كرم رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، إذ كانت تلك الخصلة خلقا أصيلا راسخا جُبل عليه منذ بروزه للحياة، ومنذ نشأته الأولى ونعومة أظفاره.. ثم ازدادت رسوخا حتى باتت سجية فطرية من خلال البيئة العربية والبادية العربية التي نشأ وتربى بين جنباتها، وترعرع في أكنافها، وهي بيئة مشهورة بكلّ ألوان وضروب العطاء والجود والكرم.

إن سيرة المصطفى ﷺ ينبغي أن تكون النموذج الأول والمثال الأسمى للقدوة والائتساء والاتباع، وإنه لحريّ بكلّ مسلم أن يستمد من سيرة رسوله ﷺ ،في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته، وأن يتمثلها بوعي وفهم ونباهة في حياته وفيما يعرض له فيها من صعوبات وطوارئ وأحداث.

وصدق الشيخ محمد الغزالي رحمه الله حين يقول عن هذا الموضوع الجاد: «إن محمدا ليس قصة تُتلى في يوم ميلاده، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تُضمّ إلى ألفاظ الأذان، ولا إكنان حبه يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون.. فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين. وما جنح المسلمون إلى هذه التعابير في الإبانة عن تعلقهم بنبيّهم، إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حمله، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال، ولما كانت هذه المظاهر والأشكال محدودة في الإسلام، فقد افتنّوا في اختلاق صور أخرى، إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو الاستمساك باللباب المهجور، والعودة إلى جوهر الدين ذاته، فبدلا من الاستماع إلى قصة المولد يتلوها صوتٌ رخيمٌ، ينهض المرء إلى تقويم نفسه وإصلاح شأنه حتى يكون قريبًا من سنن محمد ﷺ، في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته.. إن المسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يُغني عنه أبدا أن يحرّك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة» (من مقدمة كتابه: فقه السيرة).

الحق الذي لا ريب فيه، ولا ظِنّة تحتوش أطرافه، أن نبيّنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين، كان بشرا اكتملتْ في أخلاقه ومسالكه كلّها عناصر الكمال الإنساني، وانتهتْ إلى شخصيته الفذة أمجاد الفطرة البشرية الصحيحة، حتى بات صورة مجسدة حيّة لأخلاق القرآن، تنبثق من فؤاده البر النبيل عواطف جياشة لا ينضب لها معين، لذلك فقد اتسعت للسابقين واللاحقين من أمته، بل اتسعت حتى للجمادات التي لا تنطق، فعندما لاح له جبل أحد من بعيد، وهو في طريق العودة من غزوة تبوك قال «هذا جبل أحد، إنه جبل يحبنا ونحبّه»، فأي قلب هذا الذي اتسع لكلّ الكائنات؟. إنها النبوّة وكفى.. وإنها أخلاق محمد بن عبدالله التي ما طاولتها أخلاق على مرّ الزمن كله، ولن يكون، إلى أن يرث الله هذه الأرض، وهو عز وجلّ خير الوارثين.

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

هذا الإصدار السادس عشر لمجلة «الوعي الإسلامي»، بحث علمي يشتمل على مسألتين مهمتين تناولهما الأصوليون والمحدثون والفقهاء الأولى الترجيح بكثرة الأدلة (الترجيح بالأمر الخارجي) والثانية الترجيح بكثرة الرواة والذي يعد من أهم وجوه ترجيحات السند والكتاب يعتبر إضافة علمية نقدمها لطلاب العلم في هذا المجال.

ملتقى العطاء

أيتام - مسنون - معاقون

نهدف أن نكون صلة الوصل بين
أصحاب القرار وذوي الإحتياجات الخاصة

بطاقة حياتي عطاء

إشترك الآن وساهم
باقتراحاتك وآرائك للارتقاء
بذوي الاحتياجات الخاصة

ملتقى العطاء

قناة العطاء الفضائية
NILE SAT.H. 10720

للتواصل: 00965977777158